5

الطبعة ٣

محكمة الجان الكبرى

-الجزء الخامس من سلسلة جن بني النعمان-

THE GREAT ELVEN COURT

بدر رمضان







تم إعداد هذه النسخة بواسطة:

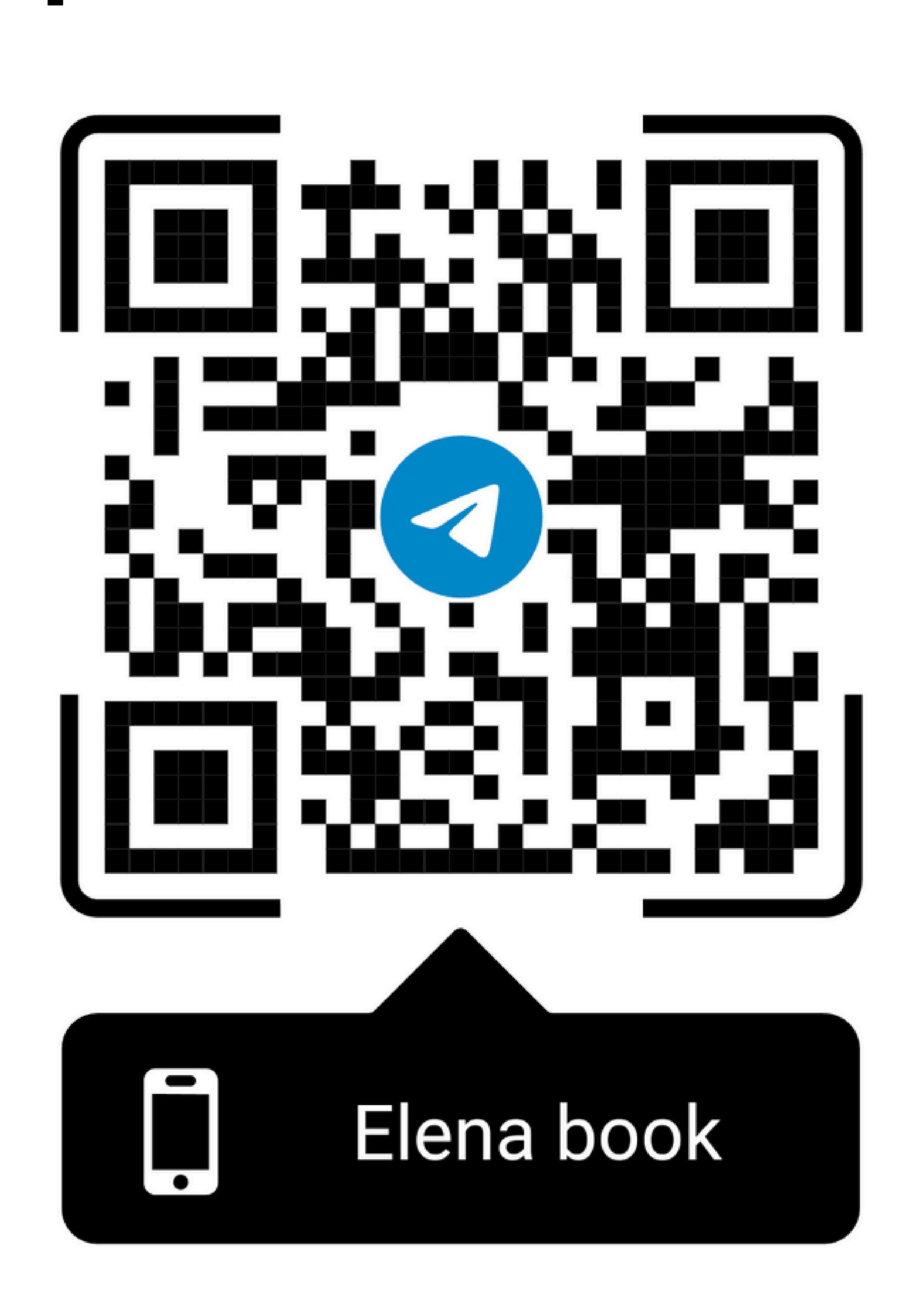


تحرير وتدقيق:



https://t.me/osn_osn





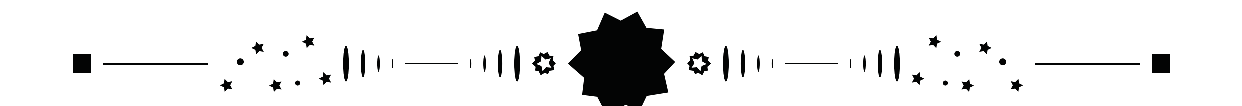




الإهداء

إلى شيطان الكتابة الذي يسكن رأس بدر رمضان...

أُهديك احترامي وتقديري، وأوصيك خيرا بأفكارها.



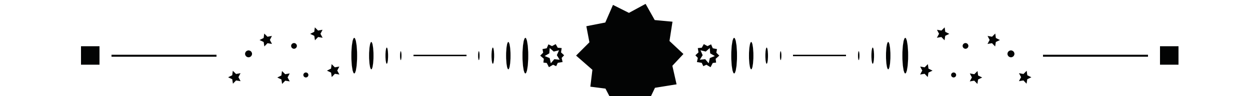
إلى بني النعمان: كانت إقامتك معنا مُثمرة؛

لعل القادم منك يحمل أفكارًا مغايرةً لنا**!**...

إلى قراء بدر رمضان الأفاضل

أعانكم الله على ما ستقرؤون،

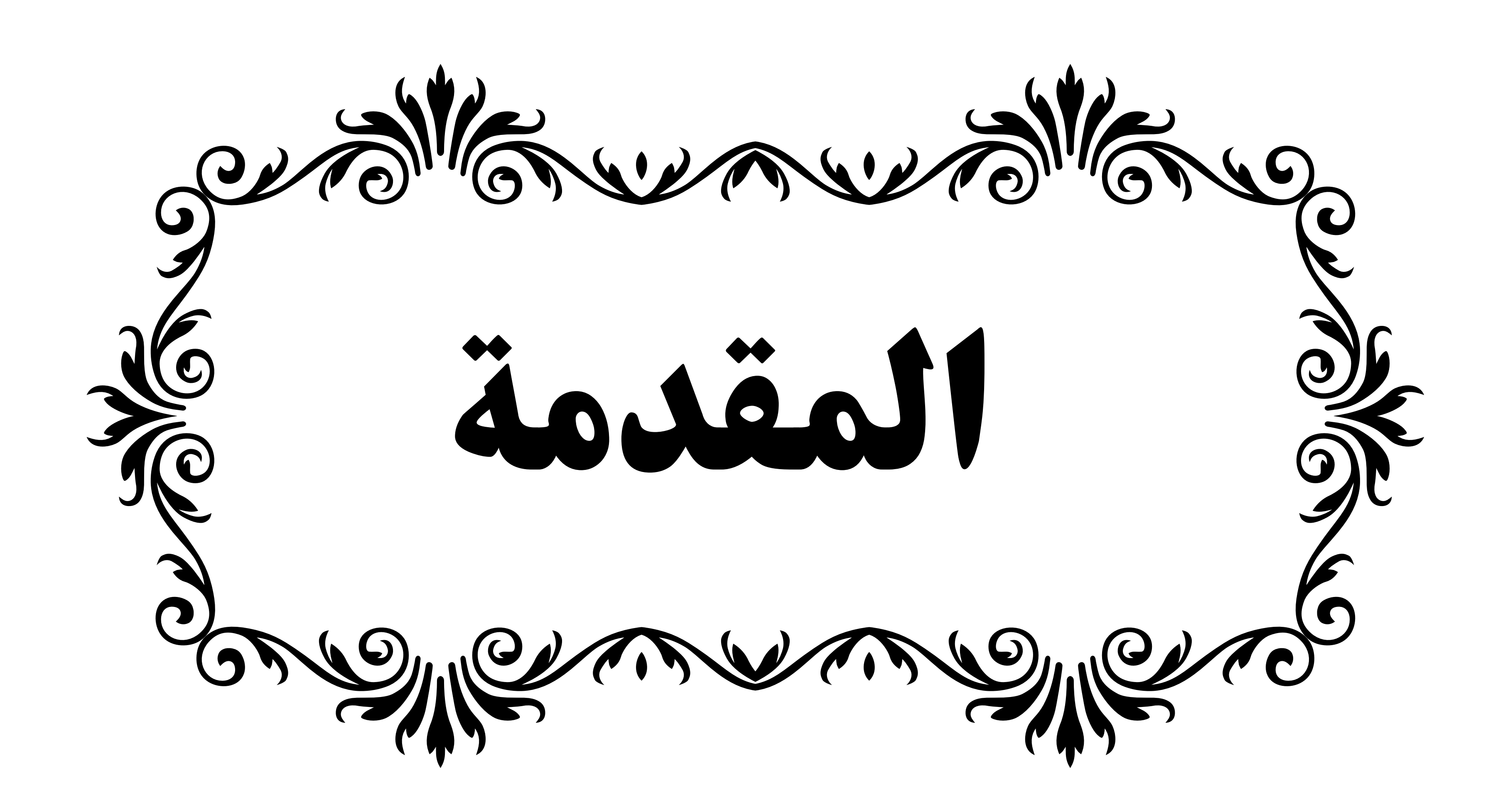
وما ستشعرون به خلال هذه الرحلة....



إمضاء: عيد إبراهيم

مدير إبداع للترجمة والنشر والتوزيع





المقدمة



تحركت ببطءٍ شديدٍ بعدما أزالت رباط رأسها الذي يحمل عملات معدنية من الذهب الخالص، حتى لا يُصدر أي ضجيج ولو طفيف... لفت وشاحها الطويل على نصف جسدها الأعلى، وأمسكته بإحكام، ثم حركت أطراف اصابعها أعلى رأسها لتتلمس طرف الوشاح وهي تسحبه بهدوء على مقدمة شعرها الأسود، حتى تأكدت أنه يغطي رأسها بأكمله؛ ثم رفعت طرفه على وجهها لتخفي جميعه؛ تاركة عينيها المُحددة بخط أسود عريض له زاوية في نهايته... ليبرز هذا الكحل جمال لون عينيها الفاحم بلمعة يندر رؤيتها في أعين سكان جموع الأرض. وقفت خلف الجدار الفاصل بينها وبين فناء ضريح (بوياعمر)، لتمُد جزءًا من رأسها للخارج كي ترى ما يحدث هناك كل ليلة بعد صلاة العشاء.

نُصبت المحكمة على الفور؛ وهي تشاهد ما يحدث بإعجاب شديد؛ غير آبهة لدقات قلبها التي تهرع داخلها برعب من رؤيتهم هكذا مجردين لقد أخبرتها جدتها أن هناك حلقة بجوار المحكمة؛ كانت مُخصصة لتحفيظ كتاب الله للإنس والجن على يد (بوياعمر) والد جدتها الذي توفى قبل أن تراه بأعوامٍ كثيرة، ولكنها ورثت اسمه وصيته كجميع أحفاده، حتى اصطفتها جدتها هي وأخيها التوأم بشيء لم يعرفه أحد حتى الآن.



انتبهت حين طرق القاضي بمطرقته الخشبية الكبيرة أعلى المنضدة العريضة والضخمة، يُمثل هيكل المحكمة بأكمله بهيئة تبهرها كل مرة، هي تحب أن تظل في هذا المكان لترى المُحاكمات العديدة تتوالى أمامها؛ حتى بزوغ أول خيط من خيوط الفجر.

لقد قررت في يومٍ غابر أن ترى المظلومين من البشر على يد الجان، هؤلاء الذين يجلسون جوار النهر بهيئة تُمثل المجاذيب، ولكنها ارتعبت مما يحدث من (الشريف) أمام أعين المصابين، وسواد حالة الهرج والمرج من الجميع جعلها تهاب الضوضاء التي تأتي من هذا النوع، وتقرر أن لا تذهب إلى هناك مرة أخرى

هي دائمًا تبحث عن «كيف تبدوا النهاية» فهي فتاة لا يحلو لها الصبر على رؤية البدايات؛ وهذا ما يجعلها سريعة الحُكم، لذلك قررت العائلة أن تمنحها بعض الوقت حتى تتسلم منصبها؛ على عكس أخيها التوأم ينادي منادٍ من البشر بإسم أول حالة للمثول أمام المحكمة الكبرى، انتبهت بجميع حواسها لترى الحالة التي كانت لسيدة تخطت الأربعين من عمرها، وقفت منتصبة بملامح حادة، وصوت عميق لينطق الجن الذي يتلبس جسدها بقوله: ـ لقد حضرت!

وقف «موالين الإذن» من الجان جميعهم على شكل صفٍ مستوٍ خلف الجاني، ليبدأ أحدهم بأمره بعدما ناداه باسمه المجرد أن ينطق إعلان الخضوع لحاكم المحكمة.

وكعادة كل المحاكمات التي قد رأتها، فالجميع من الجناة



يهابون أصحاب الإذن ويرددون إعلان الخضوع، وبعدها تبدأ المفاوضات على الخروج من جسده، ومن ثم يُحكم عليه بالسجن إن كان مسحورًا، أو بالإعدام حرقًا إن كان متعمداً، وعندئذٍ يدخل آخر وهكذا. ضيقت الفتاة عينيها بتركيز تام، وهي تتأملهم بلهفة معتادة وهي تنتظر القادم..

ليتفاجأ الجميع بقول الجني:

ـ لن أخضع لكم!.

ساد الصمت في المحكمة بأكملها، وتقدم كبير الموالين من السيدة ليقف أمامها مباشرة، يدقق النظر في عينيها وهو يقول له:

ـ أنا لا أريد أذيتك وأنت تعلم ذلك، ولا دخل للبشر بيننا الآن، إعلانك للخضوع هو إعلان لخطئك الذي أقدمت عليه مع معرفتك خطورة ما تضع نفسك به، لذلك عليك نُطق الإعلان والمفاوضة مثل الرجال وتلقي الحُكم المناسب لفعلتك.

وللمرة الثانية جاء رفضه قاطعًا حين نظر لعيني كبير الموالين بتحدٍ واضح:

ـ لا؛ لن أنطقها!

وهنا عاد كبيرهم للخلف في موضعه، وهو ينادي على رتبة أخرى من الجان، الذي يسمى (المعلم بولحرير) كانت تراه لأول مرة، فلم تحدث هذه الحادثة من قبل، لذلك هي لا تعرف حدود قدراته حتى الآن، ولكنها كما قصت عليها



جدتها حكاية كل فرد من رتب المحكمة، كان ترتيبه هو رئيس قسم القضاء الغيبي، وكما قالت لها، فهو يحمل خاتم سليمان الذي تهابه الجان، لذلك هو لا يظهر إلا في حالات التمرد العصية اقترب المعلم من السيدة، فلم تهتز حتى حدقتيها ولو بشكلٍ بسيط خوفًا منه، ارتفعت زاوية فمها بابتسامة طفيفة ليبادل الجني النظر بقوة للمعلم بولحرير قائلًا:

ـ لن تستطيع فعل شيء معي

وقف المعلم ليفرد جسده على آخره بقوة مُدهشة، ثم بدون أن يفتح فمه رفع كفه الذي يحمل الخاتم أمامه، وفي هذه اللحظة اهتزت حدقته بشكل واضح، وقبل أن يفر هاربًا أمسكه المعلم بولحرير بكلتا ذراعيه وسلمه إلى «سيدي الشتوي» هنا وضعت كفها على فمها حتى لا تخرج شهقاتها المتعجبة، فهي تراه أيضًا للمرة الأولى، وكما تعرف أنه سيجلده حتى يحترق، فمهمته هي حرق النواقم من الجن قام سيدي الشتوي بسَلسَلته جيدًا، ليبدأ جلده بسوطه الكبير، ولكن وقبل أن يشرع بأول جلدة هرب الجني من أمام الجميع، وهنا بدأ الضجيج يرتفع.

طرق الحاكم بمطرقته ثانية؛ فصمت الجمع حتى عن أنفاسهم، وهنا ظهر (المعلم يزيد)؛ وهو جني يسمى فارس المحكمة، ليصعد على خيله وينطلق حتى يتعقب الجاني ويقوم باعتقاله..

وهنا قام المنادي بالنداء على الحالة الثانية، ريثما يأتي الفارس بالجنيّ الهارب..



لقد رأت اليوم الرؤساء الذين لم ترهم قط من قبل، فتاهت بعقلها لهذا الجني المتمرد، ولما فعل ذلك! لم تقص عليها جدتها يومًا أن هناك جنيًا منذ أقيمت هذه المحكمة من قرون مضت أن فعل مثل فعلته كانت فضولية لدرجة أنها حاولت أن تتبع الفارس، ولكنها توقفت على الفور لعدم منطقية هذه الفكرة الحمقاء، فارس من الجن يعتلي خيلاً من عالم الجن؛ يطارد جنيًا متمردًا سيجوبان معًا مشارق الأرض ومغاربها في دقائق قليلة، ماذا ستفعل هي فيها؟!

عادت لوقفتها فشعرت بشيء ما خلفها، التفت نحوه بسرعة فوجدته يقف أمامها بنظرة متعالية وغضب واضح، انعقد لسانها لثوانٍ معدودة، فهي لم تقف بهذا القُرب أمام جني من قبل، لا سيما أنه هارب من العدالة ومتمرد طَغي، ابتلعت ريقها بصعوبة، وانتصبت في وقفتها لتجده يقول لها بغيظ واضح:

ـ لماذا لا أستطيع ولوج جسدك؟!

رفعت زاوية فمها بابتسامة ساخرة وهي تقول له:

ـ أراك تحب ولوج أجساد النساء

شعر بإهانة من تلفظها هذه الكلمات بتلك الطريقة، لتراه يحكُم قبضته بقوة؛ بينما عضلات فكيه تكاد تخرجان من وجهه...

تغير لون عينيه للأسود القاتم، ليلقي نظرة سريعة على المحكمة قبل أن يقول لها:



ـ ستحاسبين على قولك هذا لي!

ردها كان فوريًّا وقاطعًا:

ـ حينما تتلقى أنت حسابك على أفعالك مثل الرجال، سأرتعب منك على الفور

جلده تحول للون الأحمر؛ وهو يحاول كبت غضبه من هذه الفتاة التي بالكاد تصل بمحاذاة صدره العريض، وتقف بكل شموخ تبادله الحديث بكلمات نارية تصيب جسده الثخين بألم لم يشعر به من قبل.

شعر بالحارس يقترب من المدينة، وهذا يدل على أنه عرف مكانه، اقترب منها فظلت ثابتة رغم صوت دقات قلبها التي تتسارع داخل صدرها، حتى كاد يتفجر بداخلها...

نزل بنظره ليستقر على موضع قلبها وهو يقول لها:

ـ أرى أن قلبك ليس بقوة لسانك

ضيقت عينيها بتحدٍ واضح و هي تقول له:

ـ وأنا أرى أن تمردك؛ ليس بقوة خوفك

شعر بوجود الحارس قرب النهر؛ فقرر الهرب في هذه اللحظة، ولكنه قبل أن يختفي من أمامها همس في أذنها بغيظ:

ـ سنلتقي ثانية لأريك مدى تمردي وقوتي على السواء، ومن الآن وصاعداً أنا واثق أنك لن تنسي شيث بن آب طوال حياتك..





الفصل الأول



خرجت من دورة المياه وهي تُجفف شعرها بشرود تام، وعقلها لا يتوقف عن تحليل هذه الرؤى المتكررة بطريقة جعلتها تجزم أنها حقيقة خلعت مآزرها وهي تعود للخلف عقدين من الزمن،لقد كانت ترى عفرين دومًا وهو ينقذها من الجان الذين كانوا يحاوطونها كل ليلة حتى جاءها نعمان فتوهمت في بداية لقائهما أنها كانت تحلم به، إلى أن ثبت لها أنه واقع ملموس، لتتبين بعدها حقيقة الأمر أن أحلامها في عالم الجن ليست أضغاثًا؛ بل هي بالفعل واقعا تعيشه معهم ..

ارتعشت يديها، وغامت عينيها بدموع؛ قد بدأت تجف من مدمعها بسبب البكاء على فراقه كل ليلة، نظرت لجسدها الذي يهتز رغما عنها عبر المرأة بحزن جسيم، لقد نحفت لدرجة جعلتها تبدوا مثل المومياء، تأملت وجهها الذابل بضيق؛ وقد غرقت عينيها داخل تجويفهما بطريقة تجعل كل من يراها يظنها مريضة بمرض عضال، فمنذ رحيله؛ وهي لا تأكل سوى لقيمات تجعلها تحيا تحت ضغط كبير من ولدها وزوجته والحارس الشخصي الذي عينه يوناس لها كي يقف على رأسها مع كل وجبة؛ حتى يعود من رحلته هو وابنته التي لا تعلم إلى أين ذهبوا طوال العامين الماضيين، لم يكن هذا الحارس المخلص إلا حفيدها الغالي نعمان الذي لا يتركها لحظة واحدة تعترف دومًا أنه السبب الوحيد في أنها ما زالت على قيد الحياة حتى الآن... كان يطرق على بابها بخفة وهو يناديها :

ــ أنا قادم.



لم ينتظر إجابتها وفتح بابها بابتسامته المعتادة التي تخفف عنها الكثير، كان يحمل طاولةً خشبية تحوي طعامها المفضل الذي يصنعه لها بيديه كل يوم، فهو يأتيها كل صباح بما لذ وطاب ويظل نهاره وليله معها حتى تأكل القليل لتنتهي من إصراره وضع الطاولة أعلى المنضدة وتحرك نحوها بعدما تركت المرآة واستدارت تبتسم له والحزن يملأ تقاسيم وجهها الشارد وهي تقول له:

ـ أفكر أن أجعلك تنام بجواري فأنا أشتاق إليك حين تتركني لأنام ساعتي القليلة تلك.

اقترب منها يُقبل يدها، ثم استقام ليتبع قبلة رقيقة على جبينها وهو يتأمل عينيها الشاردة:

ـ لا تُفكري كثيرًا فأنا كنت أنتظر إشارة منكِ لأفعلها .

اغرورقت عيناها وهي تمرر كفها على وجنته وتلتقط نفسًا عميقًا بالقوة كي لا تبكي أمامه وهي تقول له:

ـ لا أعلم كيف ومتى طالت قامتك هكذا لتتخطاني بعدما كنت لا تصل لركبتي.

قام بفرد كتفيه بقوةٍ لتلمع عيناه التي تشبه جده إلى حدٍ كبير، فضاعت روهان في أروقتهما وهي تتأمل حدقتيه باشتياق يكاد يقتلها كل دقيقة تمر عليها ،دونه، ليأتيها نعمان الصغير بنفس ذات العينين ونبرة الصوتِ حتى حنانه ورقته واحتوائه لها وكأنه وضع بداخل الصبي كل ما به من صفات تعشقها قبل أن يتركها ويغادر هذه الدنيا، رغما عنها انحدرت دمعتها الأبية؛ فسحبها الصغير من أفكارها المتلاحقة وهو يسألها بتمعن:

ـ ما بك يا حبيبتي ؟ لا أرى أنك بخير منذ عدة أيام.



مسحت دمعتها سريعًا وهي تتقدم نحو المنضدة تاركة يده التي كانت تتشبث بها وهي تحاول أن لا تقص عليه ما تعانيه فهو في النهاية مازال صغيرًا مهما كبر حجمه :

ـ دعني أرى ماذا أحضرت لي اليوم؟!

جلست أمام الطاولة وهي تتأمل الطعام بشهية مازالت موصده بمئة قفل، وكأن جسدها يرفض العيش من بعده احتجاجًا على قلبها الذي ما زال ينبض، ورئتيها اللتان تمدها بالهواء، فتحت فمها رغما عنها وهي تأخذ لقمة صغيرة وكأنها تطعم طفلاً رضيعا وهي تعبر له عن انبهارها بالطعام:

ـ لم أذق مثل هذا الجمال من قبل، سلمت يداك يا حبيبي .

رفعت رأسها تنظر إليه؛ فوجدته يُضيق عينيه وهو يتأملها، حركة عفوية كان يفعلها بني النعمان حين كانت تحاول إخفاء شيءٍ عنه، لم تستطعِ إكمال تمثيلها السيء وتركت الخبز من يدها، وأجهشت في البكاء وقف نعمان الصغير عاجزا عن فعل أي شيء يخفف عنها مثل كل يوم..

سحبها لأحضانه كما كان يفعل جده؛ ليربت على ظهرها بخفة وهو يقوم برقيتها بتلاوة الآيات التي يحفظها، وكلما نطق آية ازدادت حدة بكائها وهو يجهل سبب ذلك منذ أن أوكله والده بحمايتها هي وأمه وعمته سارافيم، وأوصاه بشدة أن لا يترك جدته إطلاقًا إلا عند النوم، لقد مر عامين على فقدانهم لجده، ومنذ ذلك الحين وهو يعيش حزنه بمفرده حتى تجاوزوا السنة الأولى بمرارة كالعلقم في حلقهم جميعًا، وحتى الآن لا يعرف كيف استطاعوا تجاوز هذا العام المنصرم، ومنذ عامين انطلق أباه برفقة أخته في رحلة لا أحد يعلم إلى أين،



ولا متى سيعودان، ومن وقت لآخر يتواصل إباهم معه أو مع أمه أو مع جدته ليطمئنهم على أحوالهم مع الوعد بالعودة قريبا، اقترب من جدته شيئًا فشيئًا حتى تعلق بها بشدة، كان يتساءل دوما لما اختارها جده دونًا عن كل بنات الجن، ولكنه حين التصق بها هذه المدة أدرك أنها تمتلك قلبًا رقيقا وحانيًا لدرجة تجعلك لا تستطيع تركها حتى لا تؤذيها نسمة الهواء الشديدة، لقد فهم حب جده العظيم لها حتى أنه كان يتعجب حين لا يستطيع تركها سوى بضعة أيام، وفي أثناء غيابه كان يشدد على أبيه أن لا يترك أمه ولا لحظة واحدة، وهذا ما فعله أبوه من بعده...

أنهى رقيته بعدما خفتَ بكائها قليلا لتبتعد . هي من أحضانه وهي تحاول أن تلملم شتاتها ،أمامه، تحركت نحو دورة المياه لتغسل وجهها بالماء البارد، رفعت رأسها أمام المرآة وهي تردد برعشة مازالت تستحوذ على صوتها :

ـ لم أعد أحتمل غيابك يا نعمان، ماذا أفعل كي أتخلص من هذا الألم، أرجوك أخبرني ماذا أفعل.

ناداها نعمان الصغير من خلف الباب بقلق، فأدارت المقبض وخرجت وهي تربت على كتفه قائلة:

ـ لا تقلق يا صغيري فأنا بخير .

أمسك كفيها بين يديه وهو يجذبها نحو الفراش لتجلس عليه، ثم تأمل عينيها التي لا تنضب من ا الدموع وهو يحاول أن ينتزع منها ما بداخلها :

ـ ما الذي يحدث معكِ يا جدتي؟! أرجوكِ أخبريني بما تخفيه داخلك .

لا تعرف كيف ازدادت رغبتها في أن تقول له عما تعانيه،



رفعت زاوية فمها بابتسامة ضعيفة وهي تردد داخلها ...

(لقد تغاضيت عن نظراتك يا ،نعمان وحاولت تجاهل صوتك الذي يخرج من حنجرته بقدر ما أمكنني، ليأتيني تلاوته ورقيته المطابقة لك لتذبحني بها ببطء ،قاتل، ثم بعد ذلك كلماتك المماثلة مع تعبيرات وجهك القلقة وهدوئك الذي يصاحب حلمك وقوتك التي تجعلني بها أفصح عن كل ما بداخلي، وأنا أثق أنك سوف تقوم بحمايتي حتى من نفسي، لقد أصبح كثيرًا علي جداً، فنسختك المُكررة في حفيدك تقتلني شوق لك كل لحظة تمر بي معه)

تأملت حدقتيه الرمادية بهدوء وهي تقول له:

ـ حسنًا .. سوف أخبرك بما يحدث معي؛ ولكنك لن تخبر مخلوقا على وجه هذه الأرض بذلك ..

لم ينتظر أن تتم جملتها ليقاطعها مجيبًا :

ـ أعدُكِ يا جدتي إن ما ستخبرينني به لن يخرج من هذه الغرفة أبدًا، ولكن عليك أولا إكمال بضعة لقيمات أخرى لأجلي.

تنهدت براحة ليناولها طبقًا به بعض الخضروات والكثير من أنواع من الجبن وقطعة خبز صغيرة، فأخذتها من يده وهي تطلب منه:

ـ هل تسمح لي بفنجان من القهوة.

ابتسم لها وهو يستقيم قائلا:

ـ لحظات وسأجلبها لكِ.

اختفى من أمامها وتركها تحمل الطبق بشرود وهي تفكر مليًا



هل ما ستبوح به لحفيدها سيجعله يتورط بأمرٍ أكبر منه أم سيساعدها على فهم ما يحدث لها فقط!

عاد نعمان بفنجان القهوة ليضعه أعلى الطاولة وهو يجلس موضعه ليسحب منها الطبق الذي مازالت تحمله بين يديها دون أن تمسه؛ كي يُطعمها هو بيده وهو يقول لها دون أن يترك لها المساحة الكافية لتتراجع عن قرارها :

ـ كلي آذان صاغية.

وقف أعلى (منجم شيتا كتها على علو يفوق 3500 مترا فوق المنحدرات الشاهقة للهملايا)

تقف بجواره ابنته الصغيرة روهان تنظر نحو القاع بنظراتٍ ثاقبة؛ وهي تتمتم متسائلة:

ـ كيف سنستطيع تجاوز هذه الصخور العملاقة كي نحصل على الحجر ؟

ظل على وقفته شاردًا يفكر مليا في طريقة لا تعرضه هو وابنته للخطر، رفع رأسه نحوها يحذرها بنبرة حادة:

ـ لا تتحركي من هنا!.

تأففت الصغيرة بضجر، فتركها وانتقل لصخرة كبيرة موضوع بها متفجرات في كل ركن وزاوية، نظر نحوها بتدقيق قبل أن ينادي ابنته

ـ روهان تعالي .

وقفت الفتاة أمامه، وهي تتأمل الصخرة قائلة:



ـ أعتقد أننا سنجد ضالتنا داخل هذا الحجر.

أومأ برأسه فاستطردت:

ـ هيا بنا نفجر هذه الألغام.

أوقفها سريعًا وهو جاحظ العينين:

ـ هل جننت ؟! تفجرين ماذا ؟ هل تعرفين كم عامل يبيت هنا ؟

أتريدين قتل كل هؤلاء!

تنحنحت روهان بحرج؛ وهي تعتذر له:

ـ لم أعِ ذلك يا أبي، أعتذر منك.

ضيق عينيه وهو ينظر إليها فمالت بنظرها في اتجاه آخر، وهي تتجنب مواجهته فخرجت نبرته الحادة تجاهها بغضب:

ـ أنتِ تعين جيدا ما قلته، ولو حدث أن تبين لي سمات الشياطين هذه مرة أخرى وهي تتلاعب بك سوف يكون لي تصرف آخر، أعدكِ أنكِ لن تتحمليه.

تركها مطأطأة الرأس وذهب لأعلى الجبل لتتبعه وهي تتسائل:

ـ ماذا سنفعل إذا ؟!

أجابها باقتضاب:

ـ سوف ننتظر هنا حتى يُنهي العمال مهمتهم التفجيرية ووقتها سنحصل على ما نريد.

جلست على الصخرة وهي تُحرك قدميها في الهواء بتبرم، فلاحظ يوناس ضيقها الشديد فلانَ صوته وهو يُحدثها :

ـ تستطيعين العودة للمنزل، أنا أعلم أن وقتنا في البحث قد طال



وبدأ اليأس يتملك منكِ، لذا فهذا هو الوقت المناسب لعودتك.

التفتت نحوه وقد تشنجت ملامح وجهها وهي تنفي ما قاله :

ـ لا يا أبي أنت مخطئ أنا لم ولن ينال اليأس مني أبدًا، أنت لم تعرف ابنتك جيدًا .

جلس أمامها يتربع وهو يدقق النظر لعينيها متسائلاً:

ـ إذا ما الذي أراه الآن أمامي ؟!

حركت كتفيها وهي تذم شفتيها مجيبة:

ـ اشتياق.

رفع حاجبه بتعجب فأردفت:

ـ لا تندهش فأنا لدي قلب مثلكم.

ابتسم نحوها وهو يحتضن كفيها قائلاً:

ـ بل لديك أقوى وأشجع وأجرء قلب عندنا .

تنهدت بعمق، وقد خرج صوتها القوي برقة

ـ وهذا القلب القوي والجريء والشجاع يشتاق بشدة لعائلته، لقد اشتقت لأمي ولجدتي ولأخي والأكثر لجدي الملك الأبيض.

صمتت هنيهة لتستطرد:

ـ حتى عمتي سارافيم اشتقت إليها، وأعلم أننا لن نجتمع ثانية ولن تعود عائلتنا كما كانت بعد جدي نعمان وهذا أكثر ما يحزنني يا أبي.



سقطت دمعة على وجنتها أخفتها سريعًا فسحبها يوناس لأحضانه وهو يربت على ظهرها بحنو قائلاً:

ـ سيعود كل شيء لسابق عهده، أعدك يا بنيتي.

اهتز الجبل من تحتهم فاختفى الاثنان على الفور وظهرا على قمة جبل قريب من المنجم تعجب يوناس من انفجار الألغام بهذه السرعة فالمفترض أن العاملين نائمون في هذا الوقت

نظر لأبنته فوجدها تهز رأسها قائلة:

ـ لا أشعر بخير، هناك خطب ما .

أعاد عليها جملته التي يأمرها بها كل ساعة

ـ لا تتحركي من هنا .

اختفى من أمامها عائدًا لمكان الصخرة الكبيرة، لترفع روهان رأسها للأعلى متمتمه:

ـ إلى متى ستقلل من شأني يا أبي.

دخل في وسط الرماد الذي أحدث سحابة سوداء ضبابية من حوله إثر الانفجار، غضب بشدة وأصابه الحزن حين رأي أشلاءً منثورة حوله من البشر صك أسنانه بغيظ شديد وهو يتوعد

من فعل هذا بسوء العاقبة حاول البحث عن

أحياء ولكن سمع صوت صفير سيارات الإسعاف القريبة من المنجم، لقد ظن في بادئ الأمر إن هناك أحد التجار ورجال المافيا هو من فعل ذلك فقرر أن يلقن هؤلاء القتلة درسًا قاسيًا ولكن بعد أن يأخذ ما جاء إلى هنا من أجله، فاقترب من الصخرة كي يبحث عن الغرض الذي يبحث عنه منذ وقت طويل ليتفاجأ من وجود مجموعة كبيرة وضخمة من الأحجار الكريمة والنادرة لم ينقص



منها شيء!

فجال بعينيه سريعًا بحثًا عما يريده؛ ولكن نظره عاد خائبًا وهو يقول بغم:

ـ ليس هنا .

ليتردد صوت ابنته من خلفه وهي تشير له بيدها عن موضع فارغ :

ـ لقد كان هنا، وكما توقعت؛ فقد أخذه أحدهم.

حرك رأسه بعنف وهو يقول لها:

ـ للمرة الثالثة تعصين أمري.

ذمت شفتيها وبنبرة خافتة حدثته :

ـ حين نجد الحجر مع من أخذه أفعل بي ما تريده يا أبي، علينا الآن معرفة من فعل هذا فنحن هكذا مراقبون وهناك من يعرف ما نبحث عنه ولا يريد منا أن نصل إليه، هذه الكارثة أكبر من عصياني لأوامرك.

صك أسنانه بغيظ وقد توغر صدره من حديث ابنته الذي ينم بالفعل عن كارثة فبالفعل هذا ليس عمل المافيا ولا التجار لأن الأحجار كما هي، ومؤكد لن ينتظروا حتى ، تأتي رجال الشرطة والمسعفين

وإن كان ما قالته ابنته صحيحًا؛ فمن من مصلحته فعل هذا ؟! فهو يبحث عن هذا الحجر منذ عامين كاملين، لم يرتح بهم يوما واحدًا ولا حتى ليلة لا هو ولا ابنته الصغيرة فارق أحبته وأهله وجيشه ومسؤوليات مملكته التي وقعت على عاتقه من بعد أبيه وكل ما ينتمي إليه بسبب حديث العجوز



التي أخبرته أنه إن وجد أصل الزفير النجمي سوف يكون هناك أمل في جعله يستطيع التواصل مع أبيه في أرض الخواء ولو لدقيقة واحدة عامين كاملين من البحث حتى يسمع صوت أبيه للمرة الأخيرة، وحين يعثر عليه بعد هذا العناء المرير

يسبقه إليه أحدهم!

من هو هذا اللعين الذي يريد أذيته بهذا الشكل؟!

أمسك بيده ابنته وانتقل حين سمع أصوات البشر يقتربون من مكانهم، ترك يدها على أعلى قمة في الجبل، وظل يدور حول نفسه وهو يردد بصراخ حاد:

ـ لماذا ؟! لماذا ؟!

اقتربت منه روهان بقلق وهي تقول له:

ـ اهدأ يا أبي أرجوك! .

لم يعرها انتباهه واستمر على حالة الهياج التي اصابته بشدة:

ـ ما الذي سيضر هذا الملعون إن سمعت صوت أبي للمرة الأخيرة، مما هو خائف؟!

وقف أمام ابنته وهو يسألها بصراخ:

ـ هل يخاف من رجُلٍ عالق بين الحياة والموت في مكان لا يعرفه إلا الله أخبريني ما الذي يخشاه هذا الخبيث من محادثة سخرت نفسي لها عامين كاملين لن تستغرق سوى دقيقة واحدة، جاوبيني يا ابنتي قبل أن أُجن.

اقتربت منه لتقبض على كلتا يديه بكفيها وهي تنظر لعمق عينيه قائلة:



ـ الإجابة في السؤال يا أبي.

توقف كل شيء من حوله ما عدا أنفاسه اللاهثة ووجهه الذي ينضج بنيران تشتعل داخله من الغضب، ليخرج صوته تائها :

ـ ما الذي تقصدينه ؟!

أجابته وهي ما زالت تحدق به:

ـ ما فهمته بالضبط، هل محادثتك مع جدي دقيقة واحدة تجعل أحد أعدائك الذي لا يعرفون بأمرنا ، كوننا لم نخبر أحدًا حتى الأقربين عن وجهتنا ولا غرضنا، فمن أين عرف هذا اللعين بما نريده؟! بل قرر أيضًا أن يتبعنا سنتين ويزيد ويتكبد هذا العناء من التخفي والاختباء منا حتى لا نكشف أمره، ليسبقنا بخطوة واحدة ويستحوذ على الحجر الذي تبحث عنه.

ازدادت حدة أنفاسه وهو يفكر فيما قالته ابنته من تحليل منطقي للغاية، فلا أحد غيرهما يعرف ما يبحثان عنه إلا العجوز الذي يُجزم أن الموت عندها أهون من أن تخبر أحدًا بسر لديها، فمن أين عرف هذا الخسيس ؟!

ترك ابنته، ووقف على حافة الهاوية، وعقله يدور مثل الطاحونة في عدة محاور حتى استطاع بعد فترة ليست بالقصيرة أن يصل لبداية الخيط وهي العجوز..

التفت ليجد ابنته تفترش الأرض شاخصة أبصارها نحو السماء التي تمتلئ بالسحب السوداء المتطايرة إثر الإنفجار، يتخللها بعض النجوم التي تتلألأ بداخلها وتنير هذه العتمة، نادها بصوت هادئ نسبيًا؛ فانتفضت واقفةً ليخبرها :

ـ سنعود للعجوز الآن لعلنا نستطيع الوصول ولو لبداية خيط نكمل من بعده



.

أمسكت بيد أبيها، قبل أن ينتقل وهي تقول له:

ـ لن تخبرك بأي شيء وأنت تعي ذلك جيدًا، فقد ضاع عمرنا جوارها لكي نعرف منها معلومة الحجر هذا، فإن أردت أن تصل لشيء ثمين يخرج من فمها اترك لي هذا الأمر.

ضم حاجبيه باستغراب وهو يسألها :

ـ ماذا ستفعلين؟!

أجابته بحدقتين تحول لونهما للأسود القاتم

ـ دعنا نتفق أولاً.

بدأ يتملل في وقفته قائلًا:

ـ على ماذا ؟!

قربت وجهها منه وهي تحذره:

ـ ألا تتدخل نهائيًا حتى أُتم مهمتي.

لم يجد أمامه خيارًا ،آخر فحديثها صحيح مئة بالمئة، لن يخرج من فم العجوز جملة واحدة تفيده أومأ برأسه وهو يقول لها باستسلام:

ـ حسنًا لن أتدخل، هيا بنا .



الفصل الثاني



فتحت عينيها بضجرٍ ؛ وهي تزيح عنها غطائها بعنف، لقد سئمت من شعورها الدائم بالأرق المستمر، فهي لا تقضي في نومها سوى ساعتين أو أقل طوال اليوم، ولا تعرف سببًا لهذا البلاء، نظرت في الساعة الموضوعة أعلى الحائط أمامها فوجدتها مازالت السادسة صباحًا، تأففت بصراخ مكتوم وهي تتمتم :

ـ لقد غفوت في الرابعة، لم أنم سوى ساعتين فقط!

فتحت خزانتها وأخرجت منها بدلة سوداء واسعة لترتديها بعدما أنهت حمامها ببطء وجسدها لا يتجاوب معها بسبب قلة نشاطه وإرهاقه نزلت من أعلى الدرج لأسفله وهي تسمع صوت زقزقة العصافير في الخارج وجميع من في البيت نائم في هذا الوقت بالتأكيد، انطلقت من البوابة الداخلية تبعتها بالبوابة الخارجية وخطت بتريث في اتجاه النهر، لا تعلم لماذا قادتها قدماها إلى هناك، ولكنها شعرت بحاجة ملحة لرؤية المياه الجارية في هذا الهدوء، لعلها تلتمس منه بعض السكينة والطمأنينة التي تساعدها على الارتخاء قليلًا في فراشها وصلت للنهر بعد دقائق معدودة لتجلس بمحاذاته وهي تلتقط أنفاسها العميقة في هذا الهواء النقي نفسًا يلي الآخر، أغمضت عيناها لتستمع صوت خرير المياه المصاحب لصوت الطيور وحفيف الأشجار التي تزين جانب النهر مما جعلها تشعر بالاسترخاء الشديد على الفور، لتقفز صورته أمام عينيها المغمضتين بطريقة جعلتها تفتحهما سريعًا، وقد ارتبكت رغما عنها ، هي لم تنسَ وقفته معها، ولا حديثه الفظ، ولا حتى اسمه الذي ألقاه على مسامعها بصوتٍ عجيب؛ جعل جسدها يقشعر رغمًا عنها



رددت بخفوت :

(شيث بن آب)

زفرت بضيق وهي تردف :

(ما الذي ستفعله معي يا من تسمى شيث بن آب؟!)

انتبهت بتأهب بجميع حواسها لامرأة تركض على الجانب الآخر للنهر وهي تلف جسدها بوشاح أسود كبير، وقفت (ميلاف) تحاول التخفي خلف أحد الأشجار كي تراقب ما يحدث، وجدت المرأة تُكمل ركضها بنفس الاتجاه بعدما خرجت من داخل الضريح، وهذا الموضع تحديداً لا يخرج منه أحد في ضوء النهار، فالمفرج عنهم من المسجونين أو الذين يتلقون علاجهم وقد تم شفائهم ، يُفتح لهم هذا الباب بعد صلاة العشاء كيف استطاعت هذه السيدة الخروج ؟ ومن سمح لها بذلك في هذا الوقت ؟!

تبعتها ميلاف بخطوات سريعة بعدما تركت بينهما مسافة كافية كي لا تشعر بها هذه السيدة وجدتها تقف في مكان فارغ تنظر يمينها وبسارها بتوتر واضح، تخفت خلف أحد الجدران وانتظرت لترى ما الذي تفعله، وجدتها تُخرج من داخل جيب كبير في ثيابها حقيبة بلاستيكية صغيرة الحجم، وضعت كفها بداخلها وأخرجت منها شيئًا يشبه الحناء مخلوطة ببعض من سميد القمح والملح ذو الحبة الكبيرة، نظرت المرأة لما في يدها بتدقيق ثم قامت بنشره بجوار النهر وهي تمتم بكلمات غريبة، ثم انطلقت ركضًا باتجاه السوق، سارت خلفها بوجل؛ وهي تراها تنشر هذا الشيء في أركان السوق الأربعة، ثم هرولت ثانيةً باتجاه الضريح...



تعجبت ميلاف مما حدث وعادت لمنزلها بتأهب شديد دخلت غرفة المكتبة الخاصة بهم وفتحت جدارًا سريًا بها لتخرج منه كتابًا كبير الحجم أخضر اللون ذا غلاف سميك للغاية، فتحت الصفحة الأولى به وجرت بعينيها على سطوره المكتوبة بالحبر الأسود وبخط يدوي، قد أخبرتها جدتها أنه قد كتب بيد والدها (بوياعمر) وبه كل ما يخص السحر الأسود، وتسخير الجان؛ بل والتحكم بهم وفي ظل بحثها السريع وجدت في الجزء الأخير من نهاية الصفحة الحادية عشر:

(يتم إحضار الحناء والملح وسميد القمح من عند سبع نساء ولدن لأول مرة، ولم يسبق لكل واحدة منهن الزواج سوى من زوج واحد، تُخلط هذه العناصر جميعاً، وتعطر بـ «الجاوي» الذي تم إحراقه في «مهراز» (مدق) ، ويحمل الخليط المحصل عليه من العملية الى الحمام والى المجزرة وسوق الحبوب وبالقرب من عيون الماء والآبار وعند تقاطع الطرقات، والى كل الأماكن الأخرى التي يطرقها الجان. ويرمي في كل مكان شيء من هذا الخليط، مع تلاوة دعاء خاص لاستحضار الجان ودعوته الى حضور موعد في مكان وزمان يتم تحديد هما له. وفي المساء، يجلس الساحر أو الساحرة) مع الزبون لانتظار حضور الجني المدعو، فيحل في أحد أركان المنزل عند الموعد ويظهر، ويمكن أن يطلب منه الداعي ما يشاء .)

جحظت عيناها بذهول وهي تعيد قراءة القطعة مرارا وتردد:

ـ ما هذا الهراء ؟! هل نحن نحارب الجن المؤذي؛ أم نستدعيه ونسخره لأهوائنا؟!



انتفضت بغضب، وأغلقت الكتاب، ووضعته موضعه وأعادت الغرفة كما كانت وانطلقت للخارج بخطوات سريعة نحو الضريح، فتحت بابه الخارجي فوقف الحرس على الصفين يحنون رؤوسهم بتحية وممنوع عليهم رفع رقابهم للنظر في أحد أحفاد بوياعمر جالت بعينيها على المكان الذي يعج بالزوار منهم الأطفال وكثير من النساء وبعض الرجال القليلون فور دخولها انحنت رؤوس الجميع حين قال المنادي:

ـ لا يرفع أحدكم رأسه، ولا يجوز النظر للمباركين، ومن يراوده شيطانه في أن يستل ولو نظرة واحدة سوف يعاقب عقابًا شديداً .

خطت ببطء بين الجموع، وهي تدقق النظر بوجوه السيدات الجالسات أرضًا لتنتبه للمرأة التي رأتها بالخارج، وقفت أمامها لفترة وجيزة لتتأكد أنها هي إلى أن رأت علامة صغيرة في وشاحها الذي لم تخلعه ،بعد كانت العلامة عبارة عن خنجرين يقابل بعضها البعض بصورة مكررة في الوشاح بأكمله، لقد لفتت نظرها هذه العلامة وهي تراقبها، فأجلت صوتها وهي تأمرها :

ـ قفي يا امرأة، وأرني وجهك.

ارتجف جسدها بشكل واضح؛ وهي تأبي النهوض، فصرخت بها ميلاف بقوة؛ فوقفت وهي مازالت تحني رأسها، اجتمع الحرس حول ميلاف التي صدح صوتها، وهي تأمرها برفع رأسها كي ترى وجهها، اضطرت المرأة للخضوع، وفعلت ما أمرتها به لتتفاجأ بأنها نفس السيدة التي كانت في المحكمة



بالأمس ، وقد استولى الجني شيث على جسدها، شعرت بأنها مشتتة، وهناك أشياء عجيبة تدور خلف ظهورهم، فكيف تأتي سيدة كهذه تشكوا من أذى الجن وتستقر في الضريح شهورًا عدة حتى يأتي دورها للمحاكمة، وحين يتضح الأمر ويفر الجني هاربًا، تستيقظ في الصباح ومعها تعويذة مصنوعة من قبل كي تستدعي الجن وتسخره لأمرها ؟!

ـ ما هذا العبث

رددتها بصوت مرتفع لتردف بضيق:

ـ تعالي

تبعتها السيدة وهي ترتجف؛ بينما علا صوت ميلاف في الحرس وهي تأمرهم:

ـ اجعلوا كبيركم يوافيني في المجلس.

التقط الجميع أنفاسهم؛ وقد انزعج الحرس لما حدث؛ ليركض واحد منهم نحو مكتب كبيرهم ليقص عليه ما جرى، وصلت للمجلس القاطن بجوار الضريح وانتظرت على بابه؛ حتى دخلت السيدة وأغلقت الباب خلفها، فاختض جسدها بخوف لتخر راكعة أمامها وهي تبكي:

ـ أرجوكِ يا سيدتي لا تؤذيني | أقسم لك أنني لم أفعل شيئًا.

أمسكت ميلاف وشاحها من أعلى رأسها، وهي تقبض بقوة على خصلات شعرها التي تستكين تحته لترفعها للأعلى، فتأوهت المرأة بألم وهي ما زالت ترجوها أن تتركها وشأنها، فقربت ميلاف فمها من أذنها وهي تهمس لها :

ـ اصمتي يا امرأة .. فليس أمامك سوى دقيقة واحدة



تخبريني بها عن من ساعدك من داخل الضريح في صنع تعويذة الاستحضار والتسخير وتركك ِ تنشريها بجوار النهر وفي السوق، ومن هو شيث بن آب الذي استحوذ على جسدك، ومن الواضح أن ما حدث منه كان ردة فعل لشعوذتك هذه من الأصل.

انحت السيدة على كفها لتقبله وهي ما زالت تبكي قائلة:

ـ سأقص عليك الأمر كله، أقسم لك أنني سأفعل؛ وسوف أخبرك أيضًا عن كل ما يحدث داخل الضريح، ومن هم الخونة بينكم، ولكن لو أتى كبير الحرس، وعرف أنكِ كشفتي أمري سوف يقتلني في الحال، صدقيني يا سيدتي؛ الأمر عظيم وأكبر

مما تتخيلين. رفعت ميلاف حاجبيها ؛ وهي تدقق النظر بها فسمعت طرقًا على باب المجلس، وصوت كبير الحرس يقول لها:

ـ لقد استدعيتني يا سيدتي.

تعلقت نظرات المرأة بميلاف وعيناها ما زالت تزرفان الدموع برجاء، فاقتربت تهمس لها:

ـ سأنتظرك على الجانب الآخر للنهر غدًا في السادسة صباحاً ولو تأخرت دقيقة واحدة سوف يكون آخر أيامك هو الغد.

استدارت وهي تفتح الباب لكبير الحرس قائلة له:

كنت أريد أن أعرف منك هل تم القبض على الجني الناقم أم لا ؟!

نظر الرجل بريبة للمرأة التي تجفف دموعها خلف سيدته وهو يجيبها :



ـ لا يا سيدتي لم يقبض عليه بعد .

عادت خطوة للخلف ؛ وهي تمسك بيد المرأة لتسلمها له:

ـ حسنًا! خذ هذه السيدة معك لقد كنت أفحصها بعدما ظننت أن هذا العصي قد عاد لجسدها، ونحن في غفلة.

تعجب كبير الحرس من قولها فهي إلى الآن لم تنضم لموالين الإذن؛ بالإضافة إلى أنها لو انضمت؛ فلا يجوز لها فحص الحالات خارج المحكمة وبمفردها بعيدا عن باقي الموالين، ولكنه لم يستطع إلا أن يحني رأسه بطاعة ويذهب من أمامها ومعه المرأة تاركاً إياها تُفكر ماليا فيما حدث.

لقد صدق حدسها حين شعرت أن هذا الجني مختلف عن البقية لم يكن متمردًا ولا ناقمًا؛ بل كان يدافع عن حقه، ولكن لما لم يقل هذا في المحكمة؟ لماذا قرر الهرب ورفض المواجهة ؟! وفي خضم تحليلها للأمر وجدت إحدى الخادمات تقف أمامها بتوتر وهي تبلغها :

ـ جدتك تريدك في الحال .

أومأت برأسها لتعود الخادمة للمنزل وخلفها ميلاف، وحين فتحت الباب الداخلي وجدت جدتها تقف في منتصف البهو وبجوارها عمها الكبير والصغير وأخيها التوأم (مبارز) ، تعجبت من تجمعهم هذا وتأملت وجه جدتها الغاضب بدهشة وهي تسألها :

ـ ما بك يا جدتي ؟!

تفاجأت ميلاف حين صدح صوت جدتها بغضب وهي تقول لها :



اسمي السيدة (توكدا)

جحظت عيناها بذهول ؛ فنبرة صوت جدتها ووقفتها الغاضبة مع إعلان اسمها الحقيقي بهذا الشكل يعني أنها في ورطة كبيرة ولا تعلم هل تستطيع الخروج منها أم لا .

******

كان مستلقيًا أعلى فراشه الوثير داخل قصره الضخم الذي بناه بيديه على أطراف الصحراء الكبرى، عيناه الطولية تتعلقان بسقف الغرفة وهو يعيد لقائهما مرارا وتكرارًا منذ مساء أمس، لقد قام بإرسال جندي من جنود الاستقصاء الذي عرفهم عندما انضم للجيش عدة سنوات كي يأتيه بخبرها، وبالفعل لم يمكث الكثير حتى أخبره أنها أحد أحفاد بوياعمر، ولكنهم لم يضعوها داخل المولاة رغم دخول أخيها التوأم، تعجب من تأخيرها رغم بلوغها السن المناسب، وهذا ما فسر له عدم استطاعته الولوج لجسدها، تذكر جملتها المهينة له؛ فانتفض من مجلسه واقفًا بضيق؛ لأنه ظُلِمَ في هذه المحاكمة ولم يستطع الدفاع عن نفسه وإقرار الحقيقة وخاصة أمامها ؛ فهي تظنه الآن من النواقم وبه من الخسة التي تجعله يختبئ في أجساد نساء الإنس، صك أسنانه بغيظ ليسمع صوت صديقه يناديه تردد في الذهاب إليه ولكنه كرر النداء عدة مرات فخشى أن يكون الطفل في مأزق، انتقل إليه ليجده جالسًا في غرفته المُظلمة . فسأله بنبرة ممتعضة بحزن

ـ ما بك يا سليمان ؟!

رفع رأسه ينظر إليه بانزعاج؛ وهو يقول له:

ـ أمي تريد مني أن أعود للدراسة.



تعجب شيث من ضيقه لهذا السبب فأراد أن يستفهم منه :

ـ وما الضرر في ذلك ؟!

اتسعت حدقتا سليمان دون أن يجيبه فسأله شيث

ـ ألا تريد أن تتعلم ؟!

أمال سليمان برأسه قائلاً:

ـ وهل أنا جاهل ؟!

أجابه بنفاد صبر:

ـ يجب أن تتعلم علوم الدنيا خاصتكم؛ كي تستطيع العمل وكسب الرزق فعلوم الجان لن تنفعك بشيء هنا .

صمت سليمان وهو يدقق النظر في وجه شيث، ليفاجأه بسؤاله:

ـ ما بك ؟ !

أجابه شيث بنفس السؤال:

ـ ما بي يا فتى! أنا بخير .

وقف سليمان على الكرسي الموضوع أمام المكتب، ورفع رأسه للأعلى كي ينظر لوجه شيث عن قرب وهو يقول له:

ـ أخبرني عما يحدث معك.

حمله شيث من أعلى المقعد ليضعه في فراشه قائلا:

ـ لا تنشغل بي يا صغير واهتم بما تريده لك والدتك؛ فهي لا تتمنى سوى أن تراك بخير وفي أحسن حال، فلا تردها خائبة.



جلس سليمان على فراشه وهو يمسك كفه قبل أن يختفي قائلا له:

ـ دعنا نعقد صفقة.

ضم شيث حاجبيه فاستطرد الفتى

ـ سأذهب للمدرسة منذ الغد، وسوف أداوم على دراستي، ولكنك الليلة ستقص لي ما حدث معك، وضايقك إلى هذا الحد .

جلس شيث جواره باستسلام وهو يبتسم بخفة

ـ لا فائدة منك ستأخذ ما تريده بشتى الطرق.

وضع كفه الصغير على يده وهو يشجعه أن يبوح له عما بداخله، فتنهد شيث بعمق وهو يقول له:

ـ منذ أن رأيتها وأنا أشعر أنني سقطت في وسط المحيط، وأقاوم الغرق بكل ما أوتيت من قوة، ولكنني لا أجد ولا حتى قشة كي أتمسك بها لتنقذني من عينيها الساحرتين.

ابتسم سليمان رغما عنه فحذره شيث دون أن ينظر إليه:

ـ لو سمعتُ ضحكتك لن أقص عليك شيئًا مهما حييت

وضع سليمان كفه على فمه كي لا يخرج صوت قهقهته؛ فقام شيث بتحذيرٍ آخر قبل أن يرفع سليمان كفيه أمامه قائلا:

ـ استسلم يا صديقي.

رمقه شيث بطرف عينه فأردف:

ـ لم أرك غارقًا هكذا من قبل.

نظر لها شيث وهو يرفع زاوية فمه بابتسامة عبثية:



ـ ومنذ متى وأنت تراني يا فتى، وكل عمرك هذا لا يساوي جزءا من واحد على عمري

استغل سليمان مقولته وسأله باهتمام:

ـ هل أحببت قبل هذه ؟!

اهتز جسده رغما عنه وهو ينفي الأمر سريعا

ـ ومن قال لك إنني احببتها أنا لم أرها سوى لحظات ليلة أمس.

اعتدل سليمان ليجلس أمامه على ركبتيه قائلا :

ـ حسنًا .. لقد أعجبتك الفتاة ولم تحبها بعد ، وسأتجاوز لفظ (غرق) الذي وصفت به حالتك وسوف أسألك بوضوح، لم تتعرف عليها وتبدأ معها علاقة صداقة.

هز شيث رأسه بعنف وهو يقول له:

ـ لا لا لا يجوز؛ فهي أنسية.

ضيق سليمان عينيه بدهشة ولكنه تجاوز تعجبه بقوله:

ـ لماذا ؟! وما الضرر في ذلك؟ فهناك الكثير من الجن يتزوج من الإنس أليس كذلك.

وقف شيث كمن لدغه عقرب بجسد ينتفض

ـ لا لا أنت لا تفهم شيئًا، هي ليست أي آنسية؛ إنها

من موالين الإذن، ومُحرم عليها حتى التحدث للجن خارج المحاكمات ولو فعلت ذلك فسوف تنال عقابًا شديدًا .

رفع سليمان كفه أمامه، وهو يقول له بذهول:



ـ أنا لا أفهم شيئًا مما تقول؟! من هم موالين الإذن هؤلاء، وأي محاكمات تلك التي يقيمها الإنس للجن؟!

وقبل أن يجيبه سمع صوت يناديه بإسمه، وقف وهو ينصتُ للصوت محاولاً التعرف على صاحبه ولكنه لم يتبين ذلك حاول سليمان التحدث فأوقفه بإشارة من يده، ليجد مناديه يكرر النداء ثلاثًا ..

نظر لسليمان بريبة وهو يقول له :

ـ يجب أن أذهب في الحال.

اختفى من أمام الفتى الذي صدح صوته:

ـ سأنتظرك في الغد.

وصل شيث لصوت ذلك المنادي الذي وجده يقف أمامه بشموخ، فأحنى رأسه بتحية ليجده يجره من يده لأحضانه قائلا :

ـ لقد اشتقت إليك يا صديقي.

ابتسم له شيث قائلا :

ـ لم أسمعها من جني غيرك.

ابتعد عنه يوناس، وهو يُخرج ابنته من خلفه قائلا :

هذه ابنتي روهان لم ترها من قبل.

ابتسم نحوها وهو يُحييها قائلًا :

ـ لم أرها من قبل ولكني سمعت عنها من صديقي الإنسي.

تنحنحت روهان بحرج فنظر إليها يوناس لتتحدث هي سريعًا:

ـ أنا لم أر سليمان منذ أن أوصلته لأمه بناءً على طلبه وأنت سمحت لي بذلك



أخفى شيث ابتسامته وهو يسأله بقلق:

ـ ما الذي تأمرني به يا صديقي.

انتبه له يوناس ليقترب منه مجيبا :

ـ مهمة مستحيلة ولكنني لا أثق بجني غيرك الآن.

ضيق شيث عينيه قائلا :

ـ لا تقلق حيال ذلك؛ فأنا أدين لك بحياتي.

ربت يوناس على كتفه بامتنان

ـ لا تقل هذا يا رجل، فأنت أيضًا صديقي الوحيد يا شيث.

ليردف وقد تحولت نبرته الممتنه للقلق

ـ والآن سأخبرك بشيء لا يجب أن يعرفه مخلوق على وجه هذه الأرض.

الفصل الثالث



طرقت بابها بخفة عدة مرات حتى صدح صوتها الخفيض من الداخل وهي تتساءل:

ـ من ؟!

أجابتها وهي تضع أذنها على الباب الخشبي:

ـ هل أنتِ بخير ؟! أريد أن أطمئن عليكِ.

رفعت إلينا صوتها قليلًا وهي تناديها :

ـ تعال يا سارافيم .

أدارت المقبض ودلفت للداخل؛ لترى إلينا ممددة على

الفراش، تغطي جسدها بأكمله بغطاء ثقيل وتضم حرفه لصدرها وهي تحتضنه بقوة، مما جعل سارافيم تسألها بقلقٍ ظاهر:

ـ ما بك يا إلينا ؟! أنت مريضة ؟!

حركت إلينا رأسها بالنفي؛ وهي تقول لها:

لا .. أنا بخير! .. اجلسي.

أطاعتها وجلست على المقعد أمامها وهي تحدثها :

ـ لا يبدو لي أنك بخير على الإطلاق، فأنتِ لم تخرجي من غرفتكِ منذ صباح الأمس ، لقد ظننتُ أنك لا تريدين الجلوس معي مثل كل يوم؛ ففضلت أن أبتعد قليلا حتى لا أثقل عليكِ، ولكني حين سألت إحدى الخادمات قالت لي إنك لم تبرحين غرفتك، فخشيت أن تكوني مريضة؛ فعزمت أمري بأن آتي كي أطمئن عليكِ .



رفعت إلينا بصرها إليها وهي تخاطبها بامتنان

ـ لا أعرف حقا ماذا كان سيحدث لي بدونك.

تأملتها سارافيم بعدم فهم؛ فاعتدلت إلينا في مجلسها وأسندت ظهرها للخلف وهي تستطرد:

ـ هل تعلمين أنني هنا منذ صباح الأمس ولم يفتقدني أحد سواك .

اغرورقت عيناها بالدموع فحاولت أن تسيطر على دموعها بقوة؛ فأمسكت سارافيم بكفيها وهي تربت عليهما قائلة:

ـ لا تحزني يا إلينا فأنتِ تعرفين كم أن عالمنا بأكمله انهار من بعد رحيل أبي، كل منا يحارب حتى تستمر الحياة، ولكنها لا تريد الاستمرار أو دعيني أقول نحن جميعا لا نعرف كيف نستمر دونه

أنهت جملتها وشعرت أن قلبها يهدر داخلها وقد هاجمتها أحزانها بقوة، فتركت يد إلينا وانتفضت واقفة لتتوجه ناحية النافذة الكبيرة لتنظر عبرها للحديقة الخارجية وهي تُردف:

ـ لقد فقدت أمي وأبي في ليلة وضحاها، لو تغاضيت عن فقدان أمي التي كانت تبث لي كرهها كل لحظة تمر لي معها، وعلى الرغم من ذلك لم أتمنى ولو لحظة واحدة أن أفقدها للأبد،

ولكن سأحاول تخطي الأمر؛ بإقناع نفسي أنها من فعلت ذلك بيدها.

التفتت ناحية إلينا التي خرجت من فراشها لتقف قبالتها تستمع لآلامها التي تعترف بها لأول مرة:



ـ كيف سأتغاضى عن فقدان أبي الذي بالكاد عرفته، كيف أتخطى نظراته الحانية التي كان يغمرني بها رغم أنه لا يعرف بوجودي إلا من فترة صغيرة جداً، كيف أستطيع تجاوز ترك زوجي وحبيبي لي في نفس الفترة، ورغبته في الابتعاد عني بعدما كدتُ أن أقبل قدمه ألا يفعلها،واعترفت بخطأي مرارًا .

شعرت إلينا بأن ما تعانيه لا يقترب حتى مما تعيشه سارافيم، بل وهي من تحاول أن تخفف عنها، من أين أنت بتلك القوة العظيمة لاحتمال هذه الصدمات والفقدان في أيام معدودة؟! والأغرب من ذلك أنها لم تبكِ، ولم تسقط دمعتها ؛ رغم كل ما تحمله من قهر ووجع شددت على كتفها وهي لا تجد ما تتفوه به سوى كلمة واحدة قالتها على استحياء:

ـ أنا آسفة .

سألتها سارافيم بدهشة:

ـ على ماذا يا إلينا ؟!

تنهدت بوجع وهي تجيبها :

على كل ما تعانيه يا سارافيم؛ ورغم ذلك تحاولين طول السنوات الماضية أن تخففي عني بقربك لي ومؤازرتك، فلولاكِ لكنتُ فقدتُ عقلي في ظل هذه الاحداث المتلاحقة.

رفعت سارافيم زاوية فمها بابتسامة هادئة وهي تقول لها:

ـ ولماذا لا تقولين إنكِ طوق النجاة التي تشبثت به حين حاول هذا الإعصار الغاشم القوي أن يدمرني كي يدفعني لليأس والتخلص من حياتي البائسة التي كانت سبب في كل أذى قد طال جميع الأقربين لي.



انزعجت إلينا من حديثها عن نفسها بهذا الشكل، لتنفي الأمر عنها قائلة:

ـ لما تحملين نفسكِ ذنبًا لم ترتكبينه يا سارافيم؟! أنتِ تظلمين نفسك بشدة.

تجاوزتها سارافيم؛ وهي تعود لمجلسها مرة أخرى في هدوء وهي تخبرها ما تكنه بداخلها من إثم تحمله بين جنباتها تتوسل غفرانه

ـ ألم يكن وجودي هو سبب هروب أمي من أبي، ووجودي أيضًا كان سبب ترك أبي لأمي حية ترزق حتى كادت أن تقتل أقرب الناس لقلبه مما جعله يفديها بروحه ويتخلص من أمي، ووجودي الآثم هذا هو سبب خيانة زوجي والرجل الوحيد الذي

أحببته وكان يشعرني أنني أحمل قيمة ووزنا .

حركت إلينا رأسها بعنف وهي تقترب لتجلس أمامها تجادلها :

ـ لا يا سارافيم أنتِ تضعين نفسك في مكانة خاطئة، وقد صور لكِ الشيطان أنكِ سببًا لكل ما حدث لك ولنا .

أمسكت كفيها برفق، وهي تُردف:

ـ لما لا تفكرين أن وجودكِ كان سببًا في إعطاء أبيك لهند فرصة ثانية كي تصلح أخطائها الماضية؟! لما لا تضعين في ذهنك أنكِ كنت مرغمة ومجبرة على إطاعة أمك التي كانت تحمل من الشر والأذى ما جعلها تلقى هذا المصير بصنع يديها، لما لا تثقين في اختيار أبيك لإنقاذ خالتي لأنه بالفعل قد أخطأ في حقها ويشعر بالذنب تجاهها مما جعله يقدم على أن يفديها بروحه.



مررت كفها على وجهها برقة وهي تستطرد:

ـ أنت لم تكوني إلا ضحية فقدت أعز ما تملكه في هذه الحياة رغما عنها، وكل ما حدث معهم نتيجة لما اقترفته أيديهم يا صديقتي أرجوكِ لا تحملي نفسك مالا طاقة لك به، بل كوني فخورة بكونكِ قوية مازالت تقف بهذه الصلابة رغم الألم والوجع والخذلان والفقدان الذي عايشته من الجميع.

تنهدت سارافيم بهدوء لأنها قررت أن تُخرج كل ما بداخلها للشخص الوحيد الذي اختارته بإرادتها ووثقت به واستأمنته على ما تخفيه بداخلها لسنوات فابتسمت براحة وهي تقول لها:

ـ أشكرك يا إلينا .. على كل شيء.

تجاوزتها إلينا بمرح وهي تتوجه ناحية خزانتها قائلة:

ـ جاءتني فكرة عبقرية .

أخرجت بنطالاً بني اللون يعلوه كنزة ثقيلة من الصوف باللون الأبيض، لتضعهما أعلى الفراش وهي تنظر إلى عيني سارافيم المستفهمة لتردف :

ـ لقد ذكرتني بجنية تعرفت إليها حين قدمت إلى هنا، واستمرت صداقتنا لأعوام وقد جمعني بها حب الموسيقى والعزف، وكان الفضل لها في تعليمي ألحان ومعزوفات خاصة بالجن، ومن خلال آلتها استطعتُ انقاذ حياتي وحياة يوناس في حربٍ كانت الأشرس من بين الكثير التي خاضوها ضد الشياطين.

تساءلت سارافيم بحيرة:



ـ من هذه الفتاة ؟! ولما تذكرتيها الآن ؟!

أجابتها إلينا وهي تدلف غرفة جانبية لترتدي بها ثيابها :

ـ اسمها كان صفوة بنت قسورة، وكانت تعمل في

المفاوضات بين القبائل وفي الحروب، تذكرتها لأنني توقفتُ عن العزف منذ سنوات طوال، وحين حاولت من عدة أيام وأنا أشعر بيأس شديد وشوقي لكل أحبائي يقتلني بعجز، حزنت لأنني لم أستطع عزف مقطوعة واحدة صحيحة.

خرجت بعدما انتهت لتكمل حديثها :

ـ وبعد جلستنا هذه تيقنت أن الحزن يأكل من عزيمتنا ويشرب لدرجة أنه جعلنا نفقد الشعور بأنفاسنا رغم أننا مازلنا أحياء دفعنا اليأس لأن نستلقي ونستسلم لصفعات القدر دون أن نقاوم حتى احساس القنوط الذي يغمرنا بالفشل.

أمسكت إلينا بكفها كي توقفها وهي تقول لها:

ـ سنذهب لصفوة الآن وسأجعلها تعلمني أن أعزف ثانية، وهناك سوف نجد لكِ معًا شغفًا يُعيد لكِ الحياة، فأنا واثقة أنكِ تحملين الكثير من المفاجآت التي لا تدركينها حتى.

أوقفتها سارافيم باعتراض:

ـ انتظري يا إلينا ... أنا لا أستطيع الاندماج ولا التعرف على صديقات جدد، أنتِ تعرفين أنني لا أقدر على ذلك.

شجعتها إلينا بإصرار:

ـ ثقي بي، سنتخطى هذه العقبات معا ويجب علينا أن نحيا من أجل من نحبهم.



هزت رأسها نفيا :

ـ لا أملك أحدًا كي أحيا من أجله يا إلينا.

زمت إلينا شفتيها بأسف وهي تقول لها:

وأخيكِ ؟! وأولاده؟ وجدكِ ؟ وأنا يا سارافيم لا تريدين أن تعيشي لأجلنا

شعرت سارافيم بالضيق لتعتذر لها :

ـ لا أقصد ذلك يا إلينا أنت تعرفين أنني لا أملك عائلة غيركم ولكن ...

أوقفتها عن الاسترسال، وهي تجرها خلفها قائلة:

ـ لا يوجد ولكن انتهى الأمر سنذهب الآن لصفوة وسوف نجد لكِ عملا يليق بكونكِ ابنة بني النعمان وأخت يوناس.

عجزت سارافيم أن تجد ما يوقفها فقررت أن تخضع لإصرارها ، لعلها تستطيع الخروج من هذه الشرنقة التي تضيق عليها حلقتها يوما بعد يوم حتى كادت أن تخنقها .

***

لم تستطع النوم ولو للحظة واحدة طوال الليل، فاستمرت بالدوران حول نفسها تارة وبالجلوس وهي تهز قدميها بعنف تارة أخرى، لم تكن تتوقع أبدًا أنها حين تقص لحفيدها عن الرؤى التي تراودها من حين لآخر عن صبي يناديها أمي أن

تكون تلك هي الحقيقة، لقد صعقت حين أخبرها :

ـ لقد سمعتُ جلبة شديدة قبل مغادرة جدي للقصر المرة الأخيرة التي رأيته فيها ، كان يُمسك وقتها بتلابيب شاب يرتدي



بذلة غريبة الشكل وهذا ما جعلني أركض نحوهم كي أراه عن قرب، حينها سمعت جدي ينهره وهو يقول له:

ـ كيف تجرأ هذا الخسيس على فعل ذلك فحاول الشاب التملص منه وهو يذكره بوعده له أنه لن يؤذيه، وفهمت بعدها أنه من الأرضيين وكان يخبر جدي أنهم فعلوا شيئًا خطيرًا بكِ حين كنتِ في موطنهم، وسمعته قبل أن تدخل عمتي سارافيم عليهم لتخلصه من أبي وتترجاه أن يتركه؛ أن لديهم إبنًا لكِ.

لم تصدق حديثه في بادئ الأمر ولكنها لم تجد تفسيرًا منطقيًا لما يحدث معها سوى ما قاله ومن حينها وهي تشعر بعجز مضاعف، كيف واتتهم الجرأة على فعل هذا الأمر الشنيع ترددت كثيرًا أن تنادي سارافيم لتعرف منها حقيقة الأمر ولكن نعمان الصغير أكد لها أنها لا تعرف شيئًا ولم تسمع ما دار بين جده وهذا الكائن الأرضي، حتى أنه سمعها تسألهم عما حدث ولكن لم يجبها أحد منهم وانصرفوا على الفور، رددت روهان بخفوت وهي تفرك بكفيها بعضهم البعض :

ـ لو كانت تعلم شيئًا عن هذا الأمر، لطرد نعمان زوجها من القصر وعرف منها ما يريده، ولكن الصغير أخبرني أن نعمان انصرف معه على الفور ولم يتركه.

وقفت أمام النافذة المُغلقة لتفتحها على آخرها بضيق شديد وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها بصعوبة، لقد أرسلت الصغير لجده الملك الأبيض كي يستدعيه من المكان الذي يجتمع فيه بملوك الجن منذ شهور، يجب عليه أن يساعدها في هذه الكارثة، ولكنه تأخر كثيرًا وقد أهلكها قلقها عليه..



أخرجها نعمان الصغير من دوامة أفكارها المتلاحقة، لتستدير نحوه بملامح تتعلق بما ينطق به لسانه ليزم شفتيه بنزق ويخبرها بخيبة أمل :

ـ لم أستطع العثور على جدي الملك

سألته باضطراب:

ـ لمَ تأخرت هكذا ؟!

حرك كتفيه وهو يجيبها :

ـ كنت أبحث عنه في أماكن كثيرة، ورغم أنه هو من أخبرني بهذا الموضع تحديداً حتى أجده على الفور حين نحتاجه، إلا أنني لم أعثر عليه هناك.

عضت شفتيها السفلية بغيظ وعيناها تدوران بالغرفة، وهي تفكر في أي حل بديل حتى وجدته، فقامت بإخبار حفيدها:

ـ اذهب أنت الآن لأمك واطمئن على عمتك، وأنا سوف أتدبر أمري.

اقترب منها نعمان معترضا :

ـ لا لن أتركك ولا لحظة واحدة.

تأففت بضجر وهي تقول له بنبرة غلفتها بشدة لم تحدثه بها من قبل:

ـ لا تعارضني يا فتى، وأطع أوامري.

حرك كتفيه بإهمال هو يردد:

ـ لا تحاولي ردعي يا حبيبتي فأنا لن أتركك مهما حاولت.



ابتسمت رغمًا عنها وهي تضرب جبهتها بكفها يائسة :

ـ لقد فشلتُ في السيطرة عليك .

باغتها بقوله:

ـ ما الذي تفكرين في فعله.

زفرت بضيق وهي تطلعه على ما في عقلها :

ـ أريد الذهاب لقبيلة الشنفري، فهناك جني يستطيع

مساعدتي .

ضم نعمان حاجبيه بتساؤل

ـ تعرفينه جيداً ؟ !

أومأت برأسها فاستطرد:

ـ ألا تستطيعين استدعائه إلى هنا ؟!

ارتجفت إثر تذكرها وجوده في غرفتها هي ونعمان وكيف غضب لهذا الأمر بشدة، بالإضافة للشجار الذي دار بينهما آخر مرة وبسببه حدث ما حدث سحبها نعمان من الانجراف في ذكرى هذا اليوم المشؤوم لتجيبه برفض :

ـ لا .. لا أريد مجيئه إلى هنا ونحن لن نستطيع دخول القبيلة، لذلك سوف تنقلني لمكان قريب من مملكتهم وأنا أناديه وأتمنى أن يستطيع مساعدتي.

اقترب منها نعمان وهو يمد لها يده قائلا :

ـ حسنا .. هيا بنا ! .

أمسكت بكفه لينقلها أمام بوابة مملكة قبائل الشنفري،



لتأخذ نفسًا عميقا قبل أن تستدعي عفرين ولكنها حين توقفت رأت شابا يقف على مسافة قريبة منهم يحاول حل الألغاز المرصودة على البوابة الخارجية نظر لها الصغير بغرابة وهي تخطو تجاه الشاب، فأوقفها باستفهام:

ـ ما الذي تفعلينه يا جدتي ؟! دعيه وشأنه وهيا بنا نفعل ما جئنا لأجله .

كانت تجهل لما تسوقها قدماها إليه، ولكن فضولها كان أقوى من أن تحاول فهم ذلك كان يقف باستقامة ورغم أن جسده نحيل لا يشبه أجساد الجن؛ إلا إن وقفته الشامخة جعلتها تتحير من أمره، وكلما اقتربت منه تأكدت أن هيئته ليست جنية، إنه يُشبه الأرضيين إلى حدٍ كبير، توقفت

على مقربة منه وهو مازال على وقفته لا يعيرها اهتمامًا تأملت جسده ووجهه بتدقيق ليتضح لها أنه يملك الكثير من خلقة سارافيم لتتسأل بدهشة ما عمل الأرضيين مع قبيلة الشنفري ؟!

وقف نعمان جوارها بضيق لتستقيم هي بقامتها وهي تضبط وشاحها الذي يغطي الأرض حولها بزهو لتجلي صوتها قبل أن تتحدث لهذا الشاب

ـ ما الذي تفعله هنا يا هذا ؟!

استدار نحوها واقترب منها بسرعة خاطفة اجفلتها ليتأهب نعمان وقد احمرت عيناه غضبًا فأوقفته روهان وهي تنظر لعين الشاب بقوة جعلته يبتسم بخفة وهو يجيبها بصوت هادئ وساحر يُشبه اهالي هذه القبيلة إلى حدٍ كبير :

ـ لا اعتقد أنه من شأنك.



حركت رأسها بسؤال آخر متجاهلة إجابته الفظة:

ـ هل أنت من العماليق ؟!

ضيق عينيه وهو يدقق النظر بعينيها :

أرى أن جزءًا منا يسير في دماءك، رغم هيئتك البشرية.

وقبل أن تتحدث ثانية فتحت البوابة الكبيرة ليخرج منها الحرس الخاص بالقبيلة، فوقف نعمان أمام جدته يفرد عضلاته بقوة بينما يرمقه الشاب الذي بجواره بنظرة جانبية مع ابتسامة متهكمة، وهو يصد هجوم كبير الحرس عليه بسهولة، تعجب نعمان من هجومهم عليهم بهذا الشكل دون أن يفعلوا شيئًا، حاول أن يأخذ جدته ليعود بها للقصر قبل أن يصيبها أذى ولكن أحد الحرس أمسك برقبته يقبض عليها قبل أن يختفي فصرخت روهان ليمسك بها أحدهم من الخلف فاختفى الشاب ليظهر جوار الحارس وبحركة لم تدركها روهان كان يلقي به بعيداً ليطرحه أرضًا ...

ثم نظر لها بتفاخر قبل أن ينتقل إلى آخر، بينما تملص نعمان من يد الحارس المُمسك به بسرعة كبيرة بعدما رأى أن جدته اصبحت في أمانٍ مؤقت، كانت تحرك رأسها يمينا ويسارًا وهي تحاول أن تستوعب ما يحدث أمامها بعجلة تدور على سرعة قصوى، كادت أن تنادي لعفرين ولكنها صمتت لترى كيف سينتهى هذا العراك، وبعد دقائق معدودة وجدت الشاب يقف في منتصف دائرة من الجن المُلقى حوله بعدد يزيد عن العشر، نقلت نظرها لحفيدها الذي وجدته ينظر للشاب بضيق فلم يتخلص إلا من عدد لا يتجاوز الخمس، رفع الشاب كتفيه بخيلاء فقررت أن تنادي عفرين لتفهم ما يجري حولها



هنا، وقبل أن تفتح فمها سمعت صوته يخرج من البوابة ينظر للشاب بفخر وهو يصفق له قائلًا :

ـ اليوم أفضل بكثير يا بني.

وحين تجاوز الباب الضخم وقعت عيناه عليها فاهتزت حدقتيه بشكل واضح جعلها تندهش من توتره الظاهر هذا، وقبل أن تُدرك كان يقف أمامها بلهفة اعتادت عليها وهو يسألها :

ـ لماذا لم تناديني ؟!

ليردف بقلق وذعر :

ـ هل اصابك مكروه ؟!

انتقل نعمان ليقف أمامه بقوة جعلته يعود للخلف خطوة واحدة وهو يستمع لصوته الشديد:

ـ هي بخير، وقد جئنا لأمر محدد فلا تضيع وقتنا أكثر من ذلك .

رمقه عفرين بصلابة، بينما توجه نظر روهان للشاب الذي يقف خلفه لتسأله:

ـ منذ متى وأنت تتخذ طلابًا من الأرضيين ؟!

اجابها بابتسامة زائفة :

ـ هذا آرام، أحد أحفاد الملك ياوي.

رفعت حاجبها بتعجب وهي تقول له:

ـ على حد معلوماتي فإن ياوي لا يملك من الذكور سوى ثلاث، والمتزوج الوحيد بينهم هو ويون زوج سارافيم الذي تركها منذ عامين.



شعرت بارتباكه وهو يجيبها :

ـ لا .. فهو يمتلك ابنا أكبر من ثلاثتهم ولكنه من زوجة توفت منذ عقود، وهذا الأبن ترك السلطة باختياره لأخواته.

رفعت كتفيها بإهمال وهي تقول له:

ـ أريد مساعدتك في أمر ما .

مد لها يده بابتسامة حانية وهو يدعوها :

ـ تعالي معي لمكان آمن وهادئ.

وضع نعمان كفه في يد عفرين بدلاً من جدته وهو ينظر إليه قائلا :

ـ هيا بنا .

اندهش عفرين وهو ينظر ليد الصغير بين كفه، ليرفع بصره مراقبا روهان التي ابتسمت لحفيدها. وهي تقول له:

ـ انتظرني هنا يا صغيري لن اتأخر .

حدق بها نعمان وقد تغير لون عينيه للأزرق القاتم، فحركت رأسها بالنفي نحو عفرين وهي تقول له:

ـ لن أترك نعمان هنا سيأتي معنا.

صك عفرين اسنانه ،بغيظ فقد انتظر هذا اللقاء لسنوات كي يخبرها عن ابنهما ويحاول أن يضمها لجانبه، فقد تركها تنهي حزنها على زوجها ما يكفي من الوقت وآن الآوان أن تُصبح له بأي ثمن



ولكن هذا الصغير اللعين لن يدع له فرصة معها بمفردهما زفر بضيق وهو يمد يده الأخرى لروهان وقبل أن تتمسك بطرفها قبض عليها نعمان بذراعه الثانية، شعرت بالفخر على حميته التي تُشبه جده وقد ازداد حنينها لزوجها اضعاف وهي تهمس له :

ـ لم تترك لجدك صفة واحدة يتفرد بها يا فتى، لقد بدأت أشفق على من سيختارها قلبك

نظر لها بجانب عينيه وهو يقول لعفرين:

ـ هل سننتظر هنا كثيرًا ؟!

انتقل بهم عفرين لغرفة جانبية بقصره وهو يحبس غضبه بداخله قائلا :

ـ كيف أساعدكما .

الفصل الرابع



نظرت لساعة يدها وجدتها قد أصبحت الخامسة صباحًا، وقفت وجسدها بأكمله يهتز بغضب شديد، لقد حكمت عليها جدتها بالمكوث في هذه الغرفة البائسة سبعة أيام لن ترى بهم ضوء الشمس، شعرت بالاختناق فتعالت صرخاتها المكتومة بغيظ شديد وهي تتوعد من أخبرهم بمحادثتها القصيرة مع الجني، ولم يكتفي بذلك بل أشعل نارا فوق النار وابلغ جدتها أنها تركته يهرب بإرادتها ولم تمنعه ولا حتى بصوتها بأن تنادي على المعلم يزيد وتخبره بوجهة هذا المتمرد الحقير ...

ـ حين أعرف هذا الخسيس اقسم أنني لن اتوانى لحظة عن تعذيبه .

اعادت النظر لساعاتها التي اقتربت على الخامسة والنصف، فازداد توترها لتبدأ في خبط رأسها في الحائط خلفها وهي تفكر في حل سريع لهذه النكبة التي احلت بها ..

لقد اقترب موعد المرأة التي ستخبرها بكل ما يحدث من تجاوزات واستغلال للمرضى والمصابين داخل الضريح، وفوق هذا ستعرف منها ما قصة هذا الجني؟ وحين تثبت براءته بالتأكيد سوف تتبرأ أمام عائلتها التي نبذتها مع أول خطأ صدر منها .

ازدادت حدة تخبط رأسها بالجدار وهي تتذكر صوت جدتها القاسي وهي تنهرها :

ـ كنت أشعر أنكِ لا تصلحين لتكوني من أفراد محكمتنا المقدسة، ولكني كذبتُ حدسي للمرة الأولى وقررتُ اعطائكِ الوقت الكافي لكي تُثبتي مهاراتك، وحين جاءتك الفرصة على طبقٍ من ذهب بدلاً من أن تقتنصيها قمتِ بفعلة لم يسبقك إليها أحد، لم نكن نتصور أنك بهذا الجبن والخنوع لدرجة أنك تتركين أحد النواقم ليهربوا هكذا من أمام ناظركِ دون أن تحركي ساكن حقا لقد خاب أملنا بك يا ميلاف



ظلت نبرة جدتها الصلبة تتردد في اذنها، بينما وجوه اعمامها وأخيها التوأم الغاضبة تأبى أن تختفي من أمام عينيها ، تباطأت حركة رأسها العصبية وصدى كلمة (النواقم) تدوي داخل

مسامعها لتقف بثبات وعينيها الأبية تلمع بتحدٍ واضح وهي تهمس بحزم:

ـ يا شيث بن آب.. احضر هنا في الحال.

حبست أنفاسها وأغمضت عينيها وهي تعيد ندائه مرة تلو المرة وبين كل ثلاث نداءات تُتمتم بكلمات استحضار قد حفظتها من كتاب جدها الذي قرأته في الصباح، توقفت حين شعرت برياح خفيفة تدور حولها حتى خفتت، ليأتيها صوته الأجش بنبرة غلفتها الحيرة :

ـ ما هذا العبث يا فتاة ؟!

لقد نطق كلمتها الاعتراضية المعتادة نظر لوجهها الهادئ بإعجاب شديد وهو لا يصدق أنها بالفعل قامت باستدعائه، لقد ظن للحظة أنه لن يراها ثانية، ولكن يبدو أن القدر له رأيٌ آخر ..

فتحت عينيها سريعًا بشجاعة وهي ترفع حاجبيها لتجيبه بحنق:

ـ العبث هو أن أسجن في هذا المكان العفن بسببك أنت.

ضيق عينيه بدهشة وهو يدقق النظر بحدقتيها الثابتتين أمامه بقوة مبهرة وهو يُحدثها :

ـ بسببي أنا ؟!



ألقت نظرة خاطفة على ساعتها التي وصلت للسادسة، وبدأت على عجل بشرح ما حدث لها، ثم ختمت ما جرى بقولها :

ـ والآن يجب أن تخرجني من هنا كي اقابل المرأة التي سكنتَ جسدها كي تثبت براءتك وبالتالي براءتي.

عاد خطوة للخلف وهو يخاطبها بتعجب بالغ :

ـ هل جننت يا فتاة ؟ تريدين مني نقلك في مكان بالقرب من الضريح المحاط بتعاويذ تُظهر الجن المجردين أمامه ؟! وليس هذا وحسب؛ بل تريدين مني : نقلك للساحرة التي جعلتني اسكن جسدها قسرًا لتستطيع ولوج المحكمة لسبب لن أبوح به لكِ بالتأكيد .

جحظت عينيها بذهول وهي تردد:

ـ جعلتك تسكن جسدها قسرًا ؟! كيف فعلت ذلك ؟!

رفع زاوية فمه بابتسامة متهكمة وهو يسألها بغرابة:

ـ الا تعرفين ؟!

حركت رأسها بالنفي، فأردف باستهزاء:

ـ هل أنتِ واثقة من أنكِ أحد أحفاد بويا عمر ؟!

اجابته بسؤال ظنه ساخر:

ـ وهل يجب عليَّ تعلم السحر والشعوذة وتسخير الجان حتى أستطيع التفاخر باللقب؟!



ضيق عينيه التي تلونت باللون الأصفر وهو يحدق بها، ليتبين له أنها بالفعل لا تكذب من الواضح أنها لا تعلم شيء عما يدور في هذا الضريح، لذلك لم تمسك بعد منصبها كما سمع، رغم استحواذ أخيها التوأم على أعلى المقامات وسط الموالين اخرجته من شروده بصوتها وهي تفرقع أمامه بأصبعيها :

ـ هل ستتأمل وجهي وأنت تضيق عينيك هكذا لوقت أطول ؟!

تنحنح بحرج وهو يرفع عينيه عنها قائلا :

ـ لن أستطيع نقلك لأي مكان خارج هذه الغرفة المنعزلة عن القصر والضريح، وخاصة لمقابلة هذه الساحرة التي بالتأكيد قد كذبت عليكِ وإن لم تتبيني أن ما حدث لكِ بسببها فأنتِ بالفعل أمامكِ الكثير حتى تستطيعين الانضمام للموالين.

رفرفت أهدابها بحيرة وقد أوضح لها هذا الجني شيئا قد غاب عنها، فسألته بتيه قد امتلكها منذ محادثة تلك الساحرة:

ـ ما الذي تقصده ؟! كيف فعلت هذا بي وهي حين خرجت من المكتب مع كبير الحرس دخلت الخادمة تطلبني لمقابلة جدتي على الفور

ضم حاجبيه وهو يقرب وجهها منها مجيبا

ـ هل تتوقعين أن مجرد ما خطت قدماك داخل الضريح، لم يركض أحد الحرس لجدتك كي يخبرها ما جعلها تسجنكِ هنا ؟!



حركت رأسها باستفهام وهي تقول له:

ـ وكيف عرف أحد الحرس هذا أنني أبحث عن هذه الساحرة بالذات؟! والسؤال الأهم من شاهدني وأنا اتحدث معك ولم تتعدى محادثتنا حتى دقيقة؟! ولما لم يبلغ عنك فور رؤيتك معي ؟!

اجابها بنفاد صبر:

ـ حرس الضريح يسكنون شقوق جدرانه منذ أمد بعيد، مؤكد قد لاحظكِ أحدهم وأنتِ تراقبين الساحرة وعلم أنك ستدلفين خلفها لتسألي عما تفعله، لذا تركك تحققين انتصارًا مؤقتاً، ليفعل هو فعلته التي سوف تجعلك تبتعدين عنهم مدة كافية

كي ينهوا بها ما جاءت الساحرة لأجله.

عاد بظهره كي يستند على الجدار خلفه وهو يضم ذراعيه بعضها لبعض وهو يستطرد:

ـ لم يُبلغ عني حتى ! لا يفتضح أمرهم، فمن مصلحتهم هروبي لذا فقد منحوني بعض الوقت بالتخفي حتى استطعت تشتيت المعلم يزيد وتم هروبي من المنطقة بأكملها بعد ما أكملت الصفقة المتفق عليها مع الساحرة.

اقتربت منه وحدقتيها تشتعل بالنيران المتصاعدة لرأسها، لتدفعه بكلتا يديها وبكل ما امتلكت من قوة؛ وكأنها نحلة صغيرة تسدد ضربة لشجرة صلبة

ـ هل تجرؤ على قول كلمة قسرًا وأنت تعقد صفقات من السحرة أيها الخسيس، وفوق هذا تورطني أنا بأفعالك الشائنة هذه ؟!



أمسك بكلتا كفيها بقوة وأظلمت عيناه بغضب قد احكمه بجهد كبير وهو يخفف قبضة على يديها، فهذه المرة الثانية التي تستخف به وتعنفه بهذا الشكل المهين، قرب وجهه منها ليرى حدقتيها اللتان اهتزتا بوضوح من قربه وتقييده لها هكذا، ليخرج صوته الثابت بشدة أجفلتها :

ـ هذه المرة الثانية التي تقومين فيها بإهانتي رغم أنني حذرتكِ في المرة الأولى، وإلى الآن لم يظهر لك أنني السبب في احتجازكِ هُنا كعقوبة خفيفة على تجاوزك لحدود اللباقة والأدب معي، ولكنك تعيدين الأمر دون خوف ولا حتى ذرة احترام

ابتلعت ريقها بصعوبةٍ وهي تعيد كلماته على مسامعها ...

(مؤكد لاحظك أحدهم وأنتِ تراقبين الساحرة.. كي ينهوا ما جاءت لأجله.. منحوني بعض الوقت بالتخفي حتى استطعت تشتيت المعلم يزيد .. صفقة .. ساحرة .. عقوبة)

انتهت من محادثته بعدما ربطت الخيوط ببعضها لتعود حدقتيها الثابتتان موضعهما وهي تسأله دون أن تسحب يدها من قبضته:

ـ ما الذي تريده من داخل الضريح ؟!

ترك كفيها بهدوء وهو يرفع زاوية فمه بابتسامة عبثية قائلاً:

ـ صدقيني لن ترغبي بمعرفة ذلك، والآن سأصفح عنك هذه المرة، وذلك لأنكِ استطعتِ مساعدتي حتى وإن لم تدركي هذا .

اختفى من أمامها ولكن صوته الهامس اقتحم مسامعها:



ـ لا تناديني مرة ثانية.

ادارات وجهها تجاه الصوت وهي تهمس له كما فعل:

ـ لا تقلق .. فسوف تأتي بمفردك ترجوني لمساعدتك، وحينها لن تنسى ميلاف بنت بويا عمر مهما حييت

******

وقف يوناس حائرًا على بوابات مملكة الزفات المملكة التي حارب الشياطين من أجلها في أول معركة قد أوكلها له ابيه ليقود الجيش بأكمله اخرجته روهان من دوامته متسائلة:

ـ ما بك يا أبي تقف هكذا ؟! هيا ندلف للداخل.

هز رأسه نفيًا وعيناه لا تفارقان البوابة لا يمكن أن يكون الحل قريبًا بهذا الشكل بالتأكيد هناك خطأ ما لا ندركه

تأففت الصغيرة بضيق وهي تقول له:

ـ أنا واثقة مما أخرجته من الساحرة، أنا أعلم جيدا أنني لم أقدر على السيطرة عليها سوى بضعة ثوان قبل أن أخرج من فمها أسم المملكة، فهذه العجوز ليست هينة على الأطلاق، ولكن ورغم ذلك لا تشك ولا لحظة واحدة أن الحجر هنا .

حدثها بنفاد صبر :

ـ افهمي الأمر يا فتاة أنا لا أشكك فيما استطعنا حصوله من العجوز، ولكن لدي يقين بأنه لا يوجد خائن هنا يقدر على مراقبتي وسرقتي أنتِ لا تعرفين هؤلاء؛ فالخونة منهم لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة وأنا اعرفهم جميعًا.



ارتبكت روهان من حديث أبيها، ودار عقلها مثله في تحليل الأمر، كيف تنطق العجوز بإسم المملكة بعدما أعادت عليها السؤال خمس مرات لتجيب نفس الإجابة دون أن تخبرهم بإسم السارق، والآن يؤكد لها أبيها أن هذه المملكة لا يوجد بها خونة، هل من الممكن أن يكون السارق في المملكة ولا يعرف عن أمرهم شئ ؟!

وعلى الفور أخبرت يوناس ما يدور بعقلها :

ـ ألم تخبرني أن هذه المملكة وسكانها وجميع من ينتمي لها يعملون في جمع اللآلئ والأحجار الثمينة وجمع الكنوز من داخل الأرض ؟!

ضيق عينيه وهو يجيبها :

ـ هذا صحيح.

رفعت حاجبها وهي تنظر له لتكمل:

ـ هل من الممكن أن يكون من أخذ الحجر لا يعرف بوجودنا، فقط أتى ليجمع الأحجار الثمينة.

حرك رأسه وهو يزم شفتيه بنزق قائلا:

ـ لا أظن ذلك، فقد كان في هذا المنجم نوعان من الأحجار أغلى وأثمن من الزفير.

امتعضت ملامح روهان وهي تتقدم أبيها نحو البوابة:

ـ دعنا ندلف للداخل أولاً وحينها سنستطيع معرفة الحقيقة.

سبقها يوناس داخل المملكة وهو ينادي على ملكة الزفات لتأتيه على الفور بنفسها محيية:



ـ لقد أثرت وشرفت مملكتنا يا قائد الجيوش.

ابتسم لها يوناس بحبور وهو يحرك رأسه بتحية وقار واحترام :

ـ الشرف لي يا ميرة.

تقدمته روهان وقد انقلبت عينيها للون الأزرق الداكن وهي تتأمل وجه الملكة (لالة ميرة) لتمرر عينيها على شعرها الأصفر الطويل الذي زينته بتاج ذهبي مرصع بالكهرمان الأصفر اللامع، وترتدي فستان طويل باللون الأصفر يبرز جمال

جسدها الفاره لتستقر عينيها على ابتسامة الملكة التي تحييها بها وهي تمد لها يدها بالسلام :

ـ اهلاً بك في مملكتنا .

تجاهلت روهان يدها الممدودة بتعمد ليحاوطها يوناس بذراعه وهو يمد للملكة يد روهان بالقوة قائلا :

ـ هذه ابنتي روهان .

حدقت بها ميرة بحنق لما فعلته من حركة مهينة لها، ولكنها تجاهلت الأمر سريعا وهي تنظر ليوناس:

ـ اهلا بك وبها، تفضلا معي للقصر.

تبعها الأثنان تجاه قصرها الكبير الذي يتميز بالون الأصفر أيضًا، تجاوزا الحرس المرصوصين على الجانبين، وجلست الملكة على عرشها وهي تشير ليوناس وابنته للجلوس أمامها ..

جلس الاثنان أمامها ليبدأ يوناس حديثه:

ـ لقد جئت إلى هنا آأمل مساعدتك.



لم تتردد لحظة في قولها له:

ـ وأنا ومملكتي رهن إشارة منك.

اشتعلت عين روهان بالغضب من تودد هذه الملكة لأبيها بهذا الشكل السافر، ليُخرج يوناس لفافة يخبئها في ملابسه تحوي حجرًا أحمر اللون ليريها إياه وهو يقترب منها قائلا :

ـ أريد أصل الحجر هذا .

القت نظرة سريعة عليه قبل أن ترسم ابتسامة هادئة على شفتيها وهي تقول له:

ـ لحظة واحدة وسوف آتي لك بأصله في الحال.

أمسك يوناس بيدها قبل أن تنتقل وهو يدقق النظر في عينيها ذات اللون الأصفر، متسائلاً:

ـ هل تعرفين نوع هذا الحجر ؟!

أجابته وهي تنظر لكفه القابض على ذراعها :

ـ نعم هذا حجر زفير نجمي .

وقفت روهان بانفعال أمامها وهي تزيل يد أبيها الممسكة بذراع ميرا بعنف قائلة:

ـ الزفير النجمي الذي نريده لونه ليس بأحمر.

أمت برأسها مرددةً وهي توجه حديثها ليوناس:

ـ أعرف هذا الحجر الذي تحمله تغيير لونه لسبب ما، أصله هو باللون الأزرق.

حرك يوناس رأسه بإيجاب لتختفي ميرة من أمامهم، التفت تجاه ابنته بسخط وهو يقول لها:



ـ ما هذا السلوك العدائي والذي ينم عن سوء احترام وتربية أمام الملوك يا روهان ؟!

حدقت به ابنته وهي تصك اسنانها بغيظ لتجيبه:

ـ ألا ترى ما تفعله هذه الفاسقة معك

جحظت عيناه بدهشة من نعتها لملكة تحكم أحد الممالك السبع بالفاسقة

ـ هل جننت ما الذي تقولينه؟!

اقتربت منه حتى التصقت بوجهه وهي تتطلع لحدقتيه قائلة:

ـ أنا آسفة، ولكنك لم تعد تعي نوايا من هم على شاكلتها.

ابتسم رغمًا عنه وهو ينظر لطفلته التي أصبحت شابة على الفور وتناقشه في نوايا النساء، لتردف روهان بجدية كبيرة:

ـ اراهنك أنها هي التي سرقت الحجر حتى تأتيها إلى هنا.

صدح صوت ميرة الهادئ من خلف روهان

ـ لا أنا ولا أحد من جنودي نجرؤ على سرقة قائد الجيوش يا فتاة، تأكدي من ذلك.

التفتت لها روهان بثباتٍ دون أن يرف لها جفن لتجابهها بالقول:

ـ سوف نكتشف هذا الأمر، لا تقلقي

شعر يوناس بالحرج من هذا الموقف الذي وضعته به ابنته أمام الملكة ليسحبها سريعًا كي تقف خلفه ليواجه هو ميرة قائلًا :



ـ اعتذر منك على شكوك ابنتي فهي تعاني من مشكلة كبيرة في الثقة.

تجهم وجهها وهي تخاطبه بينما عينيها تحدق بروهان التي تقف خلفه

ـ يجب أن تعلم ابنتك أننا نحن ممالك المسلمين لا نخون بعضنا البعض، وجزاء من يفعل ذلك هو الحرق حيا ولا يوجد حكم مخفف للخيانة بيننا .

رفع يوناس كفيه باستسلام وهو يقول لها:

ـ تملكين كل الحق في أن تغضبي مما سمعته و

ولكني أعلم أنك سوف تراعين صغر سنها، وتتفهمين تهورها هذا.

فتحت كفها أمامه لتناوله للحجر قائلة:

لأجلك أنت سأتغاضى عن أي اهانة وجهتها لي ابنتك، شرُفتُ لخدمتك يا قائدي العزيز .

استشاط جسد روهان من خلفه وهي تدرك أن هذه الحرباء تضايقها بكلماتها المتلطفة لأبيها عمداً ...

أخذ يوناس الحجر من كفها بسعادة بالغة وهو يشكرها بامتنان على مساعدتها :

ـ لا أجد من الكلمات ما يسعفني كي اثني عليك، أنا ممتن جداً لمساعدتك الغالية هذه ولن أنساها مهما حييت.

ارخت ذراعيها على جانبيها وهي تقترب منه بشكل ملحوظ :

ـ لو قضيت عمري الباقي كي أرد لك معروفك وما فعلته لأجلنا، لن أوفيك هذا الحق.



وبحركة سريعة سحبته ابنته للخلف وهي تجر كفه الموضوع به الحجر قائلة:

ـ ارني هذا الحجر .

قبض على ذراع ابنته وهو يحاول رسم بسمة هادئة على ملامحه موجهًا حديثه لميرة التي انقلب وجهها للون الأحمر:

ـ سنذهب الآن، واتمنى أن أراكِ دائما في أحسن حال.

اكتفى بإيماءة منها وانصرف على الفور وبيده ابنته التي انتقل بها لمنزل شيث فوجده يجلس بانتظارهم متسائلاً:

ـ هل استطعم إيجاد الحجر ؟!

لم يجيبه يوناس وهو يزيل يد روهان من كفه ويحدثها بانفعال شديد

ـ من أين اتتك الجرأة على اتهام أحد الملوك العظام بالسرقة وأين ونحن في قصره ؟! لقد فقدت عقلك يا فتاة وهذا الفعل لن أمرره لكِ أبدًا.

وقف شيث بجواره وهو يراقبهما مرددًا:

ـ ماذا حدث معكما ؟!

رفع يوناس ذراعه يشير إلى ابنته بحنق قائلا :

ـ قل ما الذي فعلته هذه الحمقاء، وكيف وضعتني في موقف عصيب مع الملكة ميرة .

حركت روهان رأسها بإهمال لما قاله أبيها، لتوجه بصرها لشيث متسائلة:

ـ هل تمكنت ساحرتك من إيجاد المرآة.



تأفف بضجر وهو يجيبها :

ـ للأسف لم تجدها في الضريح بأكمله، فيبدوا أن ما عرفته عن موضعها ليس صحيحًا، لقد أمضيت سنة كاملة لأجدها وكان هذا آخر مكان أستطيع البحث به.

ضمت روهان حاجبيها وهي تريد أن تستوضح منه الأمر:

ـ ما الذي تريده من المرآة حتى تبحث عنها عامًا كاملا ؟!

تنهد شيث بحزن وهو يجيبها :

ـ والدة سليمان تعاني من مرض ،نادر، وقد ظهر مؤخرًا على الصغير علامات نفس المرض، لذا كنت أبحث عنها كي أبرء سقمهما عن طريق سحر المرآة.

اغتمت ملامح روهان وقد خفت صوتها بقلقٍ ظاهر :

ـ هل هذا المرض يهدد حياة سليمان ؟!

حرك رأسه إيجابًا، فالتاع قلبها لأجله وآثرت الصمت وقد انقلب حالها للحزن الشديد فعلق يوناس على محادثتهما بنفاد صبر :

ـ كلما تقدمنا خطوة عدنا عشرات، لقد اقتربت من حافة الجنون .

عاد شيث ليجلس موضعه وهو يخبرهما بما يضيق به صدره :

ـ أعرف امرأة تستطيع أن تجلبها لنا.

اقترب منه يوناس بلهفة وهو يقول له:

ـ وما الذي تنتظره إذا يا شيث ؟!

زفر بضيق وهو يُخبره:

ـ لن أتمكن من دفع ثمن مساعدتها .



الفصل الخامس



جلس شيث حائرًا بينهما وقد لان صوت روهان وهي تحاول إقناعه بالأمر:

ـ لقد اقسمت لكَ على كتاب الله أنها لن تمس بسوء، أرجوك يا شيث ثق بي .

تعلقت عين شيث بيوناس الذي يجلس بهدوء جواره لتستطرد روهان بحماس:

ـ لقد تمكنت من السيطرة على الشياطين والجن يا شيث فهل سيعجزني فتاة من الأنس ؟!

تبرمت شفتاه وهو يزفر بقوة :

ـ أنا أعلم عن قدراتك الكثير يا روهان، لذلك لا أشعر بالراحة من اقتراحك هذا .

أنهى جملته ووقف يتنصب بجسده قائلًا لهما :

ـ سأعود الآن إليها وأحاول بقدر ما امكنني أن اقنعها بمساعدتنا، وإن فشلتُ بإقناعها سوف استدعيكِ لتفعلي ما تبغينه

أعادت روهان ظهرها للخلف وهي تشبك ذراعيها بعضهما البعض متمتمة :

ـ لا أجد تفسيرًا منطقيًا لتفكير هؤلاء المتخاذلين من الجن.

قرب يوناس رأسه من أذن ابنته وهو يهمس لها:

ـ يبدو أن صديقي قد وقع في فخ الأنس.



ادارت رأسها تجاهه وهي تقول له بخفوت:

ـ المرء على دين خليله.

اخفى يوناس ابتسامته بشق الأنفس حين رأى شيث يضم حاجبيه نحوها قائلا:

ـ ما بكما تتهامسان هكذا مثل العشاق ؟!

حركت روهان كتفيها وهي تزم شفتيها مجيبة

ـ حتى مثالك يُظهر ما بداخلك.

اقترب منها وهو يضيق عينيه بتحدٍ : قائلا :

ـ ما الذي تقصدينه يا فتاة ؟!

فعلت مثلما فعل واقتربت بوجهها منه لتحدثه بنفس نبرته التحذيرية:

ـ ما فهمته بالضبط يا رجل

وقف يوناس حاجزًا بينهما ليبعد عنها شيث وجسده يهتز بقهقهة خفية

ـ هيا أذهب للأنسية ولا تضيع وقتنا، فلم يتبق لنا على اصطفاف النجوم سوى بضعة ساعات قليلة، ولو تجاوزناها سنمضي سنة كاملة أخرى لنبلغ هذا الوقت.

دارات حدقتيه بتوتر وهو يقول له:

ـ حسنا سوف أذهب الآن، ادع الله لي بالتوفيق معها.

انفلتت ضحكة عالية من روهان فرفع شيث ذراعه نحوها وهو يشير إليها بسبابته متوعداً:



ـ لن أمررها لك، تذكري ذلك.

رفعت صوتها بذات الضحكة العالية وهي تحرك رأسها نحوه قائلة:

ـ حسنًا يا ولهان لن أنسى ذلك.

اختفى شيث من أمامهما منزعجًا من روهان تارة وممن سيقابلها الآن ولا يعرف كيفية اقناعها بمساعدته تارة أخرى،

لقد طغى صوتها على مسامعه وهي تخاطبه بذات الثقة التي تمتلكها بطريقة لم يجدها على أنسية غيرها ولا حتى هؤلاء السحرة الذين يعرفهم جميعًا، لا يكتسبون ولو جزء بسيط من تلك الجراءة التي تزين نظراتها وصوتها ...

(لا تقلق.. فسوف تأتي بمفردك ترجوني لمساعدتك، وحينها لن تنسى ميلاف بنت بويا عمر مهما حييت)

همس بتنهيدة خرجت من أعماق صدره :

(ما الذي تنوين فعله معي يا ميلاف ؟!)

ظهر في الغرفة التي ما زالت محتجزة بها، وجدها تجلس على أرضية الغرفة تضم ركبتيها لصدرها وتستند برأسها على قدميها المطويتان ،بثبات تسلل إليها بهدوء يتأمل جسدها الساكن سكون الموتى ليتسلل شعور القلق إلى قلبه وهو أن يحدثها فيفزعها، ليأتيه صوتها من بين قدميها

مرتاب من وهي تخاطبه بذات الجبروت التي تمتلكه في نبرتها المميزة:

ـ لقد أخبرتك أنك ستعود لترجو مساعدتي.

أدام النظر نحوها وهي ترفع رأسها وتقوم من مقامها بوقفة صلبة وابتسامة تداعب شفتيها بانتصار كبير جعله يتردد في طلبه



ولكنه لم يملك خيار آخر فلم يتبق سوى القليل من الوقت، عزم أمره ودون تملق قال لها مباشرة:

ـ أريد مرآة بويا عمر .

لم تتوقع أن يطلب منها أمرًا كهذا إثر ما فعله بها وبهذا الوضوح، لذا قررت أن تكون مباشرة مثله فرفعت حاجبها اليمين وهي تسأله:

ـ وما المقابل ؟!

كان يتوقع سؤالها هذا ، ولكنه لم يُخمن الثمن الحقيقي الذي تريده، لذا عرض عليها عرضه الأول:

ـ سأخرجك من هنا، وأقوم بتبرئتك أمام عائلتك. غمزت بعينها وهي ترفع زاوية شفتيها بعدم اقتناع وهي تردد:

ـ لم يعد سوى أيام قليلة لخروجي من هنا، ولدي قدرة عظيمة لا تتخيلها أنت في تبرئة نفسي لذا ..

قاطعها وعيناه الرمادية تضئ في ظلام الغرفة

ـ سوف أخضع للموالين وأتلقى جزائي.

لم تتوقع ذلك ، ولكنها استغلت عرضه الخطير هذا باستمتاع :

ـ جزاءك هو الحرق أيها الجني، هل تعلم هذا ؟!

حرك رأسه إيجابًا وهو يقول لها:

ـ نعم .. ألا تريدين ذلك ؟ ؟

اقتربت منه بغضب وهي تقول له:

ـ بل اشتهي هذه اللحظة كثيرًا، وسأبذل قصاري جهدي أن يكون حرقك في اليوم الأول لاستلامي منصبي



ابتسم أمام وجهها وهو يحافظ على رابطة جأشه بقوة اربكتها، لتستطرد بسؤال فاجئه وهي تراقب حدقتيه بدقة:

ـ ما الذي تريده من المرآة ؟!

راوغها بقوله:

ـ ما الذي سيحدث لو رفضت الاجابة ؟!

حركت كتفيها قائلة:

ـ لن تحصل عليها بالتأكيد.

لم يُحرك جسده ولا رأسه ولا حتى عيناه أمامها وهو يجيب:

ـ هناك سببان الأول هو شفاء صبي من الإنس وأمه، تستطيعين القول بأنه صديقي الوحيد في عالمكم.

رفرفت أهدابها بقوة فقد باغتها على حين غرة بسبب نبيل كهذا بالطبع لم تكن تتوقع ذلك في حالة أنه صادق وإلا يحاول استمالتها ..

أردف شيث وهو يتأمل عينيها الحائرة:

ـ الثاني هو مساعدة صديق لي من الجن أدين له بحياتي.

ضيقت عينيها وقد تعالت انفاسها بتوتر وهي تقول له:

ـ ما الذي يريده الجني من المرآة؟!

استسلم لإجابة سؤلها ولكن قبل أن يجيب ابتسم قائلاً:

ـ سيكون هذا آخر سؤال أجيبك عليه.



اشارت برأسها نحوه وهي ترفع سبابتها محذرة إياه:

ـ لا تتشرط علي يا هذا، لقد أخبرتك أنك ستدفع الثمن غاليا على الفخ الذي أوقعتني بـه

ضيق عينيه قائلا :

ـ ألن يكفيك حرقي حيا ؟!

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تصر على معرفة ما تريد:

ـ لا تضيع وقتي وأجب على سؤالي.

أجابها بنفاد صبر :

ـ يريد أن يُحدث والده الذي يسجن في الخواء منذ سنوات.

زمت شفتيها قائلة:

ـ ما هذا الخواء ؟!

وقبل أن يعترض أردفت:

ـ ثم أن المرأة لا تفعل ذلك هي فقط تشفى بعض أمراض الإنس وتسيطر على الجان، أم أن هناك قدرات أخرى لا أعلم عنها شئ ؟!

رفع كفه أمامها ليوقفها عن الاسترسال قائلًا :

ـ ويحك يا فتاة اهدأي قليلًا، أنا لا أملك الوقت لأجيب على كل هذا، هل ستساعدينني أم لا ؟!

اجابته بسؤال آخر:

ـ لم أنت متعجل هكذا ؟!



صك أسنانه بغيظ فرفعت سبابتها أمامه :

ـ جاوب .

همس بضيق وهو يردد:

ـ ليتني أطعت الملعونة الصغيرة واختصرت كل هذا .

وضعت كفها على خدها وهي تحدق به قائلة:

ـ من هي الملعونة الصغيرة هذه ؟!

كاد أن ينفجر غضبًا ولكنه حاول السيطرة على حالة الهياج التي أصابته لتشعر على الفور أنها في خطر بعدما احمر وجهه واسودت عيناه بهذا الشكل فحاولت أن تنقذ نفسها سريعًا مما أوصلته له:

ـ حسنًا .. سوف أتي لك بالمرآة ولكن هناك شرطان لن اتنازل عنهما .

آثر الصمت لتستطرد على عجل

ـ سوف تأخذني معك، لن أترك المرأة في يدك دوني فأنا لا أضمن عودتك وتنفيذ ما اتفقنا عليه.

قال لها من بين أسنانه:

ـ الثاني.

تنهدت قبل أن تقول له:

ـ سترجعني إلى هنا قبل أن ينقضي أسبوع الاحتجاز هذا وبعدما أخرج من هنا سنتدبر حيلة أسلمك بها للمحكمة وحينها سيضمنون ولائي وأنني استحق هذا المنصب.



اكتفى بإيماءة من رأسه، فمدت له يدها وهي تقول له:

ـ انقلني للبهو الكبير ولكن دون أن يرانا أحد .

أمسك بيدها فقشعر بدنه آثر لمستها ليشعر على الفور برجفة أصابتها هي الأخرى مصاحبة لعلامات الاضطراب التي ظهرت على على وجهها المتلون باللون الوردي من الخجل لم يتأملها كثيرًا فرفع بصره من عليها منتقلًا بها للبهو، تسللت وهو خلفها لتدلف داخل الغرفة السرية الخاصة بهم لعدة دقائق قبل أن تخرج بالمرآة، ناولته يدها ثانية فتعجب أنها لم تعطيه المرآة، ليجدها تقترب منه هامسة:

ـ انقلني لغرفتي أولاً كي أبدل ثيابي.

قبض على كفها الذي ارتعش داخل يده، فتجاهل الأمر حتى أوصلها لغرفتها تركت يده سريعًا وركضت نحو خزانتها لتأخذ منها ثيابها، ثم التفتت نحوه قائلة:

ـ سأجازف بالوثوق بك فلا تجعلني أندم لم يفهم مرادها في بادئ الأمر حتى خطت نحوه وهي تعطيه المرآة:

ـ أحتاج حماما سريعًا ، لن تتحرك من هنا إلا معي.

لم تنتظر منه ردًا وعلى عجل دخلت من باب آخر، دار بعينيه في غرفتها الغريبة بالنسبة له فقد لونتها باللون الوردي الفاتح، بينما جعلت لون الأثاث كله أبيض، لفت انتباهه أرجوحة مصنوعة من الخوص والصوف معا علقتها قُرب النافذة الكبيرة أمام فراشها رغمًا عنه ابتسم وهو يتخيل كيف أن هذا الجبروت يمتلك هذه الرقة والنعومة التي تظهر في غرفتها



وعلى وجهها وكأنها اختارت الغرفة لتتلون بوجهها الأبيض ووجنتيها الورديتين، وبينما هو يتأمل غرفتها الحالمة بتدقيق كبير، سمع صوت الباب الذي دلفت منه يُفتح على مصراعيه ليجدها تعبره وهي تشك أنه مؤكد هرب منها، ولكنها وجدته يقف في نفس الموضع الذي تركته به خلف
باب الغرفة وقعت عيناه عليها فاهتزت حدقتيه بتوتر ليتبدل لونها الرمادي للون الأخضر الفاتح المماثل للون ثوبها الذي خطف بصره للوهلة الأولى اقتربت منه وهي تبتسم نحوه، ثم توجهت لموضع آخر في غرفتها لتأخذ غرضًا لم يتبين هويته فقد كانت لفافة قماشية قديمة خطت تجاهه وهي تسلمه إياه قائلة:

ـ هذه هي المرآة الحقيقة التي بيدك مرآة مزيفة نضعها في المكتبة السرية كتمويه لو قرر أحد من العائلة خيانتنا .

رفع حاجبيه بتعجب فاستطردت:

ـ تظل المرآة مع أحفاد بويا عمر المختارين فقط، فهي في حوزتي أنا وأخي.

ناولها المرأة المزيفة وهو يفتح لها كفه قائلا :

ـ هل نستطيع الانتقال الآن ؟!

أمسكت بكفه وهي تحرك شعرها للخلف ففاحت رائحته العطرة اجواء المكان فأغمض شيث عيناه وهو يستنشق عبيرها الذي اسكره لتفاجأه بسؤالها:

ـ هل صديقاك هذان يستحقان أن تضحي بحياتك لأجلهم؟!

فتح عينيه التي عادت للون الرمادي مرة أخرى، وهو يجيبها باقتضاب :



ـ نعم .. يستحقان ذلك.

ثم انتقل بها لمنزله ليقف الاثنان أمام يوناس وروهان اللذان جحظت عينيهما من رؤيتها، بينما شددت هي من التمسك بكف شيث الذي نظر ليدها التي تتشبث به بدهشة، ليرفع بصره نحوهما قائلًا :

ـ لقد اصرت ميلاف ألا تترك المرآة، فهي أمانة لديها .

رفعت روهان زاوية فمها باستهزاء وهي تقول له بينما بصرها لا يفارق وجه ميلاف

ـ ألا تثق بك الأنسية ؟!

صك اسنانه بقوة، فأمسك يوناس بذراع ابنته قائلًا:

ـ لا بأس.

ثم اقترب منهما وهو يُردف:

ـ لقد تشرفنا بمعرفتك يا ميلاف ونشكرك مقدما على مساعدتنا .

اكتفت بإيماءة حاولت ألا تكون مرتعشة وهي تميل ناحية شيث هامسة:

ـ يشبهون الإنس بدرجة كبيرة وفي ذات الوقت طباعهما الجنية تسيطر عليهما وبالأخص هذه الفتاة، كيف يفعلون ذلك ؟ !

رفع صوته وهو يجيبها:

ـ لأن أمهما أنسية.



شهقت بمفاجأة وهي تردد:

ـ هل يجوز هذا ؟!

ابتسم يوناس بينما اقتربت روهان منها فعادت ميلاف بتلقائية للخلف حتى اوقف شيث ،جسدها، لتدنوا من أذنها قائلة بخفوت :

ـ ستتأكدين أنه يجوز في القريب العاجل.

رمقها شيث بغضب، فحك يوناس ذقنه وهو يحرك رأسه قائلا :

ـ لا استطيع السيطرة عليها .

ثم اكمل سريعًا وهو يسحب ابنته بجواره

ـ أين المرآة !!

ناوله شيث اللفافة القماشية، فأخذها منه وهو يفتحها، حاولت ميلاف الاعتراض وهي تقول لشيث بهمس:

ـ لقد اتفقنا يا شيث لن اترك المرآة تغيب عن ناظري.

ادار رأسه نحوها وهو يمرر ابهامه على كفها برقة محدثاً إياها :

ـ سيعود بها لا تقلقي، فالمرآة أمانة عندي وأنا الكفيل بإرجاعها لكِ كما اتفقنا .

ابتلعت ريقها بصعوبة إثر لمساته وتاهت بنظرة عينيه الحانية حتى انها لم تدرك أن يوناس وابنته اختفوا من أمامهما ..



انتقل يوناس إلى منتصف جسر الإبرة في فرنسا نفس المكان الذي اختفى به والده للأبد، ارتجف جسده رغما عنه بقوة اجفلت ابنته وهي تنظر إليه، لقد مر ما حدث عليه وكأنه البارحة ما زال يسمع صرخات أمه واختفاء أبيه من أمامه ببطء، وهذه الأحداث كانت كفيلة بأن يحمل ذنبه عامين كاملين، لقد كان الحجر بحوزته ولم يستطيع انقاذ أبيه في الوقت المناسب، اقترب من الموضع الذي كان يتمدد به نعمان وجلس على ركبتيه بإنهاك لتجلس ابنته بجواره تربت على كتفه قائلة:

ـ تماسك يا أبي أرجوك، فسوف تحدثه الآن.

رفع رأسه نحو ابنته وهو يسألها بصوت خافت يملؤه الأسى:

ـ هل سيسامحني ؟!

حركت رأسها بإقرار فأخرج المرآة من داخل اللفافة ووضعها موضع أبيه، ثم أخرج الحجر الأصلي للزفير وتبقى الحجر الذي به روح أبيه الأثيرية،

حرره من سلساله الموضوع حول رقبته بيد ،مرتعشة ليرص الأغراض كما قالت له العجوز:

الحجران على الجانبين والمرأة في المنتصف، جلس متربعا أمامهم وانتظر وهو يرفع رأسه نحو النجوم يتأملها بتدقيق حتى حان الوقت، جلست ابنته بجواره في صمت تام ليأخذ هو عدة أنفاس يحاول بها السيطرة على توتره وقلقه الزائد، فشعر بكف ابنته على ركبته وهي تضغط بخفة عليه لتطمئنه بحركتها العفوية أنه سيتمكن من فعلها ..

استشعر الهدوء من حوله، وقام بتحرير كل أفكاره السيئة من رأسه ليصفي ذهنه بشكل كامل قبل أن يتمتم تعويذته بصوتٍ قوي وثابت



سمع تحرك صوت الأغراض الموضوعة أمامه فلم ينتبه لها حتى أتم تعويذته كاملة، فتح عينيه ليرى أن المرآة ارتفعت أمامه وبجوارها ،الحجران دقق النظر في انعكاسها ليرى وجهه بوضوح ظل صامتًا وحين قررت روهان التحدث قبض بكفه على ذراعها فصممت مثله، فاستمر في التدقيق عبر المرأة حتى وجد أن وجهه يتلاشى من أمامه فتعالت دقات قلبه وهو يترقب ما يحدث حتى بدأ وجه أبيه في الظهور رويدا، انتفض جسد روهان وهي تهمس:

ـ لقد نجحنا هذا ..

ضغط أبيها بأصابعه على كفها فابتلعت باقي جملتها وهي تتأمل ما يحدث بعينان جاحظتان ليكتمل وجه نعمان المبتسم عبر المرآة وهو يتمتم بكلمات لم يسمعها أحد منهما، وعينان من الواضح أنها تبحثان عن شيء ما، تهلل وجه يوناس ورفع صوته عاليا :

ـ أبي أنا هنا .. هل تسمعني؟!

تلاقت أعينهما للحظة ليردد يوناس بصوت مضطرب :

ـ أبي هل تراني ؟! أرجوك تحدث معي، دعني أسمع صوتك للمرة الأخيرة قبل أن تنقضي الدقيقة المسموحة لنا.

لم يجيبه نعمان ليتبين أنه لا يسمعه والأدهى أنه لا يراه،

انتفض يوناس واقفًا وصوته يعلوا أكثر فتبعته ابنته لتقف جواره

وهي تحاول تهدئته:

ـ اهدأ يا أبي أرجوك، يبدوا أنه لن يستطيع التواصل معنا.

صرخ بها يوناس وهو ما زال ينظر لوجه والده:



ـ اصمتي.. حتى استمع لما يقوله.

شعرت روهان بالحزن الشديد لأجل أبيها وجدها على السواء، قرب يوناس أذنه من المرأة ولكنه لم يسمع شيء على الاطلاق، حاول أن يحدثه ثانية بتوتر أكبر

ـ أبي أرجوك أجبني.

ثم أراد أن يُمسك المرآة فمنعته ابنته بخوف:

ـ لا تلمسها يا أبي لو فعلت ذلك ستتفتت.

عاد يوناس للخلف قبل أن يتهور، ليجد أن وجه أبيه بدأ في التلاشي من أمام عينيه، بدأ يصرخ عاليًا بإسمه ولكن لا فائدة ..

وفجأة دارت المرآة حول الحجرين ببطء ثم توقفت، أمسكت روهان بيد أبيها وهما يراقبان ما يحدث بدهشة .. لتنعكس الآية ويدور الحجران حول المرآة بسرعة اشتدت وتيرتهما لتُصبح مثل البرق حتى أنهم لم يستطيعوا رؤيتهما بوضوح وعلى حين غرة اختفى الحجران من أمامهما وسقطت المرآة على الأرض

انحنى يوناس نحو المرآة والغضب يعمي : عيناه لتلتقط روهان المرآة من فوق أرضية الجسر وتختفي على الفور، شعر يوناس أن السماء تطوى فوق صدره لدرجة أنه لا يستطيع التقاط أنفاسه، وجد شيث يقف أمامه والقلق يسيطر على جسده بأكمله وهو يسأله:

ـ ما الذي حدث ؟! عادت روهان بالمرآة وهي مضطربة لدرجة جعلتني أشعر بالرعب.



جلس يوناس على الأرض خائر القوى شارد العينان ينظر لشيث بوجوم وهو يقول بصوت خافت لا يستطيع إخراجه بوضوح

ـ لم أسمع صوته يا شيث لم اترجاه كي يسامحني على تقصيري، لم أسمعها منه.

سقطت دمعة من عينيه وهو يستطرد:

عامين كاملين لم أذق بهما الراحة، حرمت على نفسي الحياة حتى أسمع صوته فقط، كي يخبرني أنه يغفر لي ما فعلته .

جلس شيث أمامه وهو يقول له:

ـ لا تحمل نفسك ذنب لم تقترفه يا رجل لقد فعلت ما بوسعك، تمالك نفسك وسنجد حل آخر .

حرك يوناس رأسه بيأس وهو يقول له:

ـ لا يوجد حل آخر، لقد اختفى الحجران .

الحجران!

انتفض حين انهى جملته وهو يبحث عنهما مثل الممسوس مرددًا :

ـ كيف اختفى الحجران ؟ هل واقعا من الجسر ؟!

بحث شيث معه عنهما ولم يجدا لهما أية آثر، فجن جنون يوناس لينتقل للعجوز بأقصى سرعته..

دخل كهفها دون استئذان رغم محاولات شيث لإطفاء نيرانه المشتعلة سُدى، لم يجد العجوز في مكانها فبحث عنها في كل جحر في الكهف



ولكنها اختفت تماما، ظل ينادي عليها دون جدوى، تصاعد غضبه أضعاف فلم يجد شيث شيئًا ليوقفه إلا تعويذة تعلمها سابقا تفقده وعيه، وبالفعل أمسك رأسه بكلتا كفيه ليُلقي عليها كلمتها حتى سقط على أرضية الكهف.

حمله بين ذراعيه منتقلاً لمنزله فركضت روهان نحوهما لتجد أبيها فاقدا للوعي، نظرت نحو شيث وقد انعقد لسانها من الخوف فطمأنها بقوله:

ـ لا تقلقي لم يحدث له شئ.

وضعه على فراشه في غرفة وهو يردف:

ـ لقد اضطررت لتنويمه بضعة ساعات قبل أن يؤذي نفسه.

التقطت روهان انفاسها براحة وقد عاد لون وجهها للطبيعي لتسأله وما زال صوتها ضعيف إثر رعبها على ابيها :

ـ ماذا سنفعل الآن ؟!

نظر تجاه ميلاف وهو يجيبها :

ـ ستمكثين هنا مع ميلاف، وسأذهب أنا بالمرآة لسليمان اقتربت منه ميلاف قائلة:

ـ شفاء المرضى من الإنس عبر المرآة لن يتم إلا بيد أحد موالين بويا عمر، فالجان ليس لديهم القدرة على التحكم في المرآة بهذا الشأن.

ضيقت روهان عينيها بقلق وهي تحدثها :

ـ ماذا تقصدين ؟! هل ما حدث مع جدي سببه المرآة ؟!



توقفت بحيرة لتستطرد:

ـ ولكن الأمر قد نجح ورأينا ووجهه في انعكاسها

حركت ميلاف رأسها وهي تقول لها:

ـ لا أعرف عن قدرات المرآة سوى السيطرة على الجان وشفاء الإنس من أمراض محددة، ولكن ما فعلتموه أنتم بها لا أعلم عنه شئ، يجوز أن يكون ما فعلتموه بها سلطة داخل مزاياها تخص الجان فقط.

مد شيث يده لميلاف قائلا :

ـ حسنا .. هيا بنا .

أوقفته روهان بخجل وهي تلقي نظرة على أبيها:

ـ هل استطيع المجيء معكما ؟!

ضيق شيث عينيه فأردفت سريعا :

ـ يبدوا أن أبي سيظل نائمًا لعدة ساعات، ولو جلست هنا بمفردي في هذا الوقت سوف أصاب بالجنون بسبب ما حدث معنا.

اختفى شيث من أمامها ومعه ميلاف وهو يقول لها:

ـ اتبعيني يا ولهانه.

الفصل السادس



أمسكت إلينا الفلوت الخاص بها وبدأت بعزف مقطوعة «فور إليزا» لبيتهوفن، كانت رؤيتها لسارافيم وصفوة اللتان ينصتان لها باستمتاع كبيرٍ آخر ما قامت بالنظر إليه قبل أن تغمض عينها وتندمج في معزوفتها بشكل تام، شعرت بأنها تحررت من همومها التي تكالبت عليها في الأعوام الماضية،
بداية من موت نعمان الذي كان في نفس الليلة التي شعرت بها أنها عادت مع زوجها للحالة التي تزوجت بها من قبل سنوات، كانت تظن أنها البداية لحياة مختلفة وهادئة وخاصة بعدما أهداها هذا السلسال الذي ربطه بها أكثر وأكثر، ولكن دائما كما تعودت .. تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن انقلبت حياتها رأسًا على عقب، وليتها كانت تخصها فحسب، لقد هدمت صوامع البيت بأكمله فوق رؤوسهم، ليبدأ الجميع بالركض في اتجاه يخالف الأخر، ومن هذا الوقت حتى الآن لم يجتمع شملهم مرة أخرى، ولا حتى صدفة..
احتدت نغماتها المتتالية بقوة لتعود لسابق عهدها كما كانت عازفة على اوتار مشاعرها المفتتة بفضل زوجها الذي لم تراه لا هو ولا ابنتها عامين كاملين، لم يرأف أحد بحالها، لم يتساءل أحد عما تعانيه، لم تصادف منهم ، فردًا واحدا يهتم لأمرها ...
وعند هذه النقطة انحرفت نغماتها عن رتم المقطوعة الثابت وشرعت في اعتلاء سُلم موسيقي مختلف، نظرت صفوة نحو سارافيم التي تستمع بلذة بانت على ملامحها وابتسامتها الهادئة راود صفوة احساس غريب إثر اللحن الذي تعزفه إلينا



بل وانحرفت إليه بطريقة مريبة هي تعرف مقطوعة إليزا من زمن بعيد لذا فهناك شيء خاطئ في هذه النغمات إما أن تكون إلينا قد شذت عن النوتة وهي تشك في ذلك فهي تعرف الفتاة منذ سنوات كثيرة ورغم ابتعادها عنها لفترة طويلة، إلا أنها تعلم جيدا أنها تحفظ ما تعرفه عن ظهر قلب،
والفرضية الثانية أن تكون إلينا توقفت عن استرسال أفكارها التي تعصف بها عندما سمعت نغمة محددة تخص عالمها وليست من النغمات التي قد دربتها عليها سابقا في معزوفة الجن الخاصة بهم، فكيف عرفتها إلينا ؟! والأغرب أنها لا تدري بهذه النغمات على الاطلاق شعرت بالدوار فأيقنت أن هذه المعزوفة خطر عليهم، وبحركة سريعة وضعت يديها على أذنها وهي تطلب من إلينا التوقف على الفور، لم تستمع إلينا لصوتها وكأنها انعزلت في عالم مختلف صرخت بها صفوة ولكن لا جدوى اختفت من المكان لأبعد نقطة تبعدها عن الصوت، وحاولت أن تضع في أذنيها قطعة من قماش كي تستطيع العودة وجعل إلينا تتوقف باستخدام يديها رجعت على الفور بعدما أغلقت مسامعها لتجد سارافيم ممددة على أرضية الغرفة بينما إلينا تكمل عزفها براحة كبيرة، وعلى عجل حملت صفوة سارافيم وانتقلت بها لقصر الملك الأبيض، سلمت جسدها المستكين لأحد الحرس وأوصته أن يأتيها بحكيم على الفور واختفت من أمامه لترتد على أدبارها تجاه منزلها وهي تفكر في طريقة آمنة توقف هذه الأنسية قبل أن تقضي عليهم...
وفي هذه الأثناء شعر يوناس بأن أحدهم قد ضربة على رأسه بمطرقة فانتفض واقفًا بفزع وهو يدور بعينيه في الغرفة ليتبين



له أنه في غرفة شيث وعلى فراشه، انتفض جسده إثر طنين أذنيه ليشعر بأن السلسال الذي يضعه حول رقبته يخنقه بشكل غريب، حاول ازاحته بيده ولكنه لم يستطع، ليتفاجأ أن لونه قد انقلب للأسود الكاحل تصاعدت دقات قلبه بذعر وهو يردد بصوت لا يريد الخروج من حنجرته

ـ إلينا ..

******

كانت تجلس على مقعد هزاز قد صنعه لها نعمان لأنه يعلم عن حبها الكبير للأرجوحة، ازدادت حدة تحركها للأمام تارة وللخلف تارة أخرى وهي تفكر مليًا فيما حدث في لقائها مع عفرين، لقد أخبرته عن ابنها الذي لم تعرف عنه شيء سوى عن طريق أحلامها الذي يعلم جيداً أنها حقائق تعيشها في هذا العالم، ورغم ذلك حاول أن يُثبت لها أنها مخطئة وأن ما تراه مجرد أضغاث أحلام، وحين اعترض حفيدها على حديثه وأنه سمع ويون زوج عمته يقر بأن روهان لها ولد عند الأرضيين، صمت قليلًا بتفكر قبل أن يعدها أن سيبحث في الأمر، ليمر بعدها يومين كاملين ولم يأتيها منه رد ولا خبر ... يجب أن يكون هناك أمر ما تستطيع فعله، ليتردد السؤال المعتاد على لسانها :

ـ لو كان نعمان هنا؛ ما الذي كان سيفعله؟!

ظلت ترددها مرات عديدة حتى توقفت لتنتصب واقفة وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة واسعة بينما تتدفق دموعها على وجنتيها متساقطة، لتجففها هي بجانب كفها وبصوت متهالك قالت:



ـ حتى في غيابك يا حبيبي تُلهمني دائمًا بالصواب.

توجهت ناحية خزانتها لتخرج منها عباءة سوداء طويلة وذات نقوش مزينة باللون الأسود الذي لم ترتدي سواه منذ رحيله، لتبدل ثيابها على الفور قبل أن تنادي حفيدها نعمان ...

اتاها نعمان يحمل بيده طاولتها الخشبية التي تحوى كل ما لذ وطاب، ابتسم تجاهها وبصوت مرح أخرجه بخشونة قال لها :

ـ شبيك لبيك.

ضحكت بملء فاها وهي ترى حركته المسرحية التي تبعت كلماته المتداولة، ليضع بعدها ما بيده بالقرب منها مردفًا بصوته الطبيعي:

ـ أعلم أنني تأخرت عليكِ بالطعام، فأنا اعتذر منك؛ ولكن حين تتذوقين هذه التحفة الفنية ستعذرينني على التأخير.

اقتربت منه ثم جذبت ذراعه نحوها لتحتضنه بقوة قائلة:

ـ لولاك أنت يا قطعة من قلبي، لما كنت على قيد الحياة الآن.

ربت على ظهرها بكفه، ثم بدأ يمرر كفه على شعرها وظهرها بأكمله بحنو جعل روحها تستكين داخلها بهدوء وراحة..

ابتعدت عنه بعد قليل لتجفف دموعها التي لا تنضب وهي تقول له:

ـ أريد عمتك سارافيم، انزل لغرفتها واطلب منها أن تأتيني هنا .



ضم نعمان حاجبيه بدهشة ليتسأل:

ـ لما لا تناديها ثلاثا، ستأتيك في الحال.

حركت رأسها نفيًا وهي تقول له:

ـ أنت تعرف جيدا أن علاقتي بها قد ساءت بعدما كنتُ سببًا في قتل أبيها لأمها ومات الاثنان لأجلي.

ضيق نعمان عينيه وهو يقول لها بتعجب

ـ عمتي لا تُفكر بهذه الطريقة يا حبيبتي، لقد تحدثت إليها من قبل في هذا الأمر ووجدتها متفهمة جدا لما حدث.

تنهدت روهان براحة:

ـ لقد أرحت قلبي أراح الله قلبك وعقلك يا بني، والآن أفعل كما طلبت منك ، أخبرها أنني أريد مساعدتها في أمرٍ خاص.

رفع زاوية فمه بابتسامة وهو يرفع كفيه باستسلام قائلا:

ـ كما تأمرين .

ثم أردف وهو يشير نحو الطعام:

ـ لن أجلبها لكِ قبل أن تنهين : غدائك، فأنتِ لم تتناولين شيئًا منذ البارحة.

جلست روهان أمام الطاولة راضخة لأمره لأنها تعرف جيداً أنه لن يبرح مكانه إلا حين يراها تأكل، وبالفعل أمسكت ملعقتها ودستها في طبقها وهي تشير إليه أن يذهب، ولكنه نظر إليها وهو يربع ذراعيه حتى وضعت الطعام بفمها، فصفق لها بمرح لترتعش ابتسامتها على وجهها بألم وهو يختفي من الغرفة، فتركت الملعقة بيد ترتعد وركضت ناحية دورة المياه



كي تفرغ ما في جوفها بأنين متوجع..

انتقل نعمان لغرفة عمته فلم يجدها بها، فتوقع أن تكون في غرفة أمه، لينتقل إليها على الفور ولكن وللعجب لم يجد بها أحد

تحول للبهو وهو ينادي الخادمات فوجد أحدهم يتبعها رجل من الحرس، تحمل جسد سارافيم منتقلة لغرفتها كي تضعها في فراشها، بينما ذهب الحارس لأحد الحكماء كي يأتيهم على الفور.

تبع الخادمة وهو يسألها بقلق:

ـ ما الذي حدث لها ؟!

اجابته الخادمة وهي تضم كفيها بعضهما البعض بتوتر :

ـ لا أعلم؛ لقد أتت بها سيدتي صفوة وتركتها للحارس الذيواستدعاني كي اضعها في غرفتها وسيذهب هو ليأتي بأحد الحكماء ليرى ما بها .

اضطربت ملامحه وهو ينظر لعمته التي تغط في سبات غريب، ليردد بخوف:

ـ أين أمي ؟!

حركت الخادمة رأسها وهي تجيبه:

ـ لا أعرف شيء عن مكانها الآن، لقد خرجتا الاثنتين في الصباح كما يفعلن منذ ثلاثة أيام، ويخبروننا أنهم يذهبون للسيدة صفوة في بيتها، لعل أحد منكما يسأل عليهما .

شعوره بالقلق تزايد وخاصة لما سمعه فأصابته الحيرة الشديدة



هل يذهب لبيت صفوة ليرى أمه ويفهم ما حدث
لعمته ؟! أم ينتظر الحكيم فلا يجوز أن يأتي الرجل وينفرد بعمته دون أن يكون هو معها ؟!

زفر بضيق وقرر أن ينتظر الحكيم ليعرف ما بها، وإن فاقت وكان الأمر هينا سينبه عليها ألا تُخبر جدته عما حدث ويتركها معها ويذهب ليرى أمه وما حل بها وبالفعل وصل الحكيم لغرفة سارافيم، فحياه نعمان تحية تليق به، ثم بدأ في فحص جسد عمته الساكن بهدوء غريب، انهى فحصه ليخبره بأعجب شيء ممكن أن يكون سمعه على
الاطلاق

ـ ليس بها أي شئ، هي فقط نائمة.

اندهش نعمان بشدة ليسأله باستهزاء:

ـ لما لا تستيقظ إذا ؟!

حرك الطبيب كتفيه وهو يقول له :

ـ هيا ايقظها .

تحرك نعمان الصغير تجاهها وهو ينظر للحكيم بغرابة، ثم انحنى تجاه عمته وبدأ بتحريك ذراعها بلطف مناديًا إياها :

ـ عمتي .. عمتي سارافيم ...

تململت في رقودها ثم فتحت عينيها وهي تنظر إليه بحيرة قائلة:

ـ أين أنا ؟ !

نظر نعمان للطبيب، ثم اعاد بصره لعمته مجيبا



ـ أنتِ في غرفتك يا عمتي ما الذي حدث لك عند السيدة صفوة ؟!

ظلت تائهة لعدة ثوان قبل أن تنتفض جالسة وهي تقول بذعر :

ـ إلينا .

استدار نعمان للحكيم والخادمة وهو يشكرهما على المساعدة، ففهم الاثنان أنه يريد مغادرتهما، فامتثلا للأمر وخرجا من الغرفة وهما يغلقان الباب خلفهما جلس نعمان جوار عمته وهو يسألها بتوجس :

ـ ما الذي حدث لأمي ؟!

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتذكر ما حدث :

ـ لا أعلم لقد كانت تعزف لنا على آلتها وفجأة لم أشعر بشيء، ولا أدري ما الذي حدث لي ومن نقلني إلي هنا ؟!

رفع نعمان حاجبيه بتحير وهو يخبرها ما جرى:

ـ لقد حملتك صفوة إلى هنا، وسلمتك لأحدى الخادمات وطلبت منهم أن يأتوا بالحكيم ليفحصك، وحين جاء اخبرني أنك نائمة وحسب.

حدقت به بخوف من مجهول حدث لا تعلم عنه شي، لتتسأل بذات الحيرة التي غلفت ملامحها :

ـ أين أمك إذا ؟ !

وقف بتوتر قائلًا :

ـ لا أعرف؛ ولكني سأذهب الآن للسيدة صفوة لأفهم ما جرى



نهضت سارافيم من فراشها وهي تقول له:

ـ سأذهب معك كي ...

قاطعها معترضًا :

ـ لا داعي لذلك، جدتي تريدك في أمر هام. ثم رفع كفه ليردف:

ـ وقبل أن تسأليني فهي لم تخبرني بشيء، كنت سأعرفه معك ولكنني يجب عليَّ الذهاب الآن!

دار عقل سارافيم في اتجاهات عديدة، لقد ابتعدت عنها روهان منذ الحادثة التي جرت وكأنها تُحملها وزر أمها وما فعلته وهي قد قررت ألا تعترض طريقها حتى لا تضايقها مادامت مشاعرها تجاهها بهذا التحفظ اخرجها نعمان من افكارها بعدما عاد أدراجه كي يقول لها:

ـ لا تخبريها بما وقع لكِ ولا عن غياب أمي.

اكتفت بإيماءة ذهب هو على إثرها وانتقلت هي لغرفة روهان على الفور والحيرة تتمكن من عقلها أكثر فأكثر، طرقت على باب غرفتها لتسمح لها روهان من الداخل بفتحه كان صوتها واهن لدرجة جعلتها تشفق عليها بشدة، ولكن رؤية وجهها

الذابل وجسدها الهزيل بهذا الشكل كان ضربة أقوى بكثير مما كانت تتخيل فلم تتوقع أن تراها بهذه الهيئة المزرية

ابتسمت روهان تجاهها وهي تشير إليها قائلة:

ـ اشكرك على مجيئك يا سارافيم، والآن اجلسي كي أخبركِ بشيء لا أريد أن يعرفه أحد .



جلست سارافيم على المقعد وقد أدمعت عينيها رغما عنها من مشاهدة روهان هذه السيدة التي كانت تراها أجمل نساء الكون، ابتسامتها كانت ساحرة وعينيها اللمعتان كانتا تملئان الكون اشراقًا، كيف استطاعت أن تتركها هكذا للحزن يلتهم جسدها بهذا الشكل؟!

لما تركت مشاعرها الواهنة تحركها لتقصر في حقها بهذه الطريقة المشينة ؟!

كيف استطاعت أن تهملها هكذا ؟! لو كان أبيها على قيد الحياة لما سامحها ابدا على تفريطها بزوجته وحبيبته .

فرقعت روهان بإصبعيها أمام سارافيم وهي تقول لها بابتسامة رسمتها على وجهها بالقوة :

ـ أين ذهبت يا فتاة؟! أنا أحدثكِ منذ دقائق، هل لهذه الدرجة وجهي بائس ؟!

لم تستطيع سارافيم أن تتحكم في حزنها أكثر من ذلك، واجهشت في البكاء وهي تقول لها:

ـ أنا آسفة على ابتعادي عنكِ، أرجوك سامحيني أنني تركتكِ حتى وصلتي لهذا الوضع، لم أكن أعرف أن الأمر سيء هكذا.

وقفت روهان بجسدها الذي يرتعد من الضعف جوار مقعد سارافيم لتسحب رأسها بين ذراعيها تحتضن إياها وهي تقول لها :

لا عليك يا فتاة لا تحزني هكذا، أنا التي انزويت عنكما واعتزلت غرفتي، فلم أرغب في أن تروا ضعفي هكذا، ولم أحب أن أسجنكما داخل أحزاني فابتعدت عنكما حتى لا أجركما داخل هذا الكهف المُظلم البارد الذي أعيش به منذ رحيل أبيك .



ربتت سارافيم على ذراعيها اللتان تحتضنها بحب لتخبرها بما تكنه داخل قلبها

ـ لقد تصورت أنكِ تتجنبين رؤيتي لتحملي بعض من الذنب الذي فعلته أمي بكِ.

ابتعدت عنها روهان وهي تعود للخلف جاحظة العينين وهي تقول لها:

ـ ما الذي تقولينه يا سارافيم ؟! لقد تصورت أنا أنك لا تحبين لقائي بعدما تسببت في موت أمك وأبيك في ليلة واحدة.

شهقت سارافيم وهي تنتصب من المقعد مرددة:

ـ لا لا لا تقولي هذا أبدًا، فأمي هي سبب كل ما حدث.

ثم أمسكت كفيها برقة لتستطرد:

ـ أنا لست بطفلة لأنخدع بما جرى بينكما، أمي كانت تحمل من الحقد ما كفاها لتكون هذه نهايتها، بالطبع حزنت عليها فهي في النهاية التي أوجدتني في هذه الدنيا، ولكن كم من أم أوضعت ولدها وبعد ذلك قامت بركله ليواجه مصيره بكل قسوة بمفرده، وحين يلقاها ويسعد بها ويرغب أن تعوضه عن غيابها القاسي، فتقوم هي بصفعه على الفور بدلا من ضمه، وتبدأ في لفظه ونهره وسبه كلما واتتها الفرصة بدلا من تشجعيه واظهار حبها له.

انهمرت دموع روهان لتبتسم لها سارافيم بامتنان قائلة:



ـ هل تعرفين أنني تمنيت أن تكوني أنتِ أمي منذ التقيت بكِ في المرة الأولى التي ارسلتني بها أمي كي أقتلك.

جرتها روهان لأحضانها تشدد عليها بين ذراعيها وهي تطلب منها:

ـ إذا فعليك بمناداتي أمي منذ هذه اللحظة.

مررت سارافيم كفها على شعرها بخفة وهي تقول لها:

ـ حسنا يا أمي .

قبلت روهان جبهتها بعطف ثم جذبتها نحو المقعد أمامها وهي تقول لها:

ـ والآن سأطلعك على أمرٍ ستساعدينني به

تمدد سليمان على فراشه كما طلبت منه ميلاف، ثم نظر نحو شيث قائلا:

ـ لا تترك أمي حتى تفيق واطمئن عليها يا شيث.

فقد بدأت ميلاف في مراحل شفاء أمه التي مازالت في سبات إلى الآن، فكما أخبرته أنها ستظل في غفوتها هذه حتى يتم شفائها بالكامل

..

نظر له شيث مبتسمًا وهو يقول:

ـ سأظل مع ميلاف وسوف تذهب روهان إليها.

ضيقت روهان عينيها وهي تنظر إليه شذرا، بينما انتفض سليمان جالسًا وهو يخبره بإصرار:



ـ لا .. لن تتركني روهان أذهب أنت.

تربعت روهان بجوار ميلاف الجالسة تجاه سليمان وهي تشير إليه كي يستلقي أمامها، ففعل ما أمرته به لتضع كفها على موضع عضوه السقيم وهي تحمل المرآة بيدها وعيناها تدور بين شيث وروهان وسليمان الذي استسلم لها واغمض عينيه...

اغتاظ شيث بينما حركت له روهان حاجبيها بانتصار فاختفى من أمامها وهو يحذرها بسبابته فوضعت كفها على فمها تكتم ضحكاتها باستهزاء لتحرك ميلاف رأسها وهي تبتسم على هذان المراهقان و تبدأ في طقوس شفاء سليمان ...

اغمضت عينيها وضغطت بكفها على صدره ثم تمتمت بكلمات محددة ظلت تكررها سبع، لتفتح عينيها أمام المرآة بعدما أنهت جملتها وشرعت في قراءة كل ما ظهر في انعكاس المرأة أمامها اهتز جسد سليمان فاندهشت روهان لما يجري له وخاصة أن هذه الرجفة الواضحة لم تُصِب أمه وهي تفعل معها ما تفعل به الآن

اصابها القلق ولكنها آثرت الصمت كي لا تقطع جلسة ميلاف التي تصب تركيزها بأكمله على المرآة وكلماتها التي تتجلى أمامها، ازداد ارتعاش الصبي بقوة إلى أن ظهر صوت اصطكاك اسنانه المريب، حافظت ميلاف على هدوئها كي تكمل الجلسة، بينما تحركت روهان من أعلى الفراش لأسفله ووقفت جوار جسد سليمان المرتعد حتى تتمسك به، فرفعت ميلاف كفها أمام وجهها على الفور وهي وتحرك سبابتها باعتراض ألا تلمسه تجاهلت روهان اعتراضها وباندفاعها المعتاد حاوطت جسد الصبي بذراعيها فانتفضت ميلاف واقفة وعلى صوتها بشدة وهي تنطق الكلمات ويدها ما زالت تتمسك بجسد الصبي حتى استكان جسده أعلى سريره واستقر بهدوء فاقداً الوعي



رفعت ميلاف يدها من على جسده واقتربت من روهان بغضب وهي تزعق بها :

ـ ألم أحذرك من مسه ؟!

رفعت روهان حاجبها بتحدٍ وهي تجيبها :

ـ وهل يجب علي تنفيذ أوامرك ؟!

صرخت بها بانفعال

ـ نعم كان يجب عليكِ ذلك بدلاً من تصرفاتك الطفولية هذه احمرت حدقتي روهان بغضب وقبل أن تقترب من ميلاف

وجدت شيث أمامها يتسأل:

ـ ما الذي حدث لكما ؟!

قصت عليه ميلاف ما جرى بحنق فاتسعت عين روهان وهي تنظر إليها قائلة من بين أسنانها :

ـ اجعلها تصمت الآن قبل أن أفقد السيطرة على غضبي.

قاطعهما سليمان وهو يحاول الجلوس في موضعه

ـ ما هذا الضجيج ؟!

توجه إليه شيث وهو يسأله بقلق:

ـ هل أنت بخير يا فتى؟!

نظر له مبتسما :



ـ نعم .. أنا بخير .

وقفت روهان جواره من الاتجاه الآخر وهي تطمئن عليه :

ـ هل تشعر بأي ألم ؟!

تجعدت ملامحه وهو يجيبها :

ـ لا تبتعدي حتى لا أشعر به.

أمال شيث برأسه ناحية سليمان بينما تلون وجه روهان بخجل، ليتفاجأ الثلاثة بارتخاء جسد الصبي للخلف حتى ارتطم رأسه في حافة الفراش الخشبي مغشيا عليه.

******

حاوطتها سارافيم بذراعيها وهي تنتقل بها أمام بوابة خاصة بمملكة العماليق هذه البوابة التي لا يعرفها أحد خارج المملكة، فهي تخص سكانها فقط، ولا تفتح إلا لأحد منهم...شعرت روهان بتوتر سارافيم الظاهر على وجهها وجسدها الذي يرتجف بوضوح، فأمسكت كفها لتربت عليه مطمئنة إياها وهي تشجعها بالقول:

ـ لا تخافي فقد مر الكثير من الوقت يا ابنتي، وهذا الوقت كفيل بمداواة جراح أعمق مما تتخيلين.

حركت سارافيم رأسها بحيرة وهي تسألها:

ـ ماذا أفعل الآن ؟! هل أناديه أم أدلف للداخل وأعرف هوية ابنك بطريقتي الخاصة ؟!

اجابتها روهان بسؤال آخر ينير لها طريقها:



ـ ما الذي تريدين أنتِ فعله؟ هل تطلبين مساعدته وبذلك تكون هذه حجة قوية لتقابليه، أم أنكِ تبغين معرفة الأمر بعيدا كي تتجنبين لقاءه؟! والأهم هل سيوافق الملك ياوي على مقابلتي ؟!

تاهت عين سارافيم فأردفت روهان :

ـ والسؤال الأكثر أهمية من الجميع، هل هناك خطر على تواجدك داخل المملكة ؟!

اعتدلت في وقفتها المتوترة، وفردت جسدها بقوة وهي تقول :

ـ لقد عزمت أمري على الدخول، لن استدعي ويون فلو أراد عودتي لفعل ببساطة.

ثم ربتت على كفها قبل أن تتركه لتتم حديثها :

ـ لا تقلقي فقد عاشرت هؤلاء القوم لسنوات طوال وأعرف جيدا كيف اتخفى بينهم، ولكن علي أن اعيدك للقصر فالمكان هنا ليس آمنًا وبالتأكيد لن يرغب ياوي في مقابلتك، ولو أراد ذلك فسيكون خلف رغبته و هذه كارثة فهو يكره الإنس بشكلٍ

اوقفتها روهان باعتراض:

ـ لا لن أعود دونك، أنا لم أطلب مساعدتكِ كي ألقي بكِ داخل التهلكة وأنا أنتظرك في غرفتي، لن أبرح هنا حتى ترجعين

تأففت سارافيم بضيق وهي تحاول إقناعها :

ـ لا تعاندي أرجوكِ، لقد وافقت على مجيئك معي كي ترين المدخل بنفسك ويطمئن قلبكِ، وليس لأن أتركك للخطر بمفردك .



اصرت روهان على موقفها وفي خضم حديثهما لم يشعرا بمن يراقبهما حتى توقفا عن المحادثة بينهما بما ارادت روهان فهبطت سارافيم للأسفل وتوارت روهان خلف أحد الهضاب الموجودة حول المدخل ليهبط الحارس للأسفل متوجها ناحية غرفة الملك ياوي الذي يجلس أمام معجزته آرام ناظرا إليه بفخر وهو يراه يصارع الحيوانات المفترسة بجسارة وقوة لم يراها في أحد ، وصل الحارس لموضع ياوي لينحني إليه هامسًا بما رأى ارتسمت ابتسامة شيطانية على وجه ياوي وهو يقول بخفوت :

ـ كنت أبحث عن فرصة ذهبية كي أصل إليها، لأجدها هنا على بابي دون مجهود يذكر، يا له من حظ عظيم.

أشار للحارس لينحني إليه ثانية كي يأمره:

ـ حاوطوها دون أن تشعر وأتوني بها، فقد جذبها قدرها لمثواها الأخير، وارسل أحدهم إلى ويون كي يخبره بقدوم الخائنة لعقر دراه، وأجعل سيدك يراقب ويون عن كثب ليرى ما الذي سيفعله بها، وإن وجده يتهاون بحقه فليتصرف هو بما يجب

أومأ الحارس برأسه واختفى من أمامه ليفعل ما أمره به سيده ..

مدت روهان رأسها من خلف الهضبة وعيناها لا تفارقان المدخل وهي تترقب عودة سارافيم بتوتر كبير، شعرت بحركة غريبة تدور حولها فثبتت في موضعها وعيناها تراقبان الحجارة التي اهتزت تحت قدميها بوضوح



توقفت الرياح ـ حولها بريبة فقررت أن تعتدل لتستدير كي ترى ما يحدث في مدارها، ولكنها وقبل أن تفعل ذلك كان يضع كفه على فمها حتى لا تصدر صوتا عاليا كذبت حدسها الذي يشعر به، وكذلك أنفها الذي يشتم رائحته لتجده يحاوط خصرها بذراعه الأخرى ثم اختفى من المكان بأكمله لتفقد الوعي قبل أن تُدرك حتى وجوده.

خرج جنود الملك في ذات اللحظة ليجدوا المكان فارغًا بحثوا عنها في كل موضع فلم يعثروا على أي أثر لها، عاد الحارس لملكه كي يخبره ما حدث، فصرخ بهم الملك وقد وصل الغضب بداخله ،لذروته، فقد ضاعت الفرصة التي يحاول إيجادها منذ شهورٍ طويلة في لمح البصر، لينير عقله بإسم ردده وهو يصك أسنانه بغضب:

ـ كيبورا .

الفصل السابع



تتبع يوناس الحجر الموضوع في سلساله الذي رسم له خطا تبعه ليصل إلى وجهة إلينا وجد نفسه عائداً لمملكته منحرفا ناحية بيت صفوة بنت قسورة وزوجها ،قاصف تعجب من وجود زوجته ببيتها فقد انقطعت عنها منذ سنوات كثيرة، فلما عادت لصداقتها الآن ؟ والاهم من هذا ما الذي حل بها ليتغير لون الحجر للأسود هكذا!

طرق على الباب الخارجي برفق فلم يأتيه رد، أعاد الطرق بشكل أقوى فلم يجد أيضاً اجابة!

نظر نحو الحجر الذي ازداد قتامة ليعاود الطرق بعنف حتى وجد صفوة تفتح له الباب وملامحها المذعورة جعلته يرتعب أكثر وهو ينطق اسم زوجته بتوجس :

ـ إلينا ..

وجدها تتعلق بعيناه وكأنه جاء لنجدتها وهي تقول له بصوتٍ مضطرب :

ـ لقد جئت في الوقت المناسب، اتبعني.

ازداد قلقة وهو يتبعها للداخل ليجدها تبتعد عن الأبواب والنوافذ بشكل ملحوظ حتى وصلت لسلم داخلي نزلت بأسفله وسارت في ممر طويل حتى توقفت عند غرفة قامت بفتحها على الفور ليرى إلينا تجلس في أرضيتها وهي تضم ركبتيها لصدرها وتبكي بصوت ظاهر ركض نحوها ليحاوطها بذراعيه محتضنا إياها بقوة وهو يسألها :

ـ ما الذي حدث لكِ ؟!



اشتدت حدة بكائها للعويل دون أن تنطق بحرف ظل يربت على ظهرها ويُقبل رأسها مرددًا :

ـ اهدئي يا حبيبتي أرجوكِ اهدأي سوف أصلح كل شئ، لن أتركك ثانية .

لم تهدأ ولا حتى لحظة واحدة، فرفع رأسه نحو صفوة وعيناه تستجديها بأن تشرح له أي شيء قبل أن يقتله قلقه عليها،

حدقتيها الحائرتان والغاضبتان اللتان تلونا بالأحمر زادا من انزعاجه فصرخ بها :

ـ هيا اخبريني ما حدث في الحال يا صفوة.

اضطربت من صوته وازداد ضيقها وهي تقص له ما جرى:

ـ منذ عدة أيام وجدت زوجتك وأختك عند بابي، رحبت بهما طيلة الصباح وجلسا معي نتحدث في أمور عدة، وذهبا قبل أن يعود زوجي وفي اليوم التالي عادا إليَّ وفعلنا مثلما فعلنا في اليوم السابق واخبرتني زوجتك أنها اشتاقت للعزف معي فقررنا أن نعود للعزف في اليوم الثالث، وبالفعل جاءت بآلتها وبدأت تعزف مقطوعة معروفة لأحد الموسيقيين..

توقفت وجسدها يرتعش بحنق من تذكرها للأمر، فاتسعت حدقتي يوناس بسخط فأردفت:

ـ وبعد لحظات انحرفت نغماتها عن النوتة الأصلية

فشعرت حينها أن هناك خطبٌ ،ما، وتأكدت حين شعرتُ بدوار فجأة، حذرتها أن تتوقف لم تسمعني وكأن أذنيها قد صمت.

ارتفع نحيب إلينا وهي تقول ببكاء مرير :

ـ لم أسمعها. اقسم أنني لم أسمع أي شيء ولا حتى عزفي.

فتنهد بحزن وهو يقبل رأسها قائلا :

ـ أنا أعلم يا حبيبتي أنك لم تقصدين ذلك.

أكملت صفوة وغضبها يتزايد من تدليله لزوجته هكذا أمامها وهي التي وقعت في هذه الكارثة

ـ حاولت بكل قوتي الاختفاء كي أسد أذناي، وعدت فوجدت أختك تفترش الأرض مغشيا عليها، فحملتها وعدت بها للقصر ورجعت لإيلينا فرأيت مالم أراه يوما في حياتي، كل جن من القبيلة صغارًا وكبارًا يحومون حول البيت هائمين مسحورين بالكامل، والأفظع من ذلك أنني وجدتُ زوجي العائد عمله من بينهم .

فغر يوناس فاه لتستطرد صفوة بهياج:

ـ دخلت البيت مسرعة وخطفت الآلة من يدها كي تتوقف ولم اتخيل رد فعل من في الخارج لقد أصبحوا عبيدا لها ... فمجرد ما إن فتحت فمها وهي تسألني ما الذي حدث لأشد آلتها بهذا العنف كادوا يحطمون بيتي فوق رأسي، فنزلنا أنا وهي داخل هذا القبو من خوفنا.

نطق يوناس بغرابة:

ـ أنا لم أر أحد بالخارج.

قالت له بضيق:

ـ نعم فلقد نظرت من النوافذ قبل أن افتح لك، ولم أجد نفرا منهم .

خَفت بكاء إلينا فمرر كفها على رأسها وهو يحدثها بحنو:



ـ لقد مر .. ما حدث كان خطأ وقد ذهبوا جميعا .. اهدأي يبدو أن سحر عزفكِ قد اختفى من أجسادهم.

صكت صفوة أسنانها . وهي تحدثه بصوت مرتفع:

ـ لو ما قلته كان صحيحًا أين زوجي الآن ؟!

وقبل أن ينطق يوناس أردفت بنفاد صبر :

ـ هيا خذ زوجتك من هنا وأنا سأبحث عن زوجي.

تضايق يوناس من طريقتها التي خلت من التهذيب، فرفع زاوية فمه بامتعاض وهو يشدد من احتضان إلينا ليقف بها عازما أمره على العودة للقصر، اختفى بها من الغرفة ليجد نفسه قد ارتد عائدًا لبيت صفوة!

ردد بذهول :

ـ ما هذا الهراء ؟!

ابتعدت إلينا عن أحضانه وصدرها ما زال يعلو ويهبط بنحيب خافت لتسأله بصوتها المرتعش

ـ لما لم نعود لبيتنا ؟!

اجابها وهو يجهل ما وقع لهما :

ـ لا اعرف .

صعدت صفوة من القبو فوجدتهما يقفان في منتصف البهو الخاص بها، لم ينتظر يوناس سؤالها وسحب إلينا لصدره ليختفي بها على الفور لقصرهم، ولكنه وجد نفسه مرة أخرى في بهو منزل صفوة



اتسعت عين صفوة ووقف يوناس حائرًا يحرك رأسه بعجز وهو لا يفهم ما يجري فحاول الانتقال للمرة الثالثة ولكن دون جدوى، فصرخ بغضب شديد :

ـ اللعنة على هذا البيت.

لترد عليه إلينا وقد دوى صوتها المرتعد أرجاء المكان :

ـ اعدني لبيتي يا يوناس

سمعوا صوت طرقًا هادئًا على باب المنزل، فزعق يوناس بصفوة لتفتح على عجل...

ركضت تجاه الباب وعقلها يكاد يتشتت من التفكير لتجد الطارق هو نعمان الصغير إبن إلينا ويوناس، أشارت له كي يدلف قبل أن يسألها عن أمه ليجد أباه أمامه، ركض نحوه محتضنا إياه بشوق كبير وعيناه لا تفارقان وجهه أمه الغارق بالدموع، ليسألهم بذعر :

ـ ما الذي حدث معكم ؟!

تأفف يوناس وقد استشاط غضبه :

ـ ليس لدينا الوقت لنقص عليك ما حدث، الكارثة الآن أنني لا أستطيع الانتقال بأمك من هنا.

ضيق نعمان عينيه بدهشة وقبل أن يستفسر عن الأمر أوقفه يوناس :

ـ لا تسأل فلا يملك أحدنا اجابة.

اقترب نعمان من أمه وهو يمرر كفه على وجنتها ليطمئنها :

ـ لا تخافي فقد عاد أبي.



ثم نظر لأبيه مقترحًا :

ـ دعني أحاول .

ابتعد يوناس عن إلينا وأمسك بها نعمان ليتوارى الاثنان عن أنظارهم للحظات قبل أن يعودا مكانهما .

ازداد ارتباك الجميع ونظروا لبعضهم بجهالة وعجز على السواء، نظر يوناس لنعمان قائلا :

ـ سأحاول الانتقال للقصر وأنت حاول الانتقال لمكان آخر.

ثم أشار لصفوة مردفا:

ـ وأنتِ حاولي أن تنقلي إلينا لأي مكان بعيد عن هنا غير القصر.

فعل الثلاثة ما أمرهم به ليجد يوناس نفسه في قصره، بينما انتقل نعمان بالفعل للمكان الذي أراده، لتنقلب صفوة وإلينا على عقبيهما في نفس البيت وفي ذات المكان

******

جابت سارافيم ارجاء المملكة التي تحفظ ممراتها عن ظهر قلب، حتى توقفت عند أحد المنازل لتمرر حوافرها على الباب صعودا وهبوطا، حتى فتحت لها خدامتها التي ربتها في بيتها بحفاوة كبيرة وهي تسحبها للداخل قبل أن تعاين ما حول البيت

يمينا ويسارًا كي تطمئن أنه لا أحد يتبع سارافيم ...

جلست سارافيم على أحد المقاعد وهي تدعو (برت) لمجالستها قائلة لها وملامحها السعيدة تنطق قبل لسانها :

ـ اشتقت إليك يا صبية، كيف هي أحوالك ؟!



اجابتها برت بابتسامة واسعة وهي تقترب منها تمسك كفيها :

ـ لقد اشتقتُ إليكِ كثيرًا يا سيدتي، فلم يعاملني أحد بلطف بعدك .

ابتسمت لها سارافيم وهي تستوضح منها الأمر:

ـ هل ما زالت تعملين لدى الأمير ويون ؟!

حركت برت رأسها إيجابًا فتسارعت دقات قلب سارافيم بتوتر ظاهر ليخرج صوتها المضطرب بتساؤل:

ـ هل تزوج الأمير بأخرى؟!

أجابتها بهزة قوية من رأسها :

ـ لا لم يتزوج .

تنهدت سارافيم براحة وهي تز درد ريقها الذي توقف في حلقها بخوف، لتستميل خادمتها بما جاءت من أجله:

ـ هل تعرفين أي شيء عن فتى جديد من الجن، مؤكد أنه قريب من الملك ياوي وبالتالي هو قريب من ويون وأخويه.

تهلل وجه برت بحماس وهي تخبرها عن الأمر:

ـ نعم لقد ظهر هذا الصبي فجأة فور رحيلك بشهور قليلة، لنراه يلاصق الملك ياوي في كل خطوة يخطوها ولكن لم يظهر أمام العامة من باقي المملكة، فهو يحذرنا من التحدث دائما إليه أو عنه حتى أنهم لا ينطقون أسمه أمامنا ولا يعلمه أحد منا .

كادت أن تتحدث سارافيم، فأوقفتها برت لتكمل:



ـ هل تدرين ما هو أغرب شيء في هذا الفتى.

أثرت سارافيم الصمت لتردف:

ـ أنه حين ظهر كان طفلا صغيرًا والآن بعد عام ونصف هو شاب ضخم الجثة، ولا تسأليني كيف حدث ذلك.

رفعت سارافيم حاجبيها باندهاش وهي تتفكر فيما قالته خادمتها الوفية لها، قادها الفضول لإخبارها :

ـ هل تستطيعين أن تجعليني أقترب من مكان الفتى لكي أرى وجهه.

توترت برت لتدور عينيها في الغرفة بحيرة وهي تقول لها بقلق:

ـ لا آأمن جانب الملك ولا سيدي ويون لو أكتشف أحدهم أمري، أو شاهدكِ أحد الحرس سوف.

ربتت سارافيم على كتفها وهي تطمئنها مقاطعة :

ـ لا تقلقي لن أورطك في الأمر، عليك فقط الذهاب الآن لمعرفة مكانه واخباري بوجهته وأنا سأرى شيئًا محددا بهذا الصبي وأعود من حيث جئت.

أمت برت برأسها وخرجت من غرفتها مسرعة تتفقد ما حولها بريبة حتى وصلت لقصر الملك ياوي، بحثت عنه في الارجاء جميعها ولم تجده، فأيقنت أنه مؤكد يجلس في قبوه السري،

فعادت لربتها كي تخبرها بأسى أنها لن تستطيع رؤيته، زفرت سارافيم بضيق وعزمت أمرها أن تعود لروهان التي تأخرت عليها كثيرًا، ويكفي تأكدهم من أمر الصبي..

ودعت برت باحتضانها وانصرفت تجاه بوابة الخروج،



وعندما وصلت إليها وجدت ويون وجنوده يحاوطونها من جميع الجهات اتسعت حدقتيها بمفاجأة كبيرة، فهي واثقة أنها دخلت من منطقة لم يراها أحد بها اقترب منها ويون فانتفض قلبها الذي ما زال يعشقه لتجده يقرب وجهه منها بغضب شديد وهو يقول لها:

ـ الخائنة بنت الخائنة قد أتت لتنهي مصيرها من حيث بدأ .

رفعت زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تقرب وجهها منه كما فعل لتهمس له

ـ لا أدري من منا قد انتهى مصيره من زمن بعيد يا ويون .

ارتعشت حدقتيه بوضوح فاتسعت ابتسامتها لتعاود مخاطبته بصوت خافت :

ـ إفعل ما أمرك به أبيك وقم بقتلي في الحال، فقد فعلتها من قبل فلن يصعب عليك أمري الآن بيد أنني بتُ مجرد جسد فارغ التخلص منه سهل ويسير.

تعالت انفاسه ورأت تهدج صدره وهو يقول لها:

ـ لو قتلتكِ يا سارافيم فسيكون القصاص العادل التي تلقاه امرأة قد خانت زوجها الذي لم يثق في أحد سواها، لذا فإن طعنتك لي ما زالت غائرة ولن يُشفى جُرحي بإزهاق روحك ببساطة هكذا.

ابتعد عنها وهو يأمر جنوده:

ـ كبلوها واتبعوني.

وفي هذه اللحظة حاولت الفرار منهم ولكن ويون قد سبق الجنود وأمسك بها حاوطها بذراعيه لتجد نفسها بين أحضانه



تلاقت أعينهما للحظة فشعر ويون بالضعف الشديد تجاهها وكاد قلبه أن ينفجر اشتياقًا لها، رائحتها التي اشتهاها منذ رحيلها جعلته يبتعد عنها بغتة كالممسوس، ليقوم الجنود بتصفيدها وعيناها ما زالت تتعلق به ليستدير بخطوات واسعة تشبه الركض فتبعه جنده يجرون سارافيم خلفهم بقوة وهم يستمعون له:

ـ أسجنوها في القبو الخاص بطعام الوحوش.

ليتمتم بخفوت لعل نهايتك هذه تشفي صدري وأستطيع بعدها العودة للحياة يا سارافيم .

******

وجدت روهان نفسها في منزل ذو طراز قديم مثل القصور التي صنعت في العصور البائدة اعتدلت لترى الفراش الذي تتمدد عليه لتتسع عينيها انبهارًا به وبالغرفة كاملة، كان الفراش من الذهب منتصفه مبطن باللون المخملي، ذات اللون الذي تنتشر بها الستائر التي تتطاير بفعل الهواء من جميع الجهات، وجدت غطاءٌ مُخملي يغطي جسدها مصنوع من الحرير، بينما ضوء القمر يتسلل من بين فتحات النوافذ عاكسا بريقه على الضوء الأصفر الذي يُشع من الثريا الذهبية التي تتدلي من منتصف السقف كانت الغرفة مبهرة ومريحة للنفس بشكل لا يُصدق فهذا ذوقها الخاص منذ أمد بعيد، لقد كانت هوايتها المفضلة اقتناء كل مجلة تحوي صورًا للقصور العملاقة في كل الأزمنة القديمة، كانت تحتفظ بهذه المجلات في مكتبتها الخاصة وكلما تشعر بالضيق تُخرجها لتشاهد



القصور بأذواقها المختلفة وتتخيل نفسها تعيش بهم، تذكرت أنها كتبت قصة ذات يوم بهذا الشأن استرسل خيالها فيما تراه حتى توقفت بتعجب وهي تتمتم:

ـ ما هذا المكان وما الذي جاء بي إلى هنا ؟!

انتفضت واقفة لتخطو نحو النافذة كي ترى ما على الجانب الآخر، ازاحت الستار فشهقت حين وجدت أنها على مسافة مرتفعة قليلة والقصر يحيطه جزيرة خضراء تمتلئ بالورود في وسط المياه صوت صرير الماء أثبت لها أنها متيقظة، فقد

ظنت لوهلة أنها تحلم وتتجول في عالم الجان، لم تشعر بمن يقف خلفها مغمض العين يستنشق رائحة شعرها التي تفوح حولها بفعل الرياح، كانت هائمة بما تراه أمام عينيها وكأنها سكنت قطعة من الجنة صوته سحبها من متعة النظر التي تتلذذ بها :

ـ لا أجد كلمات أخبرك بها كم اشتقتُ إليكِ .

تسارعت نبضات قلبها بقوة حتى كاد أن يتوقف من توترها، الآن هي متيقنة أنها تعيش حلم قد ناجت ربها مرارًا أن تعيشه ولو لدقيقة واحدة تجمدت في مكانها وأرخت جفنيها علها تستيقظ، ولكنه لفها تجاهه حتى تُصبح قبالته، ليهمس لها بطريقته المعتادة :

ـ ألا ترغبين في رؤيتي ؟! ألم تشتاقي إليَّ ؟!

انهمرت دموعها بغزارة وهي مازالت مغمضة العينين ليخرج صوتها الواهن من بين شهقاتها :

ـ أنا أحلم .. هيا استيقظي يا روهان .



جذبها بقوة لأحضانه ليعلو صوت بكائها وهو يقول لها:

ـ أنت لا تحلمين يا حبيبتي، لقد عدت.

حركت رأسها على صدره بعنف وهي ترفض ما سمعته:

ـ لا لا لن أتحمل أن يكون كل هذا من صنع خيالي.

حمل جسدها الهزيل على ذراعيه بحزن أصابه منذ أن وجدها بهذه الحالة، وأعادها للفراش فغطت وجهها بكفيها وهي مازالت تردد بصراخ:

ـ استيقظي يا روهان .. هيا افيقي.. هيا .

أزاح كفيها من على وجهها وهو يجفف دموعها قائلا:

ـ أرجوك يا حبيبتي كفاك بكاءً أنا هنا، أقسم لك أننا عدت، أنظري لي ها أنا ذا أمامك.

فتحت عينيها ببطء وهي مرتعبة أن تجده اختفى من أمامها، تلاقت أعينهما لتتأمل حدقتيه الزرقاء التي تاقت إليها لدرجة الهلاك، رفعت كفيها لتحاوط بهما وجهه وهي تبتلع ريقها بصعوبة وأمارات الخوف تحتل ملامحها بقوة، وحين لمسته همست بحذر:

ـ أنت هنا يا نعمان

وضع يديه على كفيها وقَبل باطنهما وهو يقربها منه حتى التصقت به قائلا :

ـ أنا هنا يا حبيبتي، هل سامحتني الآن ؟!

ارتمت بجسدها على صدره وهي تشتم رائحته مهللةً:

ـ حقا أنت هنا .

ظلت تقبل كل جزء في وجهه بأنفاس متهالكة وهي تقول له:

ـ لقد عدت، نعم لقد عدت يا حبيبي وأعدتُ لي قلبي وروحي اللذان غادراني منذ رحيلك.

بادلها قبلتها بأخرى متلهفة لتزداد رغبته بها أضعاف ما شعر به خلال عامين صمتت وسكت هو ليبث كلا منهما شوقه للأخر بطريقته الخاصة .

حتى انقضت الساعات وهما على حالهما، كلما توقفت هي منهكة سحبها لأحضانه مرة أخرى،

لم يتحدثا عن غيابه ولا عن عودته، ولم يسألها هو عما حدث دونه، لم يرغب أحدٌ منهم في التلفظ بحرف وكأنهما قطبي من المغناطيس اللذان من إن وجد بعضها البعض التصقا بقوة حتى لا يستطيع أحد تفريقهما مرة أخرى...



الفصل الثامن



مرت عدة ساعات وهم يجلسون حول سليمان الذي مازال فاقدا للوعي بطريقة مقلقة لثلاثتهم، فلم يكن من المفترض أن يغيب عن وعيه كل هذه المدة وخاصة أن المرض لم يتمكن منه مثل أمه التي لم تكن تملك الكثير من الوقت لتنتهي حياتها

في أروقة المشافي وعند الأطباء، نظرت ميلاف لساعاتها بقلقٍ وهي تقترب من شيث قائلة:

ـ يجب أن أعود الآن.

نظرت روهان إليهما قائلة:

ـ وأنا أيضًا أريد المغادرة كي اتفقد أبي، لو استيقظ ولم يجدني سوف يعاقبني بشدة.

تأملهما شيث للحظات قبل أن يخاطب ميلاف

ـ لم يحن وقت عودتكِ كما اتفقنا، بيد أنني لن أغادر سليمان قبل أن اطمئن عليه.

اقتربت منه بضعة خطوات ونظراتها الغاضبة تغشاه لتبدأ حديثها وهي تحرك رأسها بعنف:

ـ لا نحن لم نتفق على أن أجلس جوار مرضاك حتى تتأكد من أن جسدهم خالي من الأمراض.

وقبل أن يفتح فمه أردفت بحزم:

ـ الآن موعد العشاء في الضريح وستدخل إحدى الخادمات غرفتي كي تقدم لي الطعام كما مسموح لي وجبة واحدة في اليوم وهذا موعدها .



ختمت جملتها بصوت مرتفع أتبعته بأمره:

ـ الآن سوف تنقلني لحجرتي وستظل معي وتسلم نفسك أو أسلمك أنا حتى تفي بوعدك

انفرج فم روهان وهي تقف في المنتصف بينهما ووجهها لشيث الذي ارتبك على الفور حين سألته:

ـ ما الذي اتفقت عليه مع هذه الأنسية ؟!

حاولت ميلاف التحدث فأوقفته روهان بأن رفعت ذراعها للأعلى وهي تواليها ظهرها قائلة:

ـ لا أريد سماع صوتكِ الآن .

تلونت عينيها بالأسود وهي تخاطبه:

ـ وأنت أجبني في الحال.

زفر بضيق وهو يتحرك من أمامها جذبًا ذراع ميلاف بقوة أجفلتها وهو يقول لها:

ـ اتفاقي معها ليس من شأنك.

ثم رفع سبابته أمامها أمرًا :

ـ أمكثي بجواره حتى يفيق وإن لم يفق قومي بنقله لأحد الحكماء من مملكتكم ولا تخبري يوناس بما سمعتيه.

اختفى من الغرفة لحظات ثم عاد بمفرده ليجدها ما زالت على وقفتها وعيناها السوداء تضئ من الغضب وهي تنظر إليه،

فلانت نظراته نحوها وهو يقترب من سليمان الذي مازال جسده في سبات ليقول لها وهو يمرر كفه على رأس الفتى:

ـ سليمان أمانة بين يديكِ وأنا أعلم جيدا أنك ستحفظين الأمانة.

اقتربت منه لتجبره على النظر إليها وهي تقول له:

ـ تعرف جيداً أنني أستطيع حل الأمر الذي قيدتُ نفسك

حرك رأسه نفيًا وهو يخبرها :

ـ أنتِ لا تعرفين شيئًا يا روهان أرجوك وهذا آخر رجاء لي اطيعي أمري هذه المرة فقط .

نظراته تحولت للرجاء وهو يُردف:

ـ لقدت عدتُ لأنني أعرف عنادك وأحفظه عن ظهر قلب، لا تتبعيني يا روهان ولا تخبري أبيك.

ثم تركها تصك أسنانها بغيظ واختفى عائدا لمن تتنظره في غرفتها كي يحقق وعده.

*****

لف السيفين اللذان يُمسك بهما بقوة حوله ليشاهد بتلذذ رؤوس الوحوش الضارية التي يتدرب على قتالها الشرس منذ أن أمتلك وعيًا كاملا قذف بسيوفه نحو الجدار كي يرشقا به بحرفية بعدما انتهى من تدريبه اليومي، نظر للجنود الواقفين حوله يراقبونه ليقترب كبيرهم منه وهو يحني رأسه ويشير للمؤقت الذي بكفه قائلا :

ـ لقد تفوقت اليوم على نفسك يا سيدي، فقد انتهيت من الفوج الخامس في أقل من ثلاثون ثانية.

تجاهله آرام بزهو وهو يخطو لخارج الحلبة الكبيرة آمرًا:

ـ اطعموا وحوشي جيداً حتى تزداد قوتهم أضعافا، فأنا أريد غداً تحدي أقوى من ذلك .

اجابه بطاعة لينصرف آرام نحو قصره وهو يفكر فيما فعله والده، لقد ترك مشاهدته لأول مرة في حياته وانطلق مسرعًا نحو شيء يجهله، تباطأت خطواته وهو يقترب من غرفتها، خادمة صغيرة تماثله في السن ولكنها تحمل قلبًا طيبًا لا يُشبه هذا العالم، مؤكد تعلم ما جرى لأنها تملك سمعا حادًا وحاسة لا تخطئ هدفها، طرق طرقة واحدة على بابها ليجدها فتحت له على الفور، شهقت بخفة من المفاجأة فوضع كفه على فمها وهو يدفعها للداخل مغلقا بابها خلفه ...

رفع يده الملتصقة أعلى شفتيها ببطء وهو يحذرها :

ـ لا تنطقي، فقط اجيبي على أسئلتي.

حركت رأسها بإيجاب وقد احتلت الحيرة ملامح وجهها

ليسألها آرام بشكل مباشر :

ـ ما الذي حدث مع الملك اليوم ؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تجيبه

ـ لا أعلم ما الذي تتحدث عنه.

ضيق عينيه وهو يقترب منها لتلتصق بالحائط الذي خلفها بخوف فقرب رأسه من أذنها قائلا:

ـ لقد قصدتُ بابك يا صبية لعدة أسباب، أهمها أنك تملكين قلبًا طيبًا يندر وجوده في هذه الممالك أجمعها، ولا أعرف من أين أتيت بصفاتك الهادئة الحالمة هذه.

ابتعد عنها خطوة واحدة كي تلتقط أنفاسها التي حبستها وهو بالقرب منها ليستطرد:



ـ لذا فقد قررتُ الوثوق بكِ لتخبريني ما جرى اليوم مع الملك، وستصبحين من اليوم عيني وأذني في القصر والمملكة جميعها .

حرك كتفيه ورسم ابتسامة متسلية وهو يهمس لها:

ـ سأخبرك سرا؛ لقد سأمت كوني أعيش في برج منفصل وعالي، وقررت النزول للأسفل كي أدرك كل ما يدور هنا .

تعالت أنفاسها فطمأنها وهو يبتعد عنها ليجلس على المقعد خلفه قائلا :

ـ لا تخافي فلن يعرف أحد بأمرك، ولم يمسك مخلوق من هؤلاء بأذى وأنت تعرفين أنني ما دامت وضعتك في حمايتي فستكونين بأمان طوال حياتك.

أومأت برأسها وجلست أمامه وهي تقول له:

ـ عدني بذلك.

رفع حاجبه وردد بهدوء:

ـ اعدك .

ابتسمت نحوه لأول مرة فاتسعت حدقتيه بدهشة ليجد أن حماسها اشتعل في صوتها وهي تقول له:

ـ تستطيع مناداتي برت، وقد أطلق على أبي هذا الاسم لهدوئي الشديد الذي يشبه هذا الجليد، وتيمنًا بالعملاقة برتسلا ولكنه لم يعرف أنني سأصبح خادمة لذا..

تنحنح آرام بضجر مقاطعًا :



ـ برتسلا توقفي.

هزت رأسها نفيا وهي تؤكد له:

ـ لا لا اسمي ،برت برتسلا هذه أحد أبناء عملاق الجليد الأول بورلثون أنا ...

خبط آرام بكفه على ذراع مقعدها فتشقق من قوته، لينتفض جسد برت بذعر لتقول له بصوت مضطرب :

ـ حسنًا .. حسنًا سوف أخبرك ما حدث اليوم، ولكني كما قلت في حمايتك.

دقق النظر بعينيها وهو يستمع لها تقص عليه مقابلتها مع عرابتها سارافيم التي تركت المملكة من سنوات، وحكت له كل ما جرى لسارافيم بالتفصيل شعر بالملل من حديثها الكثير عن الحد ولكنه صبر كي يستمع لكل ما يجهله في هذه المملكة، حتى وصلت للجزء الذي اخبرته به أن ويون قبض على هذه الفتاة الجنية التي كانت زوجته وسجنها في سجن خاص كي يطعمها للوحوش..

عند هذا الجزء انفجرت في البكاء على سيدتها وهي تقص عليه أنها قد قامت بتربيتها منذ طفولتها عندما أنجبتها أمها في قصر الملك، وقررت أن تعمل لديها حين نضجت في قصرها الخاص حتى لا تُعاني مع خُدام القصر الكبار عنها ..

انهت قصتها وهو يحاول الصمود أمام ثرثرتها الشديدة، لتبدأ في رجاءه :

ـ أرجوك يا سيدي قم بإنقاذها، فقد أتت إلى المملكة كي تسأل عنك .

رفع سبابته أمامها ليوقفها عن الحديث وهو يقف قائلا:

ـ عني ؟!

جففت دموعها الغزيرة وهي تستقيم ولا تجرؤ على الاقتراب منه وهي تجيبه :

ـ نعم.. لقد جاءتني كي تسألني عنك، ولكني لم أخبرها إلا بما عرفته.

أشار إليها كي تقترب منه، ففعلت ببطء وملامحها المذعورة تزداد ارتعادًا وهو يحرك رأسه بتساؤل، فسردت عليه ما قالته لها بصدق رغم انفعالات ملامحة المندهشة، لقد بدت علامات الصدمة تتضح رويدا على وجهه عندما ذكرت كونه تقدم في العمر فجأة، فقد أوضحت له أمرًا كان يحيره منذ وقت طويل، وهو أنه لا يملك الكثير من الذكريات عن طفولته وصباه، فجأة وجد نفسه شابًا يافعًا قويًا له مكانة خاصة عند أبيه لا يملكها أحد أقرانه، لم يرى أمه قط ولا يعلم عنها شئ!

صمت أذناه عن سماع صوت برت وهي تحكي له كل حرف من محادثتها مع هذه السيدة التي تدور حوالها الكثير من التساؤلات وأهمها ما هو سبب مجازفتها هذه وتعرضها للخطر وهي تعلم جيدا ما فعلته، كي تسأل عنه وتريد رؤيته بهذا الشكل المريب ؟!

اتسعت حدقتاه بقوة وهو يوقف برت عن الاسترسال قائلًا :

ـ هل تعرفين موضعها بالتحديد في أية سجن؟!

تهلل وجهها وهي تصفق بحرارة ليتأجج صوتها السعيد يملئ المكان



ـ سوف تقوم بإنقاذها ؟!

عاد للخلف خطوة واحدة بدهشة وهي تنقلب من البكاء الشديد للسعادة الكبيرة هذه في لحظات معدودة، جعلته يشعر بالارتباك تجاه هذه المشاعر الغريبة عليه والتي لا يدرك كينونتها على الإطلاق، أوقفها بإشارة منه وهو يراها تحاول الاقتراب منه ثانية وقد غشيتها الفرحة، ليعيد سؤاله بنبرة أقوى:

ـ أجيبيني وكفاك ثرثرة يا صبية.. هل تعرفين أين سجنها ويون ؟!

حركت رأسها إيجابًا بحماس شديد وهي تتقدمه، فأمسك ذراعها ليرجعها للخلف آمرا :

ـ لن تتحركيه من هنا اخبريني فقط بموضعها.

ارتسم على وجهها أمارات الحزن وآثرت الصمت عنادا، توهجت عين آرام ونبرة القوية تعلو :

ـ برت.. تكلمي .

لانت ملامحهما برجاء وهي تترجاه:

ـ أرجوك خذني معك، أريد الاطمئنان عليها .

اغمض عينيه يحبس غضبه داخله كي لا يقضي على هذه الفتاة العنيدة الثرثارة في لحظة غضب، فأكملت هي توسلها إليه إلى أن فتح عينيه ناطقا بغيظ:

ـ حسنا .

ليردف وهو يرفع سبابته محذرًا:

ـ لن أسمع صوتك نهائيًا مرة أخرى.



وفي الحال وضعت كفها على فمها بإشارة واضحة للطاعة والانصياع لأمره، فأشار إليها كي تلحق به في ممرات خفية لا يعلمها أحد سواه، وهذه الممرات ستوصله إلى السجون الخاصة بالمملكة دون أن يراه الحرس ولا الجنود ولن يعلم مخلوق في المملكة بمقابلته لها .

*****

مر النهار سريعًا وعاد الليل يُسدل ستاره عليهما، كانت نائمة قريرة العين وكأنها لم تنم منذ عقود، بينما هو جالس أمامها يتأمل وجهها الوردي الذي كان في الأمس يتلون باللون الأصفر الباهت جلت عيناه على جسدها المُمدد بحسرة وهو يشاهدها قد فقدت الكثير من وزنها الطبيعي، فمرر كفه عليها بخفة وهو يهمس بأسي:

ــ لقد اقترب جسدكِ من الاختفاء يا حبيبتي، ما الذي فعلته بنفسك.

احمرت حدقتيه من الغضب وهو يُردف:

ــ أين كان ولدك وزوجته وأولاده؛ لتصبحي على هذا الحال ؟!

كيف تركك الجميع تتلاشين هكذا ؟!

تفاجأ بها تُحدثه بخفوت وهي تفتح عينيها ببطء والابتسامة التي ترتسم على شفتيها لم تختفي منذ أن رأته:

ــ لقد هددتُ ولدك لو عاد لي دونك سوف أتبرأ منه، ورفضت الجلوس مع زوجته وابنتك واعتزلت غرفتي ولم أقبل بدخول أحد إليها طوال العامين الاسودين سوى نعمان الصغير.

تمدد جوارها وهو يجذبها على صدره محدثًا إياها بضيق :



ـ لما أهملت صحتكِ هكذا ، أنا غاضب منكِ بشدة يا روهان.

قبل رأسها مرارًا لتتنهد هي : قائلة:

ـ لولا تمسكي بخيط رفيع من أمل أعطاه لي ولدك وابنته بأنك حي وأنهما لن يعودا إلا بك، لكنتُ الآن جثة هامدة.

ابعدها عن صدره وهو يحاوط وجهها بكفيه ويراقب حدقتيها المهتزة بعيناه التي ما زالت تتلون بالأحمر القاتم :

ـ لا تنطقيها أبدًا، ولا الموت حتى يستطيع أن يفرقنا يا حبيبتي، فأنا لم أحفظ أنفاسي داخل صدري إلا لأجلك أنتِ.

ارتمت على صدره وهي تحاوطه بذراعيها تضمه بكل قوة تملكها، بينما عيناها مغمضتين تستمع النبضات قلبه العالية بكل استمتاع وكأنها تعزف مقطوعتها المفضلة التي اشتاقت إليها للحد الذي لا تستطيع وصفه .. تنهد نعمان بقوة وهو يهمس لها :

ـ اااه يا ،روهان عامين كاملين لم أذق بهما طعم الحياة ولا حتى الممات، رأيت بهما أهوالاً لم أراها في حياتي الطويلة التي عشتها، ورغم ما عايشته لم أفكر إلا بك، لم يخفق قلبي إلا لكل ذكرى عشناها سويًا، لم تعمل كل خلية في عقلي إلا بسؤال واحد .

ابعدها عن صدرها ليواجهها بعيناه اللتان تلونا بالأزرق الذي تعشقه لتحرك رأسها باستفهام جعله يُردف بصوتٍ مضطرب ويهتز خوفا :

ـ هل سامحتني على ما فعلته ؟!

استحوذ على عقلها خاطر شيطاني قررت أن تلاعبه به قليلا



فأجبته بنبرة تعجب هو لها :

ـ يا حبيبي من كان منا بلا خطيئة، وأنا سامحتك منذ ...

صمتت على استحياء وطأطأت رأسها للأسفل، فتعالت أنفاس نعمان بقوة جعلتها تُخفي ابتسامتها سريعًا لتجده يرفع وجهها بسبابته وعيناه الزرقاء عادت للأحمر ثم الأسود وهو يضغط على حروفه

ـ منذ متى ؟!

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تُكمل تمثيلها بنبرة مترددة ومرتعدة :

ـ لا تكترث يا حبيبي فقد غفرت لك وانتهى الأمر.

تعالى صوته قليلا وهو يضيق عينيه:

ـ روهان

ابتسمت بارتعاشه واضحة وهي تُجيب

ـ نعم .

كان سؤاله واضحا وبنبرة جادة وقوية

ـ ماذا فعلت ؟!

زمت شفتيها قائلة:

ـ لا أفهم مقصدك .

صك أسنانه بقوة وهو يعيد سؤاله:

ـ روهان اخبريني ما الذي فعلته أنت لتشعري بالذنب تجاهه فتسامحيني هكذا ببساطة بعدما اتخذت قرار الطلاق بشكل حاسم



حركت كتفيها بإهمال وانتفضت من الفراش تخطو نحو النافذة وكأنها تتجنب مواجهته وهي تقول له:

ـ لم أفعل شيئًا يا نعمان.

ظهر خلفها ولكنه تجنب ملامستها وهو يعض شفتيه السفلى بقوة قائلا :

ـ لا تجعليني أحترق ببطء هكذا وصارحيني بخطيئتكِ.

استدارت نحوه وقد تغيرت ملامحها بقوة ولمعت عيناه الغاضبة أمامه :

وهي تُحدثه بسخط :

ـ وهل فعلتها أنت؟! هل صارحتني أم جعلتني أحترق حتى تبين لي الأمر كله؟! اجبني.

انهت جملتها بصرخة ارتعشت لها عظام فكه وهو يحاول أن يفهم ما تفعله ليجيبها وقد التاع قلبه لشهور طويلة :

ـ لقد تلقيت عقابي كاملًا دون نقص، وأمتص الندم كل قطرة في دمائي يا روهان .

اقتربت منه حتى التصقت بوجهه وهي ترفع حاجبها قائلة:

ـ وأنا أيضًا كذلك.

ثم تركته وخطت نحو الفراش ليوقفها قابضًا على ذراعها لتشعر هي بكفه المرتعش فلان قلبها على الفور وهي تسمعه يخبرها بصوته الواهن:

ـ ما تحاولين فعله يقتلني بأسوأ طريقة لن تستطيعي تخيلها، أنت تحاولين تمزيقي كما لم يحدث لي في أحلك أيامي وأظلمها يا روهان



التفتت نحوه بصمت فوجدت وجهه خاليًا من الدماء، وصوته المرتعد يخرج متحسرًا وهو يُردف:

ـ لم يمسك أحد غيري؛ أليس كذلك ؟!

دنت منه وهي تضيق عينيها متسائلة:

ـ هل لو أخبرتك أن أحد فعلها، ستصدقني ؟!

انقطعت أنفاسه كما أنقطع صوته ولم يجب إلا بهزة رافضة من رأسه وقفت على أطراف أصابعها وهي تشير إليه كي ينحني نحوها ففعل بارتعاشه واضحه لتقترب من أذنه هامسة:

ـ لن يجرؤ أحدٌ على فعلها، ولو حدث ذلك سأكون جثة لن أشعر بشيء، لقد حرمت جسدي على الإنس والجن منذ أن عشقتك يا نعمان

تنهد براحة وهو يحملها ليضعها على الفراش، ثم وضع كفه على قلبه قائلا :

ـ لقد حرقتي قلبي يا روهان، لا أعرف هل أفرح لكون ما فعلته كان حركة انتقامية أعادت لكِ حقك فيما فعلت، أما أحزن لأنكِ ألقيت بي في الجحيم لعدة دقائق مرت أسوء من العامين اللذان حُرمت فيهما منكِ.

احاطت وجهه بكفيها وهي تقبل شفتيه ببطء قائلة:

ـ أنت تعلم أنني لن أمررها إلا حين أجعلك تتذوق ولو قليلاً مما أشعرتني به.



باغتها بحركة سريعة وهو يلفها بذراع واحدة ليجعلها تتمدد أسفله، مقيدًا إياها بجسده الضخم فصرخت بضحكات عالية وهي تصيح به:

ـ ابتعد يا نعمان

ظل يدغدغها قائلًا :

ـ سوف أنتقم منك على ما فعلته.

ازداد صياحها وهي تترجاه:

ـ كفى أرجوك، توقف.

تركها تضرع إليه كثيرا قبل أن يرتد عنها حتى لا تتوقف أنفاسها من كثرة الضحك ..

تمدد جوارها حتى هدأت، ثم جففت دموعها التي تساقطت من قهقهتها العالية لتستعيد انفاسها وملامحها الجدية وهي تقول له:

ـ لقد علمتُ أننا نملكُ ولدًا عند العماليق الأرضيين.

لف رأسه نحوها واتسعت عيناه من المفاجأة وهو يسألها بقلق:

ـ كيف عرفت ؟!

وقبل أن تُخبره قاطعها :

ـ ألذلك وجدتكِ في هذا المكان الغريب؟!

أومأت برأسها وهي تخبره:

ـ هذا المكان به بوابة سرية تعرفها سارافيم اصطحبتني هناك ودخلت المملكة لتأتيني بأخباره.



كان مرتعبًا أن تكون قد علمت أنه ليس أبيه، ولكن من الواضح أنها لم تدرك ذلك حتى الآن بدليل أنها أخبرته بلفظها (لدينا ولد)، ولكنه ورغم ذلك شعر بالغضب الشديد لمعرفتها بالأمر فهو قد عاد بقرار قتله والتخلص منه مع من قام بهذا الفعل ..

جفل عندما انتفضت جالسة وهي تقول له:

ـ سارافيم .. كيف نسيتُ أمرها ؟!

جلس جوارها وهو يطمئنها :

ـ لا تقلقي فمؤكد أنها عادت للقصر.

نظرت له وملامحها القلقة تزداد تجهما :

ـ حتى لو فعلت فمؤكد أنهم مذعورون الآن من غيابي، وأنا قلقة من أن تعود سارافيم مع نعمان الصغير لذات المكان ويتعرضون للخطر وهم يبحثون عني.

نهضت من الفراش وهي تبحث عن ملابسها مردفةً:

ـ هيا بنا .. لقد حان وقت العودة الآن ؟

الفصل التاسع



كانت تجلس على طرف فراشها تنظر لساعة يدها قبل أن تطرق الخادمة الباب، لتهمس براحة :

ـ في الموعد بالضبط .

دعتها للدخول، فوضعت الفتاة الطعام أعلى المنضدة والتفتت عائدة نحو باب الغرفة، أوقفتها ميلاف بأمر سريع:

ـ أريد مقابلة جدتي في الحال، أخبريها بهذا.

اكتفت الخادمة الشابة بإيماءة من رأسها وهي تدير المقبض لتذهب حيث أمرتها سيدتها ظهر شيث فور أن سحبت الفتاة الباب خلفها وهو يسألها :

ـ هل ستأخذين موعد لمحاكمة عاجلة؟! أم سأسجن لعدة أسابيع كالمعتاد لديكم؟!

لم تنظر نحوه وظلت شاخصة بصرها تجاه الحائط تفكر في طريقة لإخبار جدتها أنها استطاعت إعادة الجني دون أن تشك بها أو بالطريقة التي قبضت عليه بها، انتقل شيث أمامها ليراقبها بتدقيق قبل أن يفرقع إصبعيه في وجهها قائلا:

ـ إلى أين سافرت يا فتاة؟!

أجابته وعيناه لا تحيد عن نقطة محددة أعلى الجدار:

ـ لا أستطيع حبك قصة مقنعة.

رفعت بصرها من أعلى الحائط لتنظر نحوه وهي تستطرد:

ـ مؤكد سوف تكتشف جدتي ما فعلته.



اقترب منها يحاول تهدئتها :

ـ لا داعي للقلق، اخبريها ما اتفقنا عليه وأراهنك على تصديقها .

التقطت أذناه صوت طرق حذاء الجدة على الأرضية الخشبية مقابل باب الغرفة، فأختفى على الفور قبل أن تدرك ميلاف ما يحدث، وقبل أن ترفع صوتها بإسمه فتحت توكدا الباب بقوة

وبصوتها الرنان سألتها:

ـ ما الأمر الهام العاجل الذي طلبت على إثره مقابلتي .

استقامت ميلاف بجسدها سريعًا، واحنت رأسها بتحية عاجلة وهي تتقدم من جدتها قائلة:

ـ لقد قمتم باتهامي بأنني وقفت أتحدث مع جني ناقم وتركته يهرب بإرادتي، ولم يستمع لي أحد منكم وأصدرتم قرار لحبسي دون دفاع لذا ...

قاطعتها توكدا بحزم:

ـ هل طلبتي مقابلتي كي تدافعي عن نفسك؟! هل تظنين أنني سوف أستمع لهذا الهراء.

انهت جملتها واستدارت نحو الباب القريب منها لتغادر الغرفة وهي تقول لها:

ـ عندما تنتهي مدة حبسك سيكون لي تصرف آخر معكِ.

أوقفتها ميلاف بصوت مرتفع :

ـ أستطيع القبض على الجني الهارب.



توقفت توكدا في موضعها لتلتفت نحوها ببطء وهي ترفع حاجبيها بتعجب، لتقص عليها ميلاف الحكاية التي رددتها مع شيث بثقة كبيرة :

ـ لقد قرأت كتاب جدي وأتقنت بعضا من سحر الاستدعاء بالقوة، ولدي القدرة على استحضار الجني وتسليمه للمحاكمة.

التزمت توكدا الصمت بينما أكملت ميلاف :

ـ ولكن بشرط واحد .

شبكت توكدا أصابعها العشر بعضهم وهي تستمع لحفيدتها بتركيز كبير :

ـ سيتم تبرأتي أمام العائلة بأكملها، وسوف أستلم موقعي مع الموالين من الليلة، وعندها سأحضر لكم الجني الناقم.

دنت منها توكدا ببطء، فارتعدت حدقتي ميلاف بوضوح وهي تسألها :

ـ وهل جربت هذا السحر إذا واستدعيت الجني حتى تعرفي مدى قدرتك التي تحدثيني عنها بثقة الآن ؟!

حركت ميلاف رأسها نفيًا وهي تخرج صوتها ثابتا بجسارة:

ـ لا لم أفعل.. ولكني أعرف قدراتي جيداً، ولو رغبتي في أن أجربها أمامكِ الآن سوف أفعل ذلك بالتأكيد.

رفعت توكدا زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تقول لها:

ـ تعلمين جيداً أنه لا يجوز فعل هذا هنا في بيتنا ولا في مكان خارج الضريح.



زمت ميلاف شفتيها قائلة:

ـ أعرف هذا .. لذا فأن عليكِ تصديقي، وإن عجزتُ عما صرحت به لكِ تستطيعين معاقبتي بما تريدين.

قربت توكدا رأسها من ميلاف وهي تحدق بعينيها بقوة محذرة

ـ لو ثبت لي صدقك فسوف تقومين بأخذ موضع مميز بين الموالين أما إن تبين لي كذبك فلن أسجنك المرة المقبلة في غرفتك، ستحبسين في غرفة من سجون الضريح ولمدة سنة كاملة.

ابتسمت لها ميلاف بثقة :

ـ حسنا .. اتفقنا .

تركتها جدتها وغادرت الغرفة بعد أن أخبرتها :

ـ الليلة في محاكمة العشاء، بعدما ننتهي من قضايانا المؤجلة، ستصعدين منبر المعلم بولحرير وتجعلينا نشاهد قدرتك القوية هذه.

عند اغلاقها للباب اخذت ميلاف أنفاسها براحة وارتمت على الفراش من شدة التوتر، ظهر شيث وجلس جوارها قائلا :

ـ لا تقلقي لهذا الحد، فالأمر يتم ببساطة ودون تعقيد، وبالتحديد لو المسيطر أحدٌ من عائلة بوياعمر.

تأملته بنظرة ذات مغزى وهو يُردف:

ـ كلمات الاستحضار بسيطة سأجعلك تحفظينها بطريقة سهلة وسريعة، حتى لا يكشف أعضاء المحكمة ولا الموالين أمرك



تعجبت من كونه يساعدها لهذا الحد رغم معرفته بما سيحدث له فور الإمساك به من أين جاء بهذه القوة؟! أما أنه يخدعها بطريقة ما وسوف يهرب ويتركها لقدرها المظلم ؟!

اعتدلت في جلستها وهي تحاول أن تستوضح الأمر منه:

ـ ما السبب وراء مساعدتك لي بهذه الدرجة وكأنك لا تلقي بيدك إلى حتفك ؟ !

ابتسم نحوها فأردفت وملامحها المستفهمة تزداد قتامة:

ـ رغم أنني لم أقدر على مساعدتك كما اتفقنا، فصديقك الجني لم يتحدث مع والده وصديقك الأنسي في غيبوبة نجهل جميعًا سببها .

حرك كتفيه بإهمال وهو يُجيبها :

ـ لقد نفذت حصتكِ من الاتفاق النتيجة التي تترتب على مساعدتك ليست بيدك فقد فعلت قصارى جهدك، لذا فحان وقت تسديد الدين كما يجب.

شعرت بشيء يتحرك داخلها تجاهه، مما جعلها تغتم وتمتلئ عيناها بالدموع لكل ما حدث لها في الأيام السابقة تارة والخوف من القادم تارة أخرى، فأمالت برأسها لناحية أخرى وهي تتنحنح لتخرج صوتها المتأثر ثابتًا:

ـ أشكرك على مساعدتي رغم أنك تحاول الانتحار لتنقذ حياتي.

ابتسم شيث وهو يقول لها:



ـ لا عليك يا ميلاف فأنا لم أكترث للموت يوما فهل سأفعل الآن

******

كانت تجلس جواره وعقلها شارد تفكر فيما حدث له هي لا تعرف كثيرا عما يتردد في هذه المحاكمات، ولكن كما أخبرها أبيها وكما رأت هي منذ قليل، فإن بينهم جنود أقوياء من الجن، بالإضافة لرتبهم التي تتميز بالقوة والقدرة على قتل الجن المتمرد أو كما يسمونه الناقم، ذلك الجن الذي يتخذ أجساد البشر مسكنا له سواء عن طريق سحرٍ أو انتقام...

زفرت بضيق وهي تنظر لجسد سليمان الممدد أمامها بهدوء، وقد قادها عقلها للأسباب التي تجعل جنيا يسكن جسد أنسي، من من السحرة يستطيع أن يسيطر على هذا المخلوق القوي

ويجعله يؤذي إنسان وما المميز في جسد الإنس لدرجة أن يسكن به جني حتى ولو من باب الانتقام فبالتأكيد هناك أساليب أخرى كثيرة!

ضيقت عينيها وهي تنظر لجسد الصبي وكأنها تفكر في الولوج إليه من باب التجربة ،والفضول، استقامت واقفة وقد أعجبتها الفكرة كثيرًا لدرجة أنها وضعت كفها على صدره وهي تستكشف هل ستختفي يدها داخل جسده أم أن هناك طريقة محددة يتم بها الأمر!

رفعت كفها من أعلى صدره لتهبط بها على بطنه فتفاجأت به وهو يمسك كفها قائلًا بصوته الهادئ :

ـ لا تفكري في الأمر، فالذين يرون الجن ويتحدثون إليهم لا يستطيع الجني مهما كانت قوته أن يدخل جسده وخاصة هؤلاء ذوي الدماء النقية من الإنس .



سحبت يدها من كفه بحرج وهي تضم حاجبيها بتعجب متسائلة:

ـ كيف عرفت ما أفكر به ؟!

ابتسم نحوها وهو يعتدل في جلسته ليجيبها :

ـ لدي قدرات خاصة.

صمت هنيهة ليردف :

ـ لما لم أراك فرحة من عودتي ؟!

نفت الأمر سريعا :

ـ لا .. بالطبع سعدتُ لرؤيتك وحمد لله على سلامتك.

نهض من الفراش يحاول الوقوف مسرعًا وكأنه تذكر شيئًا هاما، ليهمس بقلق:

ـ أمي.

اوقفته روهان وهي تمسك ذراعه كي يستند عليها لتطمأنه:

ـ لا تقلق لقد استيقظت وأتت لغرفتك لتطمئن عليك، وحين وجدتك نائمًا قبلتك وعادت لغرفتها لتكمل نومها .

تنهد براحة وجلس على الفراش مرة أخرى، لتستطرد روهان :

ـ يبدوا أن علاج المرآة له بعض الآثار الجانبية، وأهمها هو النوم.

ـ نعم هذا صحيح .

قالها وهو يشعر أن النعاس يداهمه بقوة، فأكمل متسائلًا:



ـ أين شيث وميلاف؟ وما الذي حدث لي؟! فآخر ما أتذكره أنني أخبرتك ألا تتركيني.
دارات حدقتيها بخجل وهي تحاول الثبات أمام نظراته التي تحدق بوجهها وعينيها بطريقة لم يفعلها أحد قبله .. حاولت أن تُمرر هذا الموقف المُخجل بأن قصت عليه ما حدث بينها وبين ميلاف حين أغشي عليه، لتنهي حديثها بإخباره:
ـ لقد ذهبا الإثنان لضريح جد ميلاف ويبدو أن شيث سيدفع ثمن هذه المرآة غاليا .
كانت عيناه تُغلقان رغمًا عنه ولكنه حاول أن يفيق وهو يستفسر عما قالته:
ـ لم أفهم! ما هو هذا الثمن؟
حركت روهان رأسها نفيا وهي تُخفي عنه ما تعرفه لئلا يرتكب أي حماقة كي ينقذ صديقه، فهي في كل الأحوال لم تعرف مدى قدراته الغريبة التي جعلته صديقا لشيث، هذا الجني الذي يُلقب في جيشهم قاهر الشياطين والمردة، كيف يجعله هذا الصبي الصغير يضحي بحياته لأجل إنقاذه! لمحت روهان رأس سليمان تتحرك يمينا ويسارًا بعدم اتزان، فسألته سريعًا قبل أن يغفو:
ـ من أين عرفتِ شيث ؟! وكيف استطعت أن تجعل أحد الجان الأقوياء مثله صديقًا لك ؟!
أسند رأسه الذي يدور على الوسادة من خلفه وهو يقول لها:
ـ هذه قصة طويلة سأحكيها لكِ



ذات يوم قبل عدة أعوام قابلني رجل عجوز ووجدته يقف من سيره أمامي بشكل فجائي وهو يحدق بي بغرابة وكأنه يعرفني، سألته بلطف عما يريده مني فأخبرني أنه يريد اعطائي الكثير من المال مقابل خدمة صغيرة، وقتها كانت أمي تعاني

من ضيق الحال لدرجة أنها كانت تبحث عن طعام لي بين الأزقة دون معرفة أبي كي لا تثقل عليه وهي تراه يفعل كل ما يستطيع حتى يوفر لنا ولو القليل من احتياجاتنا .

صمت فاقتربت روهان منه تتحسس وجهه فابتسم وهو يقول لها:

ـ لا تقلقي ما زلتُ مستيقظا .

سألته بخوف ظاهر :

ـ هل أنت بخير ؟ !

أماً برأسه قائلا :

ـ لا تقلقي .. أشعر بالنعاس فقط.

ساعدته ليتمدد ثانيةً وهي تحدثه:

ـ حسنًا لا ترهق نفسك وعد للنوم.

أمال رأسه تجاهها وملامحة الهادئة ترسم ابتسامة حالمة على وجهها وهو يقول لها:

ـ سأكمل لك الحكاية حتى يغلبني النوم ويسحبني للظلام بعدما يقهر قوتي على أن أظل هكذا بجوارك أتحدث معك حينها ستذكرينني لاحقا بما توقفت عنده.



لمعت عيناها الزرقاء بسحر خاص وهو يتأملهما ليكمل :

ـ عيناكِ تُسحرني يا روهان .

ارتبكت من نظراته وكلماته التي تدغدغ حواسها وهي تسمعها لأول مرة في حياتها، لم تسمح لأحد قبله أن يقترب منها هكذا ، ورغم صغر سنها لم تكترث يوما سوى لتعلم القتال والسيطرة بكل أنواعها، جذبها سليمان من عصف ذهني جعلها تحيد بنظرها عنه، ليفهم هو أنها في خضم صراع نفسيٍ تعيشه بين طبيعتها وبين كلماتٍ يُلقيها على مسامعها تُعبر عما يشعر به تجاهها، فاستطرد حكايته مع شيث

ـ وافقت العجوز على مساعدته مقابل المال الذي سآخذه منه وأعطيه لأمي كي يكفيها حتى لبضعة أيام لا تحمل بهم هما ولا حزنًا، ولكني رفضت أن أتحرك قبل أنا أحصل على المال، وعندتُ معه بطريقة طفولية وجدية في ذات الوقت.

توقف عن الحديث وهو يتثاءب بشدة مستعيذاً بالله ليكمل لها :

ـ يبدو أن العجوز وقتها كان يحتاج مني مساعدة عاجلة لذا فقد اعطاني الكثير من المال قبل أن يقبض على كفي خلفه نحو منزله الذي كان يبعد بيتي بمسافة

توقف سليمان عند هذه الكلمة بعدما خفت صوته ليغط في نوم عميق دنت روهان منه لتتأكد من أعضائه الحيوية كما فعلت ميلاف من قبل فوجدت نبضات قلبه طبيعية وأنفاسه الهادئة جعلتها تطمئن عليه، وقفت حائرة لعدة لحظات قبل أن تعزم أمرها على العودة للقصر كي تُخبر والدها عما سيحدث لشيث



ولكنها حين وصلت لم تجد سوى الخادمات الواقفات حول حدود القصر الداخلية ينتظرون الأوامر، ضيقت عينيها تتأكد من عددهم لتجدهم مكتملين، كيف يحدث هذا ؟!

وهي من المفترض أن كل خادمة تقف على باب غرفة سيدها ومعنى اكتمالهم أنه لا يوجد أحد في القصر نادت على بارئ الجندي الخاص بهم لتسأله:

ـ أين هي أمي وأبي ونعمان ؟ وبما أن عدد الخادمات كامل ولا أحد يوجد منهم على غرفة جدتي ولا عمتي سارافيم فهذا دليل على أن هناك كارثة، ألا تعلم أين هم ؟!

أجابها بارئ بأسف:

ـ والدكِ وأمك وأخيك

عند السيدة صفوة بنت قسورة وجدتك خرجت مع عمتك ولم يعد أحد منهم حتى الآن .

انتقلت على الفور نحو بيت صفوة لتجد أن أبيها يقف في بهو البيت بصحبة أخيها وكلا منهما يدور حول الآخر بخوف شديد ...

أقبلت عليهما بملامح مضطربة لتتسأل:

ـ ما بكما ؟!

لتجد حدقتي أبيها أسودت بقتامة وهو ينظر إليها بغضب جعل عظام فكه تبرز من موضعها لتهرب أنفاسها من فمها وهو يقول لها:

ـ أين كُنتِ كل هذا الوقت ؟!

وكعادتها الشيطانية اجابته سريعا :



ـ كُنت أحاول أن أجعل صديقك يعدل عن قتل نفسه، ولكني لم أستطع وعُدت إليك كي تقذه أنت.

هدأت ملامحه الغاضبة وهو يقترب منها متسائلا :

ـ أين ذهب شيث ؟!

اجابته وهي بالقرب تنظر نحو أخيها الذي اشتاقت إليه ولكنه توقف منها عاجزا عن احتضانها حتى لا يُغضب أبيه:

ـ ذهب لمحكمة الجان الكُبرى ليُسلم نفسه للموالين.

لتجحظ عين يوناس قائلا:

ـ وكيف عرفتِ ذلك ؟! هل أعلمك بهذه المصيبة التي يريد فعلها ؟

حركت كتفيها بالنفي وهي تخبره:

ـ لا لم يفعل؛ بل وقد حذرني من تتبعه أو إخبارك بالأمر، ولكني لم أصغ له ولاحقته حين ذهب مع

ميلاف لمنزلها، وسمعت حوارهم مع جدتها وعرفتُ ما ينوي فعله.

لم يستطع نعمان السيطرة على مشاعر الشوق تجاه أخته التي لم يراها منذ عامين، ليجذبها نحو أحضانه قائلًا :

ـ اشتقتُ إليكِ يا شيطانة.

ضربته بخفة على ظهره، وهي تقول له:

ـ وأنت كذلك يا أميري.

قاطعهم يوناس بصوت حائر ومضطرب:

ـ لن استطيع ترك أمك هنا .



ابتعدت عن أخيها وهي تتأمل وجهه الذي ابتأس على الفور وهو يُخبرها بخفوت :

ـ لقد وقعت كارثة هنا لا نستطيع على إثرها إخراج أمي من هذا المنزل الملعون.

ضمت حاجبيها بدهشة وهي لا تفهم ما الذي أخبرها به أخيها، فقص عليها يوناس ما حدث سريعا وأنهى حديثه وهو يسألها بقلق كبير :

ـ هل تستطيعين مساعدته بمفردك ؟!

أجابته بيقين:

ـ نعم.. أستطيع .

لتردف بانزعاج:

ـ ولكن.. أمي.

زفر يوناس بضيق قائلا :

ـ سوف نجد حلاً .

مال نعمان برأسه ناحية أذنها هامسا :

ـ ستجدينها بالأسفل في غرفة منزوية، أنا أثق أنها حين تراكِ ستتحسن نفسيتها بشكل كبير، أذهبي إليها ولا تخبريها أنك سترحلين كي تطمئن بوجودنا جميعًا حولها.

حركت رأسها إيجابًا وهي تُخبر أبيها:

ـ سأذهب بعدما أرى أمي، واعتقد أن لدي حل لهذه الكارثة ولكنه لن يُعجبك بالتأكيد.

ضيق يوناس عينيه فاستطردت:

ـ أعرف أميرًا من أمراء الجحيم يستطيع فكِ هذه التعويذة.

أتمت جملتها واختفت من أمامه على الفور تاركة إياه جاحظ العينين



الفصل العاشر



كانت تتخذ الأرض مجلسًا وهي شاخصة بصرها تثبته على الحائط تتذكر أيامها الأولى في هذا المكان الموحش، لقد عشقت سجناها لدرجة لم تتوقعها، لتأتي أمها بصدمات متتالية تنزع بها من داخلها صفات لم تكن تعلمها من قبل اختبرتها سارافيم للمرة الأولى بفضل أمها الغالية، وحين شرعت في تجريبها كان المتلقي هو الشخص الوحيد الذي أحبته بعد أمها الأنسية التي تربت في كنفها قبل أن تعلم حقيقتها، لتتبدل الأدوار وتُصبح هي وعاء لانتقام لا تستحق ولو جزءًا صغيرًا منه، رفعت بصرها من أعلى الحائط وهي تتمتم:

ـ يبدو أنني سأغدو مثل أمي.

ابتسمت بسخرية وهي تنظر للغرفة الباردة المظلمة حولها لتردف:

ـ ويبدو أيضًا أن نهايتي ستُصبح مثلها مهما حاولت تغيير وجهتي .

استرقت السمع حين تسلل إلى أذنها صوت طرقات خفيفة تصدر من البوابة الحديدية تبعها صوت خادمتها الصغيرة برت

ـ سيدتي هل أنت هنا ؟!

انتفضت سارافيم تهرول تجاه الصوت، ثم قربت وجهها ناحيته وهي تهمس:

ـ برت

لم تدرك ما حدث لتستمع صوته من خلفها وهو يسألها:



ـ سمعتُ أنكِ تريدين مقابلتي .

استدارت لتجده يقف وبجواره برت التي ركضت نحوها تحتضنها بعفوية وهي تسألها بقلق:

ـ كيف عثروا عليك ؟!

أجابتها وعينها لا تحيدان عن الواقف خلف برت يتأملها بتدقيق

ـ يبدو أنهم يعرفون بأمري من البداية.

ابتعدت عن احضانها لتردف وهي تمرر كفها على وجه الصبية :

ـ ولكنني تأكدت أنهم لا يعرفون بأمرك، فلا تقلقي.

ربتت برت على كفها بحزن قائلة:

ـ لست خائفة منهم أنا أرتعب عليك يا سيدتي .

ابتسمت لها سارافيم بهدوء تحت أنظار آرام المندهشة بوضوح :

ـ لا تجزعي يا فتاتي الغالية فأنت تعرفين سيدك ويون جيدا لن يقدر على أذيتي.

حركت الفتاة رأسها إيجابًا ،بصمت، فرفعت سارافيم بصرها تجاه آرام قائلةً:

ـ هل أخبروك شيًّا عن أمك؟!

اضاءت عينيه ببريق ساطع، وانعقد لسانه بذهول، ليسألها باضطراب واضح جعلها تُدرك أن لديه شكوك بالفعل



ـ ما الذي تقصدينه ؟!

نظرت نحو برت التي وجدتها تتأمل وجه آرام، فاستغلت عدم رؤيتها لها وأشارت له بعينيها إشارة واضحة انها لن تتحدث معه بوجود الصبية، فهم ما ترمي إليه فعاد خطوة للخلف قائلا لها بطريقة فظة وغليظة :

ـ يبدو أن ما سمعته عنكِ صحيح فأنت بالفعل تشبهين أمك، هوايتك المفضلة التلاعب بالآخرين.

امسك بذراع برت التي تفاجأت من حديثه بهذا الشكل،

ليختم جملته قبل يخرج من الزنزانة كما دخلها :

ـ بأية حال لقد أخطأت بالمجيء إلى هنا .

عادت سارافيم للجلوس على أرضية الغرفة تنتظر عودته،بينما هو أعاد الفتاة لمنزلها رافضًا أن يستمع

لتوسلاتها كي يساعد سيدتها الغالية التي نعتتها بصفات لم يسمع عنها بتاتًا في هذا العالم الذي انتمى إليه، تركها دون حديث وعاد لسارافيم التي أثارت فضوله بشكل كبير، فقد سأل أبيه عن أمه مرة واحدة ولم يجرؤ على سؤاله عن أي شيء يخصها مرة ثانية، وكانت إجابته القاطعة

ماتت بعد ولادتك بشهور قليلة كان يتمنى أن يعرف اسمها حتى، لدرجة أنها كانت تحتل أحلامه من كثرة تفكيره بها ...

وقف خارج الزنزانة يُفكر ،مليًا هل بالفعل هذه الفتاة تعرف شيئًا عن أمه، أما أنها تخدعه وتستغله ليُحررها وينقذ حياتها من مصير محتوم



شعر بشيء داخلي يدفعه للدخول والاستماع إليها، فرغم أنه يراها للمرة الأولى إلا أنه لا يعرف من أين أتته هذه الألفة تجاهها مرت عدة ثواني استغرقها في التفكير قبل أن يقف أمامها وهو يتأمل جلستها بتدقيق قائلا :

ـ من الواضح أن الجميع هنا لا يثق بالجميع هنا .

كانت تضم ركبتيها لصدرها فظلت على وضعها وهي ترفع رأسها نحوه

ـ ليس الأمر كذلك، أنا أثق بفتاتي بلا حدود، ولكني لا أريد لها أن تتورط في مشكلة . مع ياوي ستكلفها حياتها إن شك بأمرها .

سألها آرام بقلق:

ـ إذا اخبريني بما جئت به إلى هنا من أجله.

خبطت بكفها على الأرض بخفة وهي تقول له:

ـ اجلس أولا وسوف اقص عليك ما أخفاه عنك الجميع.

******

وصل بني النعمان القصر برفقة زوجته روهان الملتصقة به مثل العلقة تعمد أن لا يراه أحد من الحرس خارج القصر، فهو لا يضمن ولائهم بعد تلك السنوات ولكنه يثق بمن هم داخل قصره فأباه لن يترك خادمًا مشكوك بأمره وخاصة بعد ما حدث

له، وقف في منتصف البهو متفاخرا :

ـ لقد عدت يا قوم .

ضحكت روهان بمليء فيها وهي تهمس له:



ـ متحمسة بشدة لرؤية وجوههم.

مرت لحظات قبل أن يتجمع الخدم حولهم بتهليل شديد حذرهم نعمان من انتشار خبر عودته في الوقت الحالي، رفعت روهان رأسها تتأمل وجهه متسائلة:

ـ لماذا ؟!

قبل رأسها بخفة وهو يُجيبها :

ـ سأخبركِ فيما بعد.

لاحظ على الفور عدم وجود أي أحدٍ من عائلته، فصرف جميع الخدم ونادى :

ـ شاص .

لم يصدق خادمه المخلص أذناه فتسمر للحظات في موضعه قبل أن ينتقل إليه في النداء الثاني:

ـ شاص أحضر الآن.

وقف الرجل أمامه جاحظ العينين، فابتعدت روهان عن صدره عائدة للخلف وهي تراه يجر شاص لأحضانه بشوق:

ـ اشتقت إليك يا رجل .

كان شاص مبتهجا بشكل لا يُصدق، فقد سمعت روهان من خادمتها أنه لم يتحدث مع أحد سوى بكلمات بسيطة منذ اختفاء سيده، ترقرقت الدموع بعينيها وهي تراه بهذه السعادة وبعدما هدأ اللقاء بينهما سأله بني النعمان بتوجس:

ـ أين الجميع ؟!



اضطرب ملامح شاص فانسحبت الدماء من وجه روهان وهي تستمع لصوته المهتز:

ـ لا أدري بماذا أخبرك يا سيدي، فالموت أهون علي من إجابتي على هذا السؤال فور عودتك سالمًا، فأنت لم تلبث سوى بضعة لحظات.

وضع نعمان كفه على كتف شاص وهو يشجعه

ـ أخبرني بكل شيء.

تنهد شاص بضيق وهو يبلغه بأسوأ ما توقع:

ـ الملك الأبيض قد مرض مرضًا شديدا وهو الآن في موقع جيشنا، لم يستطع الحكماء هناك علاجه ولا حتى تشخيصه وتوسلنا إليه كي يعود للمملكة ولكنه يرفض بشدة.

تعالت أنفاس بني النعمان بذعر واضح، بينما وضعت روهان كفها على فمها تكتم شهقتها المتفاجئة، ليخرج صوت بني النعمان المرتعد قائلا :

ـ أين ولدي وأحفادي مما حدث لجدهم ؟!

ابتلع شاص ريقه بصعوبة وهو يخبره:

ـ سيدي يوناس لم يعد للقصر منذ اختفاءك لا هو ولا سيدتي الصغيرة روهان .

علا صوت بني النعمان بغضب:

ـ وكيف لم يخبره أحدكم ما حدث ؟!

ارتعش جسد شاص وهو يقول له:



ـ حاولنا يا سيدي ولم نستطيع العثور عليه.

صمت هنيه فشعر نعمان أن هناك ما هو أسوأ، ليكمل شاص بتردد

ـ وقد خرجت السيدة إلينا منذ ثلاثة أيام هي والسيدة سارافيم، لتعود صفوة بالسيدة سارافيم فاقدة للوعي وقد أحضر لها الخدم الحكيم تحت رعاية سيدي نعمان الصغير، وبعدها تركها مع السيدة روهان واختفى ولم يعد من وقتها لا هو ولا أحد من العائلة.

ردد بني النعمان بذهول:

ـ ما الذي تتفوه به أنت ؟!

سقط قلب روهان بين قدميها فتهاوى جسدها بضعف جعل بني النعمان يلتفت لها سريعا قبل أن تسقط، حاملًا إياها لغرفتهم الخاصة ...

وضعها أعلى الفراش وهو ينادي عدد من الخادمات ليأتينه على الفور، جلس جوارها بجسد يرتعد وعقل مشتت في جميع الاتجاهات، ليأمرهم بحزم:

ـ أحضروا طعامًا كثيرًا يحوي لحوما وألبان وبعض من السكريات .

نظرت له روهان بعينان تبكيان خوفًا وهي تقول له:

ـ ما الذي تفعله الآن، أذهب في الحال لأبيك وأجعل رجالك يبحثون عن ولدي وأخته وأولاده.

جذبها لأحضانه وهو يربت على ظهرها بخفة قائلا :



ـ لا تجزعي هكذا يا حبيبتي أنا أثق أنهم جميعا بخير لاتكترثين لأمر أحدٍ في هذا القصر سواكِ.

ابعدها عن أحضانه وهو يحاوط وجهها بكلتا كفيه مستطردًا:

ـ لقد عدت وسيعود كل شيء لنصابه، لا تقلقي ولا تحملي هما وأترك لي كل ما يريبكِ.

جفف دموعها بإبهامه لتطرق الخادمات على الباب فأذن لهم بالدخول وضعوا الطعام أعلى المنضدة وأنصرف الجميع من الغرفة ليعاود النظر لعينيها الغائرتان اللتان ما زالت تبكيان بصمت :

ـ أستطيع تحمل كل ما يحدث الآن وما سيحدث في الغد وحتى المرور أعوام أثقل وأمر مما مضى، ولكني لا أتحمل حقا حزنك وذبولك هذا ولو لعدة دقائق فقط .

حاولت التحدث فوضع سبابته على شفتيها ليكمل:

ـ إذا أردتِ ارضائي وسعادتي فأرجوك يا روهان انتبهي لنفسكِ جيدًا، وأعدكِ أنني لن أخفي عنكِ أي شيء ولو تفصيله صغيرة مما يحدث سأذهب الآن لبضعة ساعات فقط، وحين أعود سأخبرك عما يجري مع الجميع بكل صدق، وسنجلس بغرفتنا هذه التي لا تدرين كم اشتقتُ إليها لنجد حلا لكل مشاكلنا هذه.

تعلقت عيناها به وهي تسأله بقلق:

ـ حقا ستفعل ذلك ؟!

قرب وجهه منها مجيبًا :

ـ هل قمت يوما بعدم الوفاء بوعد قد وعدتك به



حركت رأسها نفيًا فأردف:

ـ إذا عليكِ بطاعتي، تناولي الطعام جيدا، واشربي الكثير من الماء ونامي قريرة العين حتى أعود.

احتضنها بقوة مرة أخرى، ثم شرع بتقبيل شفتيها بعمق قبل أن يُغادر الغرفة وهو يقول لها:

ـ لن أتأخر عليكِ.

زينت الابتسامة وجهها رغم ما سمعته وكأنه قد نزع كل قلقها على عائلتها بخفة ووضع مكانهما طمأنينة وثبات جعلها تترك الفراش بحيوية لم تشعر بها منذ سنوات، توجهت ناحية حمامها الخاص وهي تنظر للطعام بشغف عازمة أمرها أنه حين يعود سيجدها قد استعادت بعضًا من عافيتها ورونقها المفقود.

انتقل بني النعمان لقصر أبيه مستدعيا كل جنوده ورجاله منهم الذين يثق بهم ثقة عمياء، ليأتيه السبعة مصطفين بحبورٍ لا يصدقون رؤيته أمامهم بعدما حياهم وبداخله نيران لا تنطفئ من القلق على الجميع بدأ بتوزيع مهامهم عليهم، محددًا لهم ساعة واحدة فقط قبل عودته بأبيه للقصر، ليأتيه كلٌّ بخبرٍ يقين لأحد من عائلته المفقود، انصرف الجميع حيث أمرهم وأخذ معه شاص لموقع الجيش كي يرى أبيه المريض وجسده يهتز من آن لآخر كلما ذهب عقله لنقطة فقدانه لملكه الذي بالتأكيد لن يستطيع العيش دونه، لقد توالت الأحداث عليه بقوة لم يتوقعها أبدًا، ففور عودته لم ينشغل عقله سوى بالأرضيين وما فعلوه بزوجته، وخطته الكبيرة في التخلص من ياوي والصبي المزعوم وأبيه الفاجر، لتكون مفاجأته الأولى هي معرفة روهان بأمر هذا الولد



ليصب تركيزه على الطريقة التي ستجعله يفعل ما خطط له دون أن تعرف هي ما حدث، ليأتيه الآن كارثة محققة يتلوها كوارث لا يعلم عنها شيء حتى هذه اللحظة، وصل لموقع الجيش في نقطة بعيدة في الصحراء الكبرى، ليزفر عدة أنفاس متلاحقة يهدئ نفسه بها ليستطيع مواجهة مصابه الأول.

******

صدح آذان العشاء من جميع مآذن البلدة التي تنتصف المدينة، ليتوتر جسد ميلاف بقوة فقد اقترب موعد المحاكمة بعد انتهاء الصلاة مباشرة، كانت تتحرك في الغرفة ذهابًا وإيابًا قبل إعلان وقت الصلاة بلحظات بينما يتمدد شيث أعلى
فراشها براحة يُفكر في صديقه الصغير من الإنس والكبير من الجن، ليسأل نفسه بحيرة، هل قامت الشيطانة الصغيرة بإخبار أبيها ما يقدم على فعله ؟! أما أنها أطاعت أمره وظلت بجوار سليمان ؟!
عيناه التقطتا ذبذبات ميلاف المرتعبة عند ارتفاع صوت آذان الإقامة، فنهض من موضعه ليقف أمامها قائلا:
ـ حان وقت الصلاة يا فتاة، توضئي وقفي خلفي لأصلي بكِ آخر صلاة لي على هذه الأرض.
تعجبت من ثباتهُ وهو ينطقها هكذا دون خوف، فحادت عيناها عنه حين تجمعت الدموع بمقلتيها، لتنصرف من أمامه متوجهة نحو دورة المياه وقفت أمام المرآة الموضوعة أعلى الصنبور وهي تتسائل بحيرة :



ـ ما الذي يحدث لي مع هذا الجني؟! افيقي يا ميلاف افيقي الآن وقومي بتجميد هذه المشاعر الخائنة التي تتسلل لقبلك في غفلة منك، اوقفي هذا السيل العارم الذي سينتهي بكارثة تتخطى موتكِ بأبشع الطرق، لو شعر أحد الموالين أو الحكام باضطرابك هذا ستكون النهاية سوداوية، اثبتي وحكمي .
عقلك وعطلي هذا القلب في الحال

فتحت الصنبور على أخره وأخذت من المياه الباردة ما يكفيها لتتوضأ جيداً قبل أن تخرج بثباتٍ لتتخطاه دون أن تنظر إليه ولو نظرة خاطفة وهي تخبره بصوت متمالك وقوي :

ـ سأصلي فرضي في مكان آخر في الغرفة، وسوف نلتقي في المحاكمة بعد عدة ساعات.

رفع حاجبه بتعجب من تحولها هكذا في عدة دقائق قليلة، ليتجاوز الأمر مستقبلًا قبلته مغمض العينين يستشعر خشوعه في آخر صلاته سوف يقوم بها في هذه الدنيا، لا ينتبه لمن تقف خلفه وهي تستمع لصوته العذب ودموعها تنهمر على

وجنتيها بتأثر شديد، وقفت خلفه تكتم أنفاسها لتصلي حتى انتهت الصلاة، لتركض بعدها نحو زاوية بعيدة عنه قبل أن تتحكم بها لحظة الضعف هذه وتجعلها تخسر كل شيء...

انهى شيث صلالته وجلس ينتظر موعده بثبات، بينما هي انزوت عنه بحزنٍ شديد وفي خضم تزعزع كل ما آمنت به يوما، لتموج مشاعرها في عاصفة قوية حاولت تهدئتها بالذهاب لموضع بعيد وهو بداية الأمر، فانتفضت واقفة تتحرك نحوه متسائلة وحدقتيها تدوران في جميع الغرفة حتى لا تلتقيه



ـ أريد معرفة ما يحدث داخل الضريح، فأنا أعلم جيدا أن ما قالته لي الساحرة التي سكنتُ جسدها صحيح رغم ما أحاط الأمر كله من أكاذيب.

نهض شيث من موضعه ليقترب منها وهو يضيق عينيه قائلا:

ـ ما الذي تريدين معرفته بالتحديد ؟!

نظرت لعينيه على مضض وهي تتجنب التدقيق بهما مجيبة:

ـ كل شيء، ما تعرفه وما لا تعرفه.

سألها بحيرة:

ـ ما الذي أثار حفيظتكِ هكذا فجأة، وقبل المحاكمة بوقتٍ قليل ؟!

أجابته بنفاد صبر:

ـ سنضيع الوقت في أسئلة لا إجابة لها أخبرني بما تعرفه يا شيث .. أرجوك .

ضم ذراعيه بعضهما ببعض وهو يقول لها:

ـ لقد تعجبت في بادئ الأمر من عدم انضمامك للموالين رغم معرفتي بوجود أخيك التوأم بالداخل منذ عامين ويزيد ولكني حين تيقنتُ ببراءتك وجهلك بما يحدث بالداخل، تبين لي السبب الحقيقي في عدم التحاقك بهم

تعالت انفاسها بانزعاج وهي تقترب منه:

ـ لا تضيع الوقت في الألغاز يا شيث، وكف عن التلاعب

رفع زاوية فمه بابتسامة عبثية وهو يحدثها بحيره:



ـ لا أعلم حقا هل يجب علي اخبارك بما يجري، أما الصمت أفضل حلٍّ لكِ في الوقت الحالي ؟!

احتل الغضب ملامحها، فرفع كفه أمامها باستسلام وهو يضحك قائلا :

ـ حسنا .. لا تغضبي هكذا.

ليردف بجدية :

ـ السيدة التي سكنتُ جسدها ليست بساحرة بل تُسمى عريفة، عملها يقتصر على الحضرة وما يليها من طقوس مع سادة الجن وكبرائهم .

قاطعته ميلاف بذهول قائلة:

ـ ولكنني أعرف أننا قد قمنا بمنع الحضرة وطقوسها من شرك وفجور ومجون من المنطقة بأكملها.

زم شفتيه قائلا :

ـ هذا ما تعرفينه أنت، ولكن الواقع أن خُدام الضريح يقومون بترتيب الحضرة في كل مناسبة دينية، ولم تنقطع ولو مرة واحدة .. فما يتلقون به من أموال عبر المصروعين أهم وأكبر من منعها لأجل شرائع دينية لا يعترف بها أمثالهم من الفجرة.

اصابها الوجوم وهي تستمع لما يقوله، ليستطرد شيث بثقة:

ـ وليس هذا فحسب، فطقوس القرابين ما زالت تقام كما هي تحت إشراف الموالين جميعهم.

شهقت ميلاف بصوت مرتفع فحذرها شيث بهمس:

ـ اهدأي يا فتاة فسوف تكشفين أمرنا.



اعتذرت له بخفوت وهي تدفعه لإخبارها بالمزيد، فدقق النظر بعينيها قائلا:

ـ سوف تتحملين المفاجأة الكبرى أليس كذلك ؟!

حركت رأسها إيجابًا وقبل أن يفتح فمه ثانية انفتح الباب على مصراعيه ودون سابق إنذار فاختفى شيث على الفور قبل أن تكشف الجدة أمره بلحظة واحدة فقد خدمته سرعته الفائقة

في هذا الموقف الحرج، تسمرت ميلاف جاحظة العينين لترفع توكدا حاجبيها بتعجب قائلة:

ـ ما بك يا فتاة ؟!

ابتلعت ريقها بصعوبة وحاولت تمالك اعصابها التالفة بما استطاعت من قوة وهي تجيبها :

ـ لا شيء، أحاول تحضير نفسي بشكل لائق.

ثم سألتها بتوتر :

ـ ما زال هناك متسعا من الوقت، أليس كذلك ؟!

هزت توكدا رأسها نفيًا وهي تقول لها:

ـ لقد قمنا بتأجيل باقي المحاكمات لأجلك، الجميع ينتظرك الآن.

تسارعت نبضات قلبها بقوة جعلت عينيها تتحركان مثل الممسوسين لتتأمل توكدا وجهها بضيق لتصرخ بها :

ـ كنت أعرف أنني سوف أندم على تصديقك.

حركت ميلاف رأسها بقوة قائلة:



ـ لا لا أنا مستعدة يا جدتي، كما وعدتك.

دنت منها بحنق وعينيها تضمران الشر وهي تحذرها:

ـ إياكِ ثم إياكِ أن تُخفقي هذه المرة، فسوف تكون نهايتك يا ميلاف

استدارت توكدا بعنف وهي تقول لها بصوت جامد:

ـ اتبعيني.

أخذت عدة أنفاس سريعة وهي على وشك البكاء من الخوف والرعب لما سيحدث في الدقائق القادمة، كيف لها بعدما سمعته عما يحدث في هذه الاكذوبة الكبيرة أن تُسلم جنيًا شريفا مؤمنًا كهذا ليقتله هؤلاء الفسقة الذين يتغذون على حوائج الناس ويتخبطون في الشرك والظلم هكذا مثل

الشياطين، حاولت الثبات وهي تخرج من القصر وبخطوات مثابرة دلفت الضريح لتتبع جدتها نحو القاعة الكبيرة للمحكمة، عقلها عاجز عن استيعاب ما سمعته منذ قليل، فهذه القاعة المقدسة داخل هذا الضريح الذي قام على أسم وسيرة شريف من شرفاء هذا البلد الذي يعتبره الجميع وليا صالحًا أقام العدل والدين في بلدته على وجه يُرضي الله

ورسوله، يقوم هؤلاء الشرذمة بتدنيسه لأجل المال والجاه والقوة . . .

شعرت بالتيه لدرجة أنها لم تستمع كلمة من خطبة جدتها العصماء التي قدمتها بها لأعضاء المحكمة الموقرين من الجن والأنس، لتنتبه حواسها عند آخر جملة التقطتها أذناها:

ـ وسوف تقوم حفيدتي الغالية القوية الآن باستدعاء الجني الناقم والسيطرة عليه، بل وسنصدر حكما سريعًا بحرقه الليلة



دون النظر في أمره ولا سجنه ولو ساعة واحدة ...

تباطأت نبضات قلب ميلاف وجحظت عينيها من المفاجأة، فلن يقوموا بسجنه حتى سيُحرق الليلة ؟!

نظرت لجدتها التي تواليها ظهرها بثبات لتتيقن على الفور أنها تفعل ذلك لتتأكد من ولائها الكامل، وأن هذا الجني لم يستطع استمالتها بشكل أو بآخر!

لتتسأل بذهول:

«كيف استطاعت معرفة ما يدور بداخلها ؟!»

التفتت توكدا نحو ميلاف وعينها ما زالت تحذرها من الاخفاق وكأنها تقرأ الصراع الذي يعصف بها بوضوح عجزت ميلاف عن فهمه، تقدمت ميلاف جدتها ووقفت أعلى المنصة لتغمض عينيها دون أن تتفوه بحرف، لتردد ما حفظته على لسان شيث بارتعاشه حاولت اخفائها بقدر ما استطاعت ليحضر شيث بعد لحظات متفاجئ يتصنع الفرار وهو يحاول محاربة سيدي الشتوي الذي أحكم قبضته عليه في الحال

لتتغير نظرات توكدا نحو حفيدتها للفخر والاعتزاز فتحت ميلاف عينيها لترى شيث مستسلما بين يديهم يتجنب النظر نحوها بقدر ما استطاع نطق الحاكم بصدور حكم حرقه على الفور، بعدما أعلن استحقاقها لمنصبها مع الموالين، لتتحقق نبوءتها في أنها سوف تشهد حرقه في أول يوم ستتسلم به منصبها المنتظر

وقفت توكدا بجوار حفيدتها بزهو بينما استعد الجميع لرؤية الجني يحترق أمامهم تنفيذاً لحكم المحكمة العليا، وفي لحظة انقلب المكان كله رأسًا على عقب، حين وقفت روهان الصغيرة



في المنتصف لتدور حول القضاة والموالين بسرعة كبيرة وهي تردد كلمات لم يفهمها احد منهم، ولكنها لم تدرك أن هناك جني يسمى (الجان الرباني) لم تعرف بأمره ولا أحد خارج المحكمة يعرف بأمره، فهو حامي الموالين والأحفاد جميعهم، وهو أقوى جني في هذا الضريح منذ اقامة المحكمة على يد بويا عمر، وحين اقتربت روهان من السيطرة على الجميع ليساعدها شيث قبل هروبهم بلحظات، ظهر الرباني بسوطه الكبير ليلفه حول اجسادهم ساحبًا إياهم تحت الأرض في مكان لا يعلم عنه أحد غيره.

الفصل الحادي عشر



وقف حائرًا أمام بوابة قبيلة الشنفري لا يدري هل ما يفعله صحيحًا؛ أم أنه سوف يرتكب حماقة عند اللجوء إليهم، دار عقله بسؤال يُلح عليه هل ابنته الصغيرة قد ابلغته الحل المثالي وهو الذي يبحث عن حل سيجنبه التعاون مع شيطان لن يتركه سُدى زفر بضيق وهو يضع حروف تعويذة الدخول في مكانها الصحيح لتنفتح أمامه البوابة الكبيرة، وجد الجنود أمامه يتقدمهم كبيرهم فطلب منه بتردد ما زال يتضح على نبرة صوته

ـ أريد مقابلة كيبورا .

أشار الرجل لأحد الجنود كي يُبلغ كيبورا برغبة يوناس الذي لا يكترث الآن سوى السلامة زوجته المسجونة في غرفة منزوية يحفها الخطر من الجهات الأربع دون معرفة ما الذي حدث تحديداً لتقع في تلك الكارثة، أغمض عينيه ومشاهد أمه في ذلك المكان تتوالى على ذهنه ليركض بأقصى ما أمكنه في اتجاه آخر سوف يدفعه بجنون للحظة التي فقد فيها أبيه، فتح عينيه على صوت الرجل يخبره أن كيبورا في انتظاره بالداخل ..

دخل للقبيلة بخطوات ثابته يغضُ الطرف عن تلك التي تقف في استقباله بابتسامتها الساحرة وصوتها الذي يخطف قلبه :

ـ عودتك إلى هنا أسعدتني كثيرًا.

رفع بصره ينظر إليها بثبات قائلا :



ـ تيما .. سعدتُ لرؤيتك.

اقتربت منه وبصوت خافت حدقت بعينيه بطريقة فهمها بسهولة

ـ حقا ؟!

عاد للخلف خطوتين وهو يجيبها :

ـ ولما لا .. فأنتِ بالنسبة لي شخص قد ساعدني في وقت حالك وأنا لا أنسى من ساندني يوما .

نظراتها المتحدية جعلته يتعجب من إصرار هذه الفتاة على إيقاعه بها، ولكن ثباتها في موضعها دون الاقتراب منه مرة أخرى أدرك بها أنها تمارس معه لعبة خطيرة وخاصة حينما قالت له وهي تشير نحو قلادته التي تأرجحت على صدره أثر

حركتها :

ـ لقد قمت بعمل رباط قوي بالأنسية.

ختمت جملتها بابتسامة خلابة وهي تهمس له قبل أن تختفي من أمامه:

ـ سوف أترقب عودتك لي المرة القادمة بسعادة كبيرة؛ لأساعدك على الفوز بحياتك التي أهدرتها.

نظر لطيفها التي تركته خلفها قبل أن تتوارى وهو يضم حاجبيه بدهشة يحلل كلماتها الأخيرة التي تفاجأ بها حد الذهول كيف تنتظره يعود إليها للفوز بحياته ؟! ألم تخبره العجوز أنه إذا فارقت إلينا الحياة سوف يفارقها معها!



انتبه لعفرين الذي وجده يقف أمامه يستفسر بصوت حاد:

ـ كيف أساعدك ؟

لمح على وجهه إمارة قلق استغرب لها ولكنه أجابه وهو ينظر حوله :

ـ هل يمكننا الجلوس في مكان خاص ؟!

اختفى عفرين من أمامه وهو يقول له:

ـ اتبعني.

تبعه يوناس لإحدى الغرف الخاصة بقصره التي أغلق بابها خلفه قبل أن يدعوه عفرين للجلوس أمامه، لم يكن قلقاً إلا من كونه لم يتأخذ القرار الصائب بقدومه إلى هنا، ومازال شعوره السيء

وما بداخله يزداد سوءاً كلما تقاطع طريقه بهذا الساحر، نظرات عفرين المتأملة له جعلته يخبره ما جاء من أجله بكلمات مقتضبة

ـ لقد قامت إلينا زوجتي بعزف أحد مقطوعات الجان دون قصد منها، مما تسبب في بعض الأضرار واخطرها أنها مسجونة في البيت التي عزفت به تلك المقطوعة، ولا استطيع رغم محاولاتي الكثيرة أن أخرجها منه.

ضم عفرين حاجبية بدهشة وهو يقول له:

ـ لا يوجد معزوفات للجن

اتسعت حدقتي يوناس ليردف عفرين:

ـ فالعزف هذا يختص به الشياطين وحدهم، ومادامت قد تجرأت على ترانيم هؤلاء الأبالسة فلن يتركوها تخرج من هذا البيت إلا جثة هامدة



استقام يوناس من موضعه وقد تأكد أن قراره باللجوء لهذا الرجل كان خاطئًا للغاية، وعليه يجب أن يلزم نفسه بسماع حدسه وتصديقه مرة أخرى وقبلهم اقتراحات ابنته الصغيرة التي من الواضح أنها تعرف الكثير دون أن يدركه هو، لم ينتظر ليستمع منه أكثر من ذلك وأختفى على الفور من أمامه عائدًا لبيت صفوة ..

رسم ابتسامة حالمة على وجهه قبل أن يدخل إلى الغرفة التي تستقر بها، ليجدها ممددة على ظهرها تنظر لسقف الغرفة ودموعها تتساقط على جانبيها بعجز يقتات على أنفاسها الهادئة هدوء الموتى، تتمنى لو تُدرك ما حدث أو حتى تفهم ما فعلته وأين ذهبت بعزفها المشؤوم هذا لمنطقة لم تطأها قدميها من قبل، لم تشعر بزوجها الذي يقف جوارها يتأمل وجهها الحزين بأسف على حالتها المزرية تلك، انتفضت فجأة لترتجف ويختض جسدها إثر رؤية يوناس أمامها، ولكن وجهها تهلل

سريعًا وهي تتمالك نفسها قائلة له:

ـ لقد تذكرت بعضًا من المكان الذي ذهبت إليه حين كنت أعزف هذه الأنغام التعيسة.

ضم كلتا كفيها بيديه وهو يسحبها برفق وقد اعتصر الألم قلبه وهو يرى انتفاضتها الفزعة هذه، لتجلس هي بين ركبتيه تحتمي بجسده العريض بينما يشجعها :

ـ هيا يا حبيبتي أخبريني بكل ما تذكرتيه.

زاغ بصرها وهي تلتقط نفسًا عميقا قبل أن تقص له ما تذكرته



كان مكانًا صخري، ولكنه كان يقع وسط غابة تمتلئ بالأشجار الكثيفة ذات الأشكال الغريبة، الجسر عبارة عن أحجار متراصة مثل الجبل، وحول هذه الصخور والأشجار سحب بيضاء كانت تتحرك من حولي.

صمتت هنيهة قبل أن تستطرد:

ـ كنت أقف على أعلى منطقة بهذا الجسر، وخلف هذه السحب التي تلفني نيران لونها برتقالي قاتم، لا أعرف ربما لم تكن نيران .

شرد يوناس في هذا المكان الذي تصفه إلينا، وهو يعتصر عقله والكتاب القاطن داخل أضلاعه بحثًا منه على أية إشارة يستطيع بها العثور على هذا الموضع، فمؤكد أن حل هذا الكارثة سيكون هناك ...

جذبها لصدره وهو يربت على ظهرها بخفة قائلا :

ـ حين أعثر على هذا المكان سوف تـ تنتهي . هذه الازمة.

ابتعدت عن صدره وهي تجفف دموعها متسائلة:

وإن لم تستطعِ إيجاده ؟!

مرر سبابته على وجنتها وهو يطمئنها :

ـ لا تتشاءمين هكذا، سوف أجده الليلة ولن أعود إلا بحل جذري يخرجك من هنا .

شددت من احتضانه، ثم قبلته في رقبته برقة وهي تقول له بخفوت :

ـ لقد احترقت شوقا إليك يا يوناس.



رفع وجهها أمامه وهو يقبل شفتيها هامسًا:

ـ سنبيت ليلتنا هذه في فراشنا يا حبيبتي توقف عن تقبيلها حين سمع طرقًا على باب الغرفة، تبعه

صوت ولده نعمان قائلا:

ـ هل أستطيع الدخول ؟

أذن له يوناس فدلف للداخل مبتهجا بغرابة جعلت أبيه يسأله:

ـ ما هذه الفرحة التي تزين وجهك يا ولدي، أرجوك أخبرني أي شيًّا يخفف عنا وطأ هذه المصائب المتتالية.

ازدادت حدة أنفاس الصبي وقد غمرته السعادة لدرجة أنها قد عقدت لسانه الطلق لينطق بجملة واحده استطاع اخراجها من فرحته العارمة:

ـ لقد عاد جدي بني النعمان.

******

دخل للغرفة وهَالَتهُ رؤية أبيه الذي يفترش الأرض بجسده المريض، يُغمض عينيه بقوة وقد ازدادت ملامحة كبرا أضعاف ما كانت عليه وكأنه لم يراه منذ مئات السنين ولم تكن تلك ثلاث سنوات فقط !

ربض أرضًا قابعًا بجواره يهزه بخفة وهو يهمس له :

ـ لقد عدت يا أبي.

فتح عينيه ببطء ثم لف رقبته تجاهه وحدق به لبضع لحظات وبني النعمان يبتسم نحوه قائلًا :



ـ نعم أنه أنا مجددًا .

حاول الملك الأبيض الاعتدال فآلمه جرحه فأعاده نعمان موضعه وهو يحدثه بحزن كبير :

ـ لا تتحرك أرجوك .

لم يصدق عيناه للوهلة الأولى وظن أنه يُهلوس من مرضه،حتى أمسك بني النعمان كفه يقبله بقوة كي يؤكد له وجوده

سحب الملك الأبيض يده وهو يجره نحوه ليحتضنه بقوة قائلًا له بحماس أبوي:

ـ كنت أعلم أنك ستعود ، لم أصدق ولو للحظة واحدة بأنك رحلت للأبد يا بني .

ابتعد بني النعمان عن أحضانه وهو يحدثه:

ـ لقد اشتقت إليك كثيرًا يا أبي.

ثم أردف بسؤال قلق:

ـ ما الذي حدث لك ؟!

أجابه الملك الأبيض مبتسما :

ـ لقد اقترب أجلي يا بني، وأنا سعيد لرؤيتك قبل رحيلي.

تبدلت ملامح بني النعمان من الحزن والقلق للذعر وهو ينتفض برفض قاطع:

ـ لا تقل ذلك أرجوك سوف أنقلك الآن لمملكتنا والحكماء هناك سيتولون أمرك حتى تعود سالمًا وبأفضل حال.

اوقفه الملك الأبيض وهو يقبض على كفه :



ـ توقف يا بني لا داعي لهذه المحاولات فإن قدر الله نافذ.

جثا بني النعمان أمامه على ركبتيه يرجوه:

ـ لا تقل ذلك يا أبي.

حاد الملك الأبيض بعينيه بعيدا فأردف باستعطاف

بني النعمان :

ـ أرجوك .. لا تتركني .. ليس الآن، أنا احتاجك بشدة.

لم يضعف الملك الأبيض وهو عازما أمره على الاستسلام، ليستطرد بني النعمان برجاء أكبر:

ـ أتوسل إليك يا أبي لا تتركني بمفردي مثل الغريق وسط هذا الإعصار الذي سيعصف بعائلتنا كلها.

استدار الملك الأبيض برأسه وقد تجعدت ملامحه من القلق:

ـ ماذا حدث بغيابي ؟!

أثر القلق والامتعاض كان واضحًا جليًا على وجه بني النعمان الذي أجابه بحزم:

ـ لن أثقل عليك وأنت في هذه الحال، حين تعود إلي سالمًا سأخبرك بكل النوائب التي لا تدري عنها شيئًا ...

زفر الملك الأبيض بضيق، لقد أستخدم ولده الدافع الوحيد الذي سيحفزه للعودة والخضوع لعلاج سريع، شزر بنظره نحوه وهو يقول له:

ـ حسنًا انقلني للمملكة.

لم ينتظر بني النعمان ولو لحظة واحدة وقام بنقله لمدينة الحكماء التي بناها



قبل أن يرحل بوقت يسير، تعجب الجميع من رؤيته فلم يمهلهم ولو القليل من الوقت ليستوعبوا وجوده بينهم، ساعد أبيه ليستقر على الفراش الكبير في أحد الغرف الخاصة التي يملك وحده الدخول إليها، ثم تركه يستريح وخرج من الغرفة يبحث بعينيه عن كبيرهم الذي أتى على الفور حين سمع جلبة بالمكان ليجد نعمان أمامه قائلا بحزم شديد:

ـ أبي في الغرفة الخاصة التي تعرفها، لا أعلم ما الذي يعانيه أو يشكو منه كل ما أخبروني به أنه مريض منذ فترة ليست بقصيرة، ورفض العودة والانتقال للمملكة.

ابتأست ملامحه وهو يُردف:

ـ وحين ذهبت إليه لم يسرني رؤيته أبدًا، أبي ليس بخير وأنت سوف تسخر كل حكيم تعرفه من الجن لمعالجته.

اقترب منه وخفض صوته

ـ استخدم كل ما حصلنا عليه من الأرضيين، وحين أعود بعد عدة ساعات سأجد أبي كما تركته منذ ثلاث سنوات.

اختفى بني النعمان من أمامه عائدًا لأبيه دون أن يمنحه فرصة للحديث حتى ولو كان ترحيب به، وقف بجوار رأس أبيه يمرر كفه عليها برفق وهو ينحني يُقبل رأسه قائلا:

ـ سأذهب الآن وسوف أعود إليك بعد بضعة ساعات، وحتى هذا الوقت ستعدني أنك ستبقى بخير بل بأفضل من ذلك.

وبصوت واهن حاول إخراجه بقوة كعادته:

ـ سأنتظرك هنا .

تركه بقلب ملتاع وعاد لغرفته فوجد روهان تغلق باب دورة المياه خلفها



وهي تلف جسدها العاري بمنشفة بيضاء، فرفع زاوية فمه بابتسامة عبثية وهو يعود بذاكرته لمظهرها هذا حين كان يقتحم غرفتها في أي وقت كي تعتاد على وجوده دائما بجوارها، استدارت روهان فاختض جسدها لوهلة قبل أن يتهلل وجهها وهي تقول له:

ـ ما زلت لا أصدق عودتك.

دنا منها في طرفة عين فضحكت وهي تضع كفها على وجهه قائلة:

ـ هل تتذكر يوم كنت تقتحم غرفتي وحين رأيتني بالمنشفة أدرت وجهك للخلف ..

قاطعها بهمس وأكمل وهو يسحبها لتلتصق بجسده:

ـ و داومت على الاستغفار وحين شعرتُ بأن جسدي سينهار أمامك ولن أستطيع التحكم بما يجول بخاطري وقتها ..

بترت كلماته وأكملت بذات الهمس :

ـ تركتني واختفيت في وسط عاصفة من مشاعر قوية تجتاحني، تارة بسبب خجلي منك وتارة بسبب عدم اعتيادي على وجودك في أية وقت، والأخيرة كانت قاتلة.

ابعدت وجهها عنه وهي تنطقها ببطء:

ـ عشقي لك الذي لم أستطع السيطرة عليه.

قبل شفتيها بنهم ليتوقف حين سمع طرقات على باب الغرفة، يتبعه صوت ولده المضطرب :

ـ هل ما سمعته صحيح! هل أنت هنا يا أبي ؟!



انكمشت ملامح روهان بشجن حين سمعت صوت يوناس بعد كل تلك المدة التي غاب عنها بها، تجمعت الدموع بعينيها وهي تردد أسمه:

ـ يوناس .. ولدي.

اختفى نعمان من أمامها ليأتيها بعباءة واسعة ارتدتها على عجل قبل أن يفتح بني النعمان الغرفة لولده الذي تسمر في موضعه عدة لحظات قبل أن يرتمي في أحضانه مهللا :

ـ لقد عُدت، لقد عُدت .

شدد بني النعمان من احتضانه وهو يقول له :

ـ لقد عُدت بفضلك يا بني ..

ابتعد يوناس عنه وهو يضم حاجبيه بدهشة متسائلًا:

ـ كيف حدث ذلك ؟!

ربت على كتفه وهو يجيبه

ـ شرح هذا يطول.

نظر لأمه التي تقف جوار أبيه تحدق به بغضب، فجذبها نحوه وهو يضمها بقوة ويشتم رائحتها بشغف قائلا :

ـ لا تعلمين كم اشتقتُ إليكِ في كل لحظة قد مرت علي لقد كنت أريد العودة لأحضانكِ هذه حتى أستطيع مواجهة كل ما قابلته في هذه الرحلة البائسة.

ابعدها عن صدره وهو يُردف بأسى:



ـ كنت أريد البوح لكِ بالكثير، ولكنكِ كنت مثل الكوب الذي امتلأً على آخره وبدأ بفيضان لم أستطع تحمل رؤيته، أرجوكِ يا أمي أنا لا أقدر على رؤيتك تنهارين هكذا مرة أخرى.

قبلت وجنتيه بقوة ولهفة وهي تحدثه بغيظ متجاوزة حديثه الذي يذكرها كم كانت مهملة في حق الجميع ولم تنظر سوى لحالها ووجعها فقط

ـ لولا عودة أبيك لكنت قتلتك على تركي كل هذه المدة دون رؤيتك ولو مرة واحدة .

وقف بني النعمان حائلا بينهما وهو يدفع أبنه بعيدا :

ـ يكفي هذا يا رجل لقد تجاوزت حدك كثيرًا مع زوجتي.

وقبل أن يتحدث يوناس دخل نعمان الصغير للغرفة ليقف بوجه جده وعيناه تترقرقان بالدموع تأثرا برؤيته وهو يقول له:

ـ لم أصدق ما سمعته عن عودتك، حتى وأنت أمامي بكامل بهاءك ما زلت لا أصدق يا جدي.

ـ انحنى بني النعمان قليلا ليُصبح بمحاذاة حفيدة، وهو يضمه إليه بقوة قائلًا :

ـ لقد أخبرتني جدتك ما فعلته معها طيلة السنوات الماضية.

ابتعد عنه قليلًا وهو يردف:

ـ لقد علمت الآن لما أصر أبيك أن تأخذ اسمي.

ابتسم الصبي وهو يقبل يد جده وبنبرة امتنان قال له:

ـ هذا شرف عظيم لي يا جدي.

جذبته روهان نحوها تحتضنه قائلة:



ـ لم أراك منذ بضعة أيام، وأنا لا اعتاد هذا.

جره بني النعمان من بين أحضانها وهو يسلمه ليوناس قائلا :

ـ خذ ولدك وأذهب من هنا واتركا زوجتي يا لصوص.

ابتسم جميعهم بخفة وكلا منهم يحمل همًّا ما زال عالقًا على وجهه ليستعيد بني النعمان ملامحه الجدية في لحظة وهو يسأله:

ـ أين هي إلينا وسارافيم وروهان ؟

نظر يوناس لنعمان الصغير ثم تطلع بأبيه مجيبا :

ـ لا أعرف أين هي سارافيم، ولكني أعرف أين إلينا وروهان، وهذا الأثنان ليسا بخير على الاطلاق.

لينطق نعمان الصغير:

ـ عمتي رحلت مع أمي آخر مرة رأيتها بها ولم تعد .

نظرت روهان لبني النعمان الذي همس وهو يصك أسنانه بغضب شديد :

ـ الأرضيين الملاعين.

الفصل الثاني عشر



بعدما أخبرته بقصص لم تخطر في خياله يوما، جلس آرام في غرفته يستعيد كل ما حدث له منذ أن تشكل لديه وعي كامل هو دائما ما يشعر أنه لا ينتمي لهذا العالم، ولكن هل يمكن أن تكون هذه الفتاة كاذبة وتحاول تضليله لغرض في نفسها ؟!

ولكن كيف وهي قد قامت بوصف المرأة التي تحتل أحلامه دوما بمنتهى الدقة والوصف وكأنها كانت تتجول في خاطره ووقت منامه، هذه السيدة التي تتصل معه برباط لا يعلم حقيقته ولا يدرك معناه..

قام من مجلسه يخطو أمام المرآة القابعة في غرفة صغيرة مغلقة لا يوجد شيء بها سوى هذه المرآة التي تتوسط الحائط وسط الظلام، لا يدري لما هداه عقله لسرقتها من زنزانة فردية كانت متواريه في مكان بعيد ،وخاص لقد اكتشفها عن طريق الصدفة ودفعه الفضول لأخذ المرآة منها وإخفائها في مكان سري صنعه بنفسه في غرفته الشخصية، فرقع بإصبعه أمامها فصنعت المرآة شعاعًا أزرق اللون أضاء المكان حولها، لقد أكتشف هذه الحيلة مصادفةً حين وقف أمامها لمدة طويلة يتأمل جسده الهزيل الذي لا يماثل هؤلاء القوم المعاشر لهم، راقب جسده ووجهه وعيناه التي جعلها تتحول للون الأحمر وهو يتذكر محادثته مع الفتاة المسجونة حين غضب مما عرفه عن أبيه المخادع الذي يعتبره الأقرب لقلبه، ليعاود سماع صوتها وهي تقول له بدهشة:

ـ إن حدقتيك تحولت للون الأحمر عند شعورك بالغضب، هل تعرف ما معنى هذا ؟!



سألها بتعجب:

ـ ما الذي تقصدينه ؟!

فأجابته سارافيم بحيرة:

ـ إن تلون عيناك بالأحمر الناري هذا عند الغضب قد ذكرني بأمي!

توقف عند هذا الحد وهو ينظر لكفيه اللذان يستخدمهما في السحر بإتقان شديد تعجب منه الجميع عادا أبيه ياوي ومعلمه كيبورا، وكما عرف من الفتاة أن أمها كانت ساحرةً كبيرة وهي أيضًا قد ورثت السحر وتعلمت الكثير منه على يديها ... وضع كلتا كفيه على رأسه الذي يدور بسرعة قصوى وهو يتساءل بضياع :

ـ إذا ما علاقة الأنسية التي تحتل أحلامي بي؟!

اتسعت حدقتاه عبر المرآة التي قد خرج الضباب الكثيف من جوانبها وكأنها تزأر لما ينعكس عليها من اضطرابات صاحبها، ليتحول ضوئها الأزرق لآخر باللون الأحمر مثل بريق عينيه الساخط، ليتحرك من أمامها للخارج وهو يتنفس بهدوء كي يستعيد بعضًا من استقراره قبل أن يواجه أبيه.....

انتقل آرام لياوي الذي لم يجده جالسًا على عرشه كعادته، سأل عماليقه الملتصقين به فأخبروه أنه قد ذهب لمختبره السري الذي لا يعرف مكانه سواه هو وولده ويون، اختفى من أمامهم وهو يفكر كيف يعثر على هذا المختبر دون أن يدري أحد به ؟ فكما قالت له الفتاة أنه قد ولد نتيجة تجربة لم يستوعب تفاصيلها حتى هذه اللحظة، ولكن بالتأكيد سيعرف كل شيء داخل هذا المكان السري...



وقفت تدور حول نفسها وهي تكتم غيظها الشديد بعدما حاولت العديد من المرات بكل ما تحفظه من تعاويذ جربتها ولم تجربها من قبل ولكن لا فائدة هذا الباب الصلد لا ينفتح ولو قيد أنملة نظرت لشيث الذي أفترش الأرض فاردًا جسده الضخم ينظر لسقف الغرفة المعدنية الغريبة الذي سجنهم بها الجان الرباني، تدور على جدرانها وسقفها العالي تعاويذٌ مضيئة تمنعهم من الانتقال أو حتى الحركة، جلست على ركبتيها بمحاذاة جسده وهي تصرخ به بغضب:

ـ تحرك يا شيث وجد لنا حلا للخروج من هنا .

حول رأسه تجاهها ببطء ينظر نحوها بهدوء قائلا :

ـ اجلسي لأقص عليك كيف تعرفتُ على أبيك للمرة الأولى، ومن بعدها أصبح هو صديقي الوحيد

تحولت حدقتيها الحمراء للأسود الحالك بامتعاض ليخرج صوتها الحانق قويا وهي تصك أسنانها :

ـ من أين أتيت بهذا البرود يا شيث؟! نحن مسجونون هنا وأنت تدعوني لتحكي لي قصصًا أتظن أنني بلهاء مثل الأنسية التي جرتك إلى هنا لكي تحترق أمامها فيصفق لها الجميع بعدما تعتلي منصبها المزعوم فوق رفاتك

تنهد بعمق وهو يحرك كتفيه بإهمال محدثًا إياها بنبرة رزينة:

ـ حسنا كما تريدين ولكنك ستندمين على عدم سماعها فهي قصة شيقة للغاية.



شعرت أن عقلها سيتوقف من ثباته بهذه البلادة التي لا تعلم من أين أتى بها لتطلق صرخة مكتومة بسخط جعلته يجلس معتدلاً وهو ينظر إليها بتعجب متسائلاً:

ـ ما الذي دفعك للمجيء إلى هنا لإنقاذي، رغم أنني ألاحظ أنك دائمة الإنتقاد لعائلتك ولي بسبب مشاعرنا التي تميل دوما للأنس، أو بسبب أننا على الفور في أحلك الظروف نفكر بعاطفتنا .

لفت انتباهها فتوقفت عن الدوران وهي تحدق به ليردف وهو يزم شفتيه :

ـ ما أقصده أنني أرى أنك قد اكتسبت من الشياطين خصالاً هامة ومن أوضحها أنك لا تمنحين مشاعرك ولو فرصة ضعيفة لتتحكم بك، فلما تركتها تقودك إلى هنا ؟

كانت بداية مواجهتها رفضًا ،تام فاقتربت منه بنارية تدل على طباعها الجافة وهي تقف أمام وجهه تتأمله بتحدٍ واضح قائلة:

ـ لقد أمرني أبي بإنقاذك، وليتني ما أطعته.

أخفى ابتسامته وهو يضم حاجبيه بدهشة متقنة يستفسر منها بمكر:

ـ ومن أخبر أبيك عن اتفاقي مع ميلاف؟! ألم أنبهك على عدم إخباره .

ارتعشت حدقتيها للحظة قبل أن تسيطر عليهما وهي تجيبه بحنوٍّ ما زال يتمكن منها :

ـ لم أعتاد أن أخفي أحداثًا كتلك عنه.

علق بصره عاليًا وهو يتمتم:



ـ ممم .

ثم استطرد وقد اتسعت حدقتيه أمامها وهو يتحرى ما بداخلها :

ـ إذا فقد أخبرته عن سبب تركك له مغشي عليه، وأطلعته عما حدث مع سليمان وعن قلقك الواضح عليه وجلوسك معه حتى اطمئن قلبك عليه.

دفعته بكفيها وقد امتلأت عينيها غضبا لما يقوم به من تعريتها بحقيقة تريد إخفائها بقدر ما استطاعت، في أسفل منطقة لا يعلم عنها أحد على الإطلاق، ليتردد دوي صوتها الحانق أرجاء الجدران الحديدية :

ـ أنت من طلبت مني الجلوس معه أيها الأبله.

حرك كتفيه باستهزاء وهو يقول لها:

ـ إذا فقد أخبرت أبيك أنني قد رغبتُ بقدومك معي لتطبيبه هو وأمه، وأنني من طلبت منك أيضًا الجلوس بجواره حتى أطمئن عليه.

ضيقت عينيها وهي تُطبق فمها بقوة وقد أثار حفيظتها بشكلٍ لم يفعله أحدٌ من قبل لتتركه في جلسته وتعود تجاه الجدران المدججة بالتعاويذ تشاهدها بتركيز متجاهلة حديثه، فابتسم شيث وهو يستطرد:

ـ تدرين يا فتاة، أنا أشفق عليكِ بشدة، فكل ما تفعلينه في حياتك هو إطاعة أوامرنا رغما عنك وعن رغباتك.

وكانت هذه الجملة الفاصلة هي التي جعلتها تفقد السيطرة على نفسها لتتحول إلى كرة نارية غاشمة تحاول مهاجمته بقوة وهي تصرخ به :



ـ أنا لا أتبع أوامر أحد أيها الغبي، أنا لا أسير في طريق إلا الذي اخترته لنفسي.

أمسك كلتا ذراعيها بقوة منعتها من لكمه، ليقرب وجهه منها وهو يُجعد ملامحه باستنكار يستوضح منها ما تفعله :

ـ ما الذي تحاولين فعله إذًا ؟!

حاولت أن تسحب ذراعيها بالقوة وهي تزأر به:

ـ أحاول الخروج من هنا أيها الأخرق.

ظلا قابضًا على ذراعيها مستخدمًا ذات الطريقة التي يخضع بها كل من يقف قبالته:

ـ هل غضبكِ الثائر هذا بسبب أن الجان الرباني قد سيطر عليكِ في زنزانة حديدية كتلك، وأنت الفتاة التي لا يستطيع أحد السيطرة عليها حتى الآن،فقد كانت لكِ اليد العليا على أعتى الشياطين رغم نعومة أظافركِ.

ما زال الشرر يتطاير من عينيها وهي تراقب حديثه:

ـ أم أن هذا السخط الشديد لأنني قد قمت بالكشف عما تحاولين إخفائه بشتى الطرق

دنت منه وهي تضغط على حروفها بقوة وقد أظلمت عينيها بقتامة اللون الأسود الداجن :

ـ لا أحد على وجه هذه الأرض يستطيع السيطرة علي، وأنت لم ولن تقدر على كشف ما بداخلي ببضع كلمات هوجاء تريد بها إلهائك قليلا عما فعلته بك الأنسية.



انتزعت ذراعيها بتمكن وعادت لما كانت تفعله منذ قليل،بينما وقف شيث يحدق بظهرها الثابت أمامه رغم ما حدث ليثير غضبها مرة أخرى قائلاً :

ـ واجهي حقيقتك يا روهان فلو استمريت على إنكارها هكذا سوف تخطئين وجهتك .

استدارت نحوه بقوتها المعهودة وهي تسأله باستهزاء :

ـ وما هي حقيقتي يا حكيم الجن ؟!

اجابها وهو يستند بظهره على الجدار السميك:

ـ أن بداخلك جزء أنسي تحاولين التملص منه، وهذا الجزء يدفعك دوما لحماية من تحبين؛ فلا تحاولين إخفاء مشاعرك هذه بالقوة الجبرية وإظهار ما يخالفها، لأنك سوف تتفاجئين حين تستيقظين يومًا تبحثين عنها ولن تجدينها لا هي ولا من تحبين، فاحذري يا فتاة.

التفتت نحو الجدار حين التقطت أذناها حركة غريبة بالخارج، فعادت للخلف عدة خطوات وهي تترقب ما سيحدث، ليتجاوزها شيث واقفًا أمامها يفرد جسده بقوة وهو يقول لها:

ـ استعدي جيدًا فسوف نواجه مصيرنا الآن.

سألته بصوت حاد:

ـ ما الذي سيحدث ؟!

أمال برأسه تجاهها قائلًا:

ـ كنت أريد أن تحفظين بعضًا من طاقتك التي أهدرتها منذ قليل، ولكنكِ ما زلتِ طفلة بلهاء تُثار من الأحداث المفاجأة لذا فسوف أتقدمك قليلًا.



ضمت حاجبيها فأكمل وهو ينظر لعينيها المتسعتان :

ـ فأنا لن أمرر فظاظتك معي هناك حساب بيننا لم ينتهي ببساطة هكذا فاستعدي لهذا أيضًا.

*****

لقد تعلم من كيبورا حيلة ذكية في الإختفاء،ففعلها على الفور وهو يقف أمام المختبر السري الذي يعلمه هو والكثير من الأماكن السرية في هذه المملكة بفضل خُدعة هذا الساحر العظيم رددها في نفسه حين وجد أبيه يخرج من المختبر متجهما، لم يهتم لملامحه الممتعضة ودلف للداخل قبل أن ينغلق الباب بلحظة واحدة لم يشعر به ياوي رغم اقترابه منه لدرجة تقترب من الإلتصاق، وهذا ما جعل آرام يبتسم بزهو وهو يدنو من الأجهزة الغريبة والأنابيب المعلقة التي تحوي أجنة

مبهمة الشكل، تبدل وجهه المغتر لأخر ذابل بذهول لما يراه أمامه، دقق النظر في الغرف الزجاجية التي يجلس بداخل كل منها رجُلٌ قصير الطول بجسدٍ ،قوي، يمتلك حدقتين حادتين ينظر من خلالها بتركيز تام نحو الأجهزة التي تتحرك أمامه، اقترب من الأنابيب الزجاجية وهو يراقب ما بداخلها بتدقيق كبير يحاول بها تذكر أي شيء يقوده للحقيقة، ليغمض عينيه بومضات متتالية تصور له هذا المكانب وعي مختلف، كتم أنفاسه وهو يشدد على عينيه كي يلتقط بعض الإشارات التي تأتيه على عجل ليتأكد بها أنه بالفعل كان هنا في أحد تلك الأنابيب المستطيلة فتح عينيه لتتسع حدقتيه القاتمة وهو يقبض كفه كأنه يُمسك



بذكرى محددة قد رأى تفاصيلها من قبل وظن في السابق أنها رؤى لا معنى لها .
كانت الرؤية عبارة عن ياوي وهو يضع يده السوداء ذات الحوافر الطويلة ليمررها على الزجاج بخفة، لتتبعه حدقتي آرام وهي يتأمل أصابعه المدججة من خلف الزجاج، ليحرك هو يده الصغيرة بخفة واضعًا إياها في الاتجاه الآخر ليد ياوي وهو يقلد ما يفعله بإتقان، ليسترجع ملامح ياوي السعيدة وقد تهلل وجهة بطريقة يراها كل مرة ينتصر فيها على حيواناته الشرسة بمنتهى السهولة والمتعة اجتاز كل الأنابيب المواجهة له
وأكمل بخطواته الواسعة الإنتقال للداخل ليستكشف المكان بأكمله باحثًا عن ما يخبئه عنه هؤلاء القوم، سار للأمام حتى توقف عند أحد الأسطوانات الزجاجية الفارغة، ليلاحظ أن هناك القليل منهم لا تشتمل على أجنة بل تملك بداخلها فاصل يقسمها نصفين أحدهم يحبس الماء داخله والأخر يضم الكثير من الدماء المتجمدة، أقبل يحدق النظر بهم ليجد أن لكل اسطوانة منهم ملتصق بها رقم متبوعاً بحرف من الحروف الغريبة التي لم يتعلمها من قبل مؤكد أن هذه ليست لغة الجن ردد بهمس:
ـ هذه اللغة تخص الأرضيين القدامى.
لفت انتباهه أن تحت كل أنبوب منهم خزانة حديدة صغيرة،
زفر بضيق وهو يدنو برأسه منها محاولاً لمسها مع القليل من الحذر دون أن يشعر به أحد هؤلاء القاطنين داخل الغرف، ليتفاجأ حين مسها بخفة أنه انفتح بابها على مصراعيه، ضيق عينيه بتعجب قائلا:



ـ يبدو أنني بداخل الخزانة الكبرى، وكل ما في جوفها متاح للخوض به

وجد في كل خزانة منهم ورقة واحدة مغلفة بمادة شفافة توضح ما بها ولكن ولسوء الحظ أنها مكتوبة بنفس اللغة التي لا يعرفها تحولت ملامحه الهادئة للغضب وهو ينظر للأوراق بيده مرت لحظات قبل أن يختفي من المكان ليظهر في زنزانتها مرة أخرى، ، رفعت سارافيم رأسها نحوه وهي جالسة تستند بظهرها الجدار لتتسأل بتعجب :

ـ ما الذي وجدته ؟!

كان يخفي أوراقه خلف ظهره وهو يجيبها بتساؤل:

ـ من أين تعرفين أنني ذهبتُ للبحث عن هويتي ؟!

رفعت زاوية فمها بابتسامة استهزائيه تجيبه بهدوء :

ـ لأنني كنت سأفعل ذلك.

لم يكن لديه الكثير من الوقت وهو يظهر الأوراق التي بين كفيه ليقدمها لها قائلا:

ـ لا أعلم لما أثق بكِ أنتِ دونًا عن كل ما يحيط بي من عماليق وجن، ولكني سأجازف للمرة الأولى.

استقامت بجسدها وهي تتأمل وجهه الحائر بغرابة، لتمد له يدها فاستطرد بسؤال واضح :

ـ هل تستطيعين فهم هذه اللغة؟!

نظرت للكلمات المدونة على الورقة الأولى التي بيدها وهي تقول بسخرية:



ـ رغم أن مساوئ أمي تطاردني إلى هذه اللحظة إلا أن ما عملتني إياه سيجعلني رغمًا عني ممتنة لها مهما حييت.

جالت بعينيها على المدون في الورقة الأولى وهي تقول له:

ـ ما دون هنا مجرد نتائج لأبحاث لا أفهم فحواها، ولكنها في النهاية فاشلة.

اخرجت الورقة الثانية والثالثة وما يليها لتخبره بالمثل، حتى توقفت عند السابعة لترتعد يدها بوضوح جعل آرام يضيق عينيه بتركيز وهو ينتظر أن تخبره بما فيها، رفعت بصرها عن الورقة وهي تنظر لوجهه بدهشة لتعيد التدقيق فيما تحمله يدها حرك آرام رأسه باستفهام مرددًا :

ـ أخبريني ما الذي يحدث.

التقطت أنفاسها بطريقة متتالية وهي تخبره بصوت يرتعش :

ـ هذه الورقة تقول أن الجنين الناجي من هؤلاء السبع هو ...

لم تستطع نطقها، فقبض على ذراعها بقوة وهو يحثها على أن تُصرح بما تعرفه، فأردفت سارافيم بلا تصديق:

ـ الجنين المذكور هنا يكون ولد هند وبني النعمان.

هز رأسه بتيه وقبل أن تفتح فمها مرة أخرى، سمعت صوت الزنزانة ينفتح ومن ارتباك آرام وتشتته لم يختفي من المكان

حتى دلف ويون للداخل ليجده واقفًا بشرودٍ أمام سارافيم التي عادت للخلف باضطراب واضح ليصرخ بجنوده قائلا:

ـ من الذي سمح لهذا بالدخول إلى هنا ؟!

لم يتحرك آرام وعيناه تستجديان سارافيم كي تشرح له ما قالته



لتستطيع هي في لحظة قبل دخول ويون الغرفة إخفاء الأوراق التي كانت تحملها بطريقة حذقة لم يدركها أحد منهم .

لم ينطق آرام وظلت سارافيم على صمتها حتى اعاد صراخه :

ـ أخرجوا هذا من هنا واجلبوا لي هذه المحتالة لتلاقي جزائها الآن.



الفصل الثالث عشر



انتقل يوناس للمكان الذي وصفته له إلينا، وقف في أعلى نقطة في الجسر الصخري الذي ينتصف غابة «هويا باكيو» هذه الغابة التي يخشى الإنس الاقتراب منها، ويقضي بها الشياطين أغلب أوقاتهم المسلية التي تجعلهم يستمتعون بأذى البشر بكل طريقة يتمكنون منها، لذا فهي : تسمى في عالم الشياطين «غابة المرح» وفي عالم البشر فهي «مثلث برمودا رومانيا» بسبب الإختفاءات التي تحدث بها، فهي بالنسبة للبشر بوابة لعالمين منفصلين يستحيل اجتماعهما إلا على جثثهم

فبعد بحث واستقصاء ومطابقةً لشرحها وجد أن هذا هو الموضع الذي ارتحلت إليه وهي لا تدري ولكن السؤال الأهم هنا من الذي نقلها ؟ وما الغرض من تلك الوسوسة التي جعلتها تسقط في مصيبة كهذه التف يمينا ويسارًا يبحث بعينه عن أي جني في هذا المكان يستطيع أن يفهم منه ما طبيعة عمل تعاويذ هذه الغابة، وكيفية العثور عن خيط ولو رفيع يوصله لحلها ..

لمح بعينيه الشياطين داخل الغابة على كلا الجانبين يعبثون مع البشر الذين يطلقون على أنفسهم مغامرين، على الجانب الأيسر كان هناك مجموعة مكونة من فتاتان وشابان يركضون بفزع، بينما تُطلق الفتيات صراخات عالية وهم يستمعون لأحد الشياطين الذي يتصنع ضحكات عالية دون مصدر واضح،وكلما رأى فزعهم الشديد أعاد الكرة بشكل أكبر، أدار رأسه لليمين فوجد شابًا وفتاة في وضعية مُخلة وهناك شيطان لعين يراقبهما عن قرب



امتعض وجه يوناس بغضب وهو يتوقع القادم، قام بثني قبضته بقوة وهو يرى هذا الملعون الذي أنتظر حين تجردت الفتاة من ملابسها حتى قام بجرها أمام الشاب الذي معها فصرخ الأحمق بفزع وفر هاربا تاركا تلك الفتاة المسكينة بين يدي شيطان جعلها تتخبط بين الأشجار بعدما تلبس جسدها واستباحه بقذارته المعتادة، حرك رأسه بنفي وقد عزم أمره على انقاذ هذه الأنسية، وقبل أن يختفي من موضعه وجد هناك قبضةً تُمسكه من مرفقه بقوة مقتربا منه هامسًا:

اهداً يا رجل، فهذا العالم ليس لك، ستجر قومك لحرب ضروس لا قبل لكم بها وأنت الآن لا ينقصك كوارث مثل تلك.

رفع يوناس زاوية فمه بابتسامة متهكمة وهو يقول له:

ـ كنت أظن أنك تركت هذا العبث منذ مدة طويلة.

التفت يوناس إليه ليواجهه بذات البسمة الهزلية ليُردف:

ـ لو علمت آنا عودتك إلى هنا سيكون هناك ردة فعل قاسية لن تتحملها .

رفع كلتا ذراعيه للأعلى وهو يحرك رأسه نفيًا :

ـ لقد تركته يا صديقي، ولكني هنا لأقبض على أحدهم.

ضيق يوناس عينيه مستفهما، فاستطرد عدار

ـ هنا يختبئ أحد سحرة الشياطين، وأنت تعلم أن حراس السماء ليس لديهم القدرة على ولوج تلك الغابة، وهذا الساحر معه غرض يُعد خطرًا على أبريال.

علت ضحكة يوناس فنظر له عدار بتحذير جعله يتوقف وهو يقول له:



ـ هل تعمل الآن في مجال القبض على السحرة من الشياطين بدلاً عن عاتق ؟!

رفع عدار حاجبيه فأردف يوناس بخفوت:

ـ هل يعلم أبيك وأخويك ما تفعله؟!

ناداه بنبرة تحذيرية :

ـ يوناس .

وضع يوناس كفه على فمه ليكمل عدار :

ـ لقد تركت قومي . منذ وقت قليل .

لم يستطيع يوناس إخفاء دهشته،، ليسأله بحماس:

ـ هل غيرت ديانتك ؟!

اجابه عدار بتوتر :

ـ هذه الخطوة مازال أمامها بعض الوقت.

ثم اردف بسؤال جدي:

ـ ما الذي تفعله أنت هنا ؟!

سأله يوناس باهتمام:

ـ اخبرني أنت أولا هل أبريال في خطر ؟!

حرك عدار كتفه بإهمال مجيبا :

ـ لا تكترث للأمر، سوف نجد حلا جذري لها.

ارتخت ملامح يوناس بقليل من الراحة ليخبره وقد اغتم صوته :



ـ أبحث عن أحد يساعدني.

هز عدار رأسه مستفهمًا، ليقص عليه يوناس مع حدث مع إلينا ليفاجأه عدار بقوله:

ـ هذا ليس عمل الشياطين ولا حتى السحرة منهم، هذا عمل أحد سحرة الجن القريبين منكم.

جحظت عين يوناس قائلا :

ـ ما الذي تقوله يا عدار ؟ هل أنت واثق من ذلك ؟!

أومأ عدار بثقة كبيرة وهو يوضح له الأمر:

ـ هذا الغابة لا يطأها سوى الشياطين والسحرة من النوعين، والملاعين من النوع الأول ليس لديهم القدرة على جذب الإنس هنا والنوع الثاني من سحرة الشياطين أيضًا لن يتمكنوا من سيطرتهم على الإنس دون رابط أو مساعد من سحرة الإنس نفسهم .

دقق يوناس النظر به وهو يستطرد:

ـ أما سحرة الجن فهم الوحيدين الذين يستطيعون الجمع بين العالمين دون مساعد أو رابط .

مشاعر الغضب احتلت ملامح يوناس وهو يستمع لما يقوله عدار ويحلله في عقله، فلو صح هذا الحديث فإن دائرة المتورطين والمشكوك بأمرهم تتسع لدرجة كبيرة، سأله بإضطراب شديد:

ـ أنت واثق مما قلته يا عدار ؟!

أجابه بحزم شديد وصدق أشد:



ـ بالطبع، تستطيع التأكد من مصدر آخر، قم باستدعاء عاتق وسؤاله، أو أي حارس من حراس السماء تعرفه عن قرب.

شرد يوناس قليلا ثم ابتسم بسعادة وهو يتذكر أن أبيه قد عاد، وهذا يعني أنه سيجد الحل بالتأكيد...

اخرجه عدار من شروده وهو يسأله بفضول:

ـ ما الذي اسعدك في لحظة هكذا بعدما كان وجهك يحتقن بدماء الغضب؟!

استعد يوناس للرحيل وهو يقول له:

ـ سأخبرك فيما بعد .

ثم اقترب منه وهو يُردف:

ـ اشكرك على المساعدة، أبلغ سلامي لآنا وعاتق وأبريال.

وقبل أن يختفي من امامه همس له:

ـ أخبر آنا أنها أصبحت مثل أمي وزوجتي.

ضم عدار حاجبيه ليسأله بصوت مرتفع:

ـ ما معنى هذا ؟!

صوته وصل ليوناس حين انتقل لمملكته؛ فابتسم حين دوى ثانية بشكل يصل حد الصراخ:

ـ يوناس.

صعد لغرفة أبيه متجاهلا صوت عدار الذي أثار فضوله، ليجد باب الغرفة مفتوح على مصراعيه وأمه جالسة مع ولده الصغير يتحدثان براحة أعلى اريكتها الموضوعة في منتصف الغرفة



ظهر الضيق الشديد على وجهه وهو يزعق به

ـ لما لم تعود لأمك فور ذهابي؟! ألا تعرف أنها في هذا المنزل المشؤوم بمفردها

وقف نعمان بتوتر ودون حديث احنى رأسه بطاعة واختفى

انتصبت روهان وهي تتقدم لتواجه ولدها بامتعاض

ـ لما أنت غاضب هكذا ؟!

اجابها بذات الضيق المرسوم على وجهه

ـ لم أكن غاضبًا منذ لحظات يا أمي.

اقتربت منه وهي تضيق عينيها بحنق:

ـ وغضبت حين وجدت ولدك يجلس معي ؟!

تنهد بعمق وهو يقول لها:

ـ أمي أرجوكِ .

حركت رأسها مستفهمة فأردف بحدة واضحة

ـ أمه بحاجة إليه، وخاصة أنه قد شاهد غيابي، عليه أن يكون ذو عقل واعي فهو لم يعد صبي صغير يجب علينا أن نخبره ما يجب عليه فعله بالإضافة لأنني أحمله بعضًا من المسؤولية فيما حدث لأمه.

تعجبت روهان من حديثه ،هذا فضمت ذراعيها إلى صدرها وهي تسأله بانفعال:

ـ ما الذي تقوله أنت ؟! ولدك لم يتركني لحظة طوال غيابك، وكان يأتيني بعدما يمر على أمه وعمته ويقوم بمصالحهن، فهو لم يدخر جهداً لثلاثتنا



وتحمل مسؤولية كبيرة عليه بكل شجاعة وقوة.

زفر يوناس بضيق وهو يحرك رأسه قائلا :

ـ حسنا يا أمي كما ترين، والآن أين ذهب أبي؟

دنت منه بغضب واحتد صوتها :

ـ أتتجاهل حديثي بهذا الأسلوب الفظ ؟!

حاول أن يضم كفيها إليه برفق وهو يقول لها:

ـ اهدئي يا أمي؛ أنا لم أقصد الإساءة.

جذبت روهان كفيها من بين يديه بعنف واستدارت عائدةً لمجلسها وهي تقول له:

ـ لا أعلم أين ذهب أباك، عد لزوجتك وأغلق الباب خلفك.

حاول أن يتحدث معها ثانيةً فصرخت به :

ـ أخرج الآن .

تأفف يوناس وهو يخرج من الغرفة مغلقا الباب خلفه بحزنٍ لأنه أغضب أمهِ دون قصد ولكنه بالفعل لم يعد يستطيع التحكم في انفعالاته الزائدة بسبب الضغط المتزايد عليه من كل الجهات، فهو لم يصل إلى الآن لحل جذري كي تعود إلينا للمنزل، ولا يعرف أين اختفت ابنته ولم ترجع منذ يومان، وكذلك شيث الذي لم يظهر بعد اغمض عينيه بقوة وهو ينظم أنفاسه بحثًا عن القليل من الهدوء والتركيز لعله يصل لطرف خيط من الخيوط الكثيرة التي تلتف حول رقبته ريثما يعود أبيه ليجد معه حل ...



استندت روهان بظهرها على المقعد وإمارات الحزن تحتل ملامحها الهادئة وهي تفكر في كل تلك المصائب التي حواطتهم في يوم وليلة، كانت تظن أنه بعودته ستعود الشمس لتشرق على حياتهم البائسة والمظلمة في غيابه، ولكنه سُحب في دوامة الابناء والأحفاد الذين تحفهم المخاطر من الجهات الأربع، اغمضت عينيها وهي تلهث بالدعاء أن يحفظهم الله ويراعهم ..
انهت دعائها وفتحت عينيها لينتفض جسدها من مفاجأة رؤيته يقف أمامها، استقامت بتوتر كبير وهي تسأله:
ـ ما الذي جاء بك إلى هنا يا عفرين ؟!

*****

وصل بني النعمان للبوابة التي تفاجأ بوجود روهان تختبئ بالقرب منها، فحين خرج من الخواء لم يكن يفكر إلا بالانتقام من هذا اللعين المُسمى ياوي ومعرفة من هو هذا الطفل وأبيه قبل أن يتخلص من ثلاثتهم، وللمرة الأولى له يفكر بهذه الأنانية المُفرطة، فهو تحت أي ظرف من الظروف لن يسمح حتى بوجود طفل لزوجته من رجُلٍ ،غيره، استشاط جسده بغضب ومشاعر الغيرة تُحطم فؤاده انتظر قليلا . انفتحت البوابة وخرج أحد الحرس منها فسحبها للخلف وقتله قبل أن يرتدي زيه المغلق من جميع الجهات حتى لا يتسلل الضوء بداخله...
دلف بالداخل وهو يسيطر على هياجه الذي يدفعه لحرق هذه المملكة بما فيها ولكنه يجب أن يلتزم الهدوء في الوقت الحالي حتى يُخرج ابنته من هذا المكان وبعدها سيقوم بحرق جميع من قام بخداعه لن يسامحهم أو يمررها هذه المرة ..



اتسعت خطواته الساخطة وهو يخرج من ممر لأخر بنفاد صبر، هؤلاء الملاعين يجعلون متاهتهم أصعب في كل مرة يدخل بها مملكتهم، وقف في منتصف نقطة كان يضع بها علامة مميزة تذكره فيها من أي طريق يجب أن يسلك، وضع يده على العلامة المحفورة بأصابعه على الجدار ثم سلك

الجهة المدون عليها بإشارة خاصة قابله العديد من السكان الذين يحنون رؤوسهم عندما يمر الحرس داخل المملكة ولكن هؤلاء لا يمرون من هذه الطرق إلا في ظروف خاصة، وهذا جعل البعض يتلصص عليه من مسافة بعيدة، وصل لموضع التقط به انفاسه بقوة وقام بالإختفاء، فهذا هو المكان المحدد الذي يتمكن منه بالانطلاق لعرش ياوي الذي وجده يجلس مهمومًا والحزن واضحًا على وجهه ابتسم بني النعمان فهذه الحالة المزرية هي بالتأكيد الذي يريده بها، نزع عنه بذلته وبحركة مفاجأة كان يقف خلفه وهو يقبض على رقبته بكلتا يديه مقتربا من أذنه هامسًا:

ـ هل تريد مني ! أن أقتلك هنا على عرشك، أم تُحب أن تنتقل بي لمكان نستطيع به تصفية حساباتنا ؟

جحظت عين ياوي حينما تبين له أن الصوت لبني النعمان، ليلهث من المفاجأة التي خطفت أنفاسه

وهو ينطق بحروف متقطعة

ـ بني النعمان ؟ أنت حي!

صك بني النعمان أسنانه بغيظ وهو يقول له:

ـ كنت تظنني لن أعود إليك وأقتلك على ما فعلته مع زوجتي ؟!



أردف وهو ينظر بعينيه للجنود الذين حاوطوا المكان حول ملكهم

ـ لا تقلق سأقتلك بطريقة حنونة ولطيفة، بشرط أن تخبرني من هو الطفل وأبوه، بعدما تأتني بابنتي.

ضغط ياوي الحروف على لسانه لينطق سريعا :

ـ اهدأ أرجوك، فقد فهمت الأمر خطأ.

توغر صدر بني النعمان وازدادت نيرانه في التصاعد من داخله وهو يضغط على رقبة ياوي بكل قوته حتى تدلى لسانه للخارج واهتز جسده القوي ،بعجز، وخاصة حين بدأ نعمان بترديد تعويذة تجعل جسده يضعف أكثر فأكثر ليرفع ياوي ذراعه للأعلى بإشارة استسلام وخضوع جعلت بني النعمان يخفف قبضته كي يسمع صوته المتحشرج وهو يأمر جنوده أن يجلبوا سارافيم في الحال اختفى الجنود على عجل وهم يركضون نحو ويون الذي أوقف سارافيم في منتصف غرفة الوحوش المفترسة خاصتهم وهو يقترب منها وعيناه تشتعل بهياج يرفض إخماده رغم نظراتها التي تكن له حبًا مازال يراه واضحا جليًا داخل حدقتيها ابتسمت بهدوء وهي تشجعه بقولها :

ـ هيا يا ويون قم بفتح البوابات كي ترى وحوشك يقطعون جسدي لعل غضبك يهدأ ولو قليلًا.

اكتفى بالشرارات المتطايرة من نظراته الحاقدة وهو يتقدم البوابات باهتزازة قدم جعلت ابتسامة سارافيم تتسع أكثر لأنها كما توقعت لن يستطيع فعلها، لقد امتلكت قلبه ولن يقدر مهما حاول أن يُخرجها من هناك، أوقفه الجنود وقد بان الذعر على وجههم وأحدهم يخبره:



ـ الملك ياوي يريد السجينة سارافيم في الحال.

لاحظت سارافيم لمحة من نظرة خائفة لاحت على حدقتيه اللتان تجلا فيهما ارتعاشه ظاهرة، ليسألهم بحدة :

ـ أبلغوه أنني سأتدبر أمرها .

أكمل طريقة فأوقفه الجندي سريعًا :

ـ الملك في خطر يا سيدي، اجلبها الآن في الحال أرجوك.

نظر لسارافيم التي ضيقت عينيها بتعجب وهو يخطو تجاهها ليحل أصفادها المثبتة في أرضية الغرفة وهو يقول بغضب:

ـ لن يمسك أحد غيري.

رفعت زاوية فمها بسخط وهو يجرها خلفه لتدنو من رأسه هامسةً

ـ اتمنى أن تفعلها أنت يا ويون حتى أنتزعك من قلبي للأبد.

تعالت أنفاسه باضطراب حاول السيطرة عليه وهو يقترب من عرش الملك، لتتحجر عيناه وهو يطالع أبيه الذي يقف بين يدي بني النعمان ووجهه الجامد محتقنا بالدماء خائفًا مرتعبًا لا يستطيع الحركة، صرخت سارافيم من خلفه بسعادة وهي

تناديه :

ـ أبي لقد عدت.

ابتسم بني النعمان نحوها بعاطفة أبويه وهو يشير إليها أن تقترب منه



ـ تعالي إلي.

كادت تركض نحوه فقبض ويون على ذراعها بقوة قائلا :

ـ لن تتحرك من هنا .

نظرت له سارافيم بغيظ ثم أعادت النظر لأبيها الذي بدأ بترتيل بعض الكلمات على مسامع ياوي جعله يصرخ بابنه ليتركها وقد بدأت الدماء تسيل من أذنيه بغزارة، ترك ويون ذراعها بقلق فهرولت تجاه أبيها تحتضنه من الخلف ودموع عينيها لا تتوقف من الفرح ظل بني النعمان على وقفته ثابتًا

والملك ياوي بين قبضته ليأمره بصرامة:

ـ دعنا ننتقل للجزء الثاني.

خرج صوت ياوي مرتجفا وهو يقول له:

ـ سوف أخبرك بكل شيء.

وقفت سارافيم على اطراف أصابعها وهي تهمس لأبيها:

ـ اتركه يا أبي فقد عرفتُ الحقيقة، هذا المحتال لن يخبرك

ضيق نعمان عينيه بشك ليجد آرام أمامه يخاطبهم بشراسة :

ـ ما الذي يحدث هنا ؟!

تهلل وجه ياوي صارخًا:

ـ انقذني يا بني انقذ أبيك من بين يدي هذا الساحر اللعين.

شدد بني النعمان قبضته على رقبة ياوي الذي ابتلع لسانه على الفور وهو يقول له:



ـ اهدأ أيها الملك حتى لا تموت بين يدي قبل آوانك.

وقفت سارافيم أمام ياوي بقوة وهي تقول له:

ـ أخبر أبي أن آرام شقيقي، ولكن هل يا تُرى هو الوحيد ؟!

خطى آرام تجاهها بوجهه الجامد الذي لا يفسر، فأمسكت كفه وهي تشير نحو نعمان قائلة:

ـ هذا هو أبيك يا آرام.

ارتجفت يد بني النعمان بوضوح على رقبة ياوي، بينما الصدمة اعتلت ملامحه القوية وهو يسألها بصوت مضطرب وجملة هند تتردد في أذنيه بقولها «أنا حامل»:

ـ ما الذي تقولينه يا سارافيم ؟!

الفصل الرابع عشر



فتح الجان الرباني الأقفال الموصدة بتعاويذ خاصة، ثم أغلقها خلفه بتمتمة لطلاسم محددة حتى لا يهرب أحد منهم، فوقف شيث على استعداد لمقاتلته ومن خلفه روهان تتأهب
بتعاويذها المسيطرة، ليرتخي جسد شيث فور رؤيته لميلاف التي تقف خلف الجان الرباني لتنزع عنها غطاء رأسها الذي يتدلى على وجهها مخفيًا إياه، تقدمت روهان لتقف جوار شيث وهي تنظر لها بغضب قائلة:
ـ ما الذي أتى بك إلي هنا ؟! هل يتملكك الفضول لرؤيته يصارع الموت؟! أم تريدين منه الاستسلام والخنوع ليُحرق في صمت ؟ !
ثبتت ميلاف نظرها على وجه شيث الصلب الذي ينتظر منها مبررًا لوجودها هنا لتجيب على روهان بثبات كعادتها :
ـ جئت كي أخرجكما من هنا .
كادت روهان أن تتحدث ثانيةً فأوقفها شيث بإشارة منه، ليفرد جسده الفاره مرة أخرى بقوة ونظراته المستفهمة التي يرسلها لميلاف جعلتها ترتبك للحظات قبل أن يقول:
ـ وما المقابل ؟!
تعجبت روهان من سؤاله لترى ميلاف تجيبه بحزم:
ـ ستخبرني أنا والجان الرباني عما يحدث في الضريح، ومن هم المتورطين من الموالين والحرس
رفع شفتيه العليا بتهكم وهو يُحدثها :



ـ وهل سيصدقني الجان الرباني ؟!

نظرت نحو من يقف جوارها بصلابة يحدق به بقوة منتظرًا ما سيسمعه منه، لتؤكد له بثقة :

ـ نعم سيصدق كل ما تقوله.

لتضطرب نبرة صوتها قليلا وهي تُردف:

ـ وذلك لأنني أثق بك.

وضع كلتا كفيها على بعضهما البعض بثقة كبيرة وهو يصدمها بقوله:

ـ هل تعرف جدتكِ بمجيئك إلى هنا لعقد هذه الصفقة ؟!

أمالت ميلاف النظر للجن الرباني الذي بدوره حدق بشيث متسائلًا:

ـ ما الذي تقصده ؟!

حرك كتفيه بإهمال وهو يقول لهم:

ـ بالتأكيد لم أقصد شيء مهينًا، كان مجرد سؤال والإجابة عنه بسيطة.

ثم استطرد وهو يراقب ردة فعل ميلاف :

ـ ما زلت أنتظر الرد.

اجابته ميلاف بتردد :

ـ لم أخبر جدتي.

رفع كلتا حاجبيه بدهشة وهو يرمق الجان الرباني قائلا:



ـ إذا فقد كان هناك اتفاقٌ بينكما قبل المحاكمة

ابتسمت روهان بتفاخر وهي تقول لهما :

ـ إذا فقد قمت بمساعدتكما دون قصد.

تحدث الجان الرباني بضيق:

ـ دعنا ننتهي من هذا دون ثرثرة فارغة.

تقدم شيث منه محدقا بعينه وهو يخبره بضجرٍ:

ـ أنا رجُلٌ لا أحب الثرثرة كالنساء، لذا فيجب عليك حين تعرض علي صفقة كهذه أن تكون واضحا معي من البداية حتى لا ننساق وراء زمرة من الأفاقين

اتسعت عين الجان الرباني وهو يقول له بنبرة تحذير:

ـ ما الذي تقصده بقولك هذا ؟!

دنا منه خطوة أخرى وبتحدي واضح قال له:

ـ اخرجني من هنا وسوف أخبرك قصدي.

وقفت ميلاف في المنتصف بينها وبصوتها الحاسم حاولت إخماد ثورتهما وهي تردد في نفسها « اه من هؤلاء الناريين »:

ـ أرجو أن نتحلى بقليل من الهدوء من فضلكما، لقد أتينا هنا لنتبادل المساعدة بيننا وكلا منا له غايته من فضلكما لا تحولان الأمر لصراع سوف ينتهي بالضرر لكلانا.

تطلع شيث نحوها وهو يحدثها بصوته الأجش القوي وبمباشرة جعلتها تبتلع لسانها :



ـ جدتكِ وأخيكِ على رأس الموالين والحرس في الضريح،جميعهم متورطين في كل ما يحدث للبشر من أذى، وغرضهم الاساسي هو أن يظل الضريح على حاله منذ وفاة بويا عمر، ولا ينافسه أحدٌ من الأضرحة الأخرى، وأن تستمر انعقاد المحاكمات للأبد ولكن كلٌّ من الموالين والحرس يريد شيئًا مخالف .

كانت تستمع وهي جاحظة العينان فاغرة فاها لا تصدق أذنيها ،بينما أظلمت حدقتي الجن الرباني وهو يسأله:

ـ ما الذي يريده كلاً منهما ؟!

ظلت عيناه على وجه ميلاف المصدومة وهو يجيبه :

ـ غرض الموالين وكبيرتهم هو أسم العائلة والسلطة والزهو بتراث الأجداد الأقوياء المتحكمين في الكثير من مصائر العالمين، لذا يجب أن يستمر الوضع كما في السابق في عهدها .

أكمل وهو يوجه نظره للجان الرباني:

ـ أما الحرس فجُل ما يركضون خلفه هو المال بل الكثير منه.

ابتلعت ميلاف ريقها بصعوبة وهي لا تجد كلماتٍ تُسعفها تستطيع بها النطق، لقد حطم كل ما عرفته يوما عن العائلة والشرف والتضحية من أجل بني جلدتهم الذين يتعرضون للأذى من العوالم الأخرى، تلك الكلمات التي يلقونها على مسامعها ويكررون ذكرها في اليوم ألف مرة، كان الغضب يتملك منها لدرجة أن وجهها تلون بالأحمر الناري، حاولت إخراج عدة أنفاس متتالية في محاولة منها لإخماد النيران التي تشتعل بداخلها، فكل ما عرفته وآمنت به يوما تحطم على صخرة صلدة أمام عينيها وتفتت الإطار الزجاجي لصورة صنعتها من نسج خيالها



لعائلتها التي طالما افتخرت بها وتباهت بنسبها وأصلها في كل مكان طالت نظراته لها وقد رق قلبه لحالها ومعاناتها مع دفع الألم الذي ألم بها بسبب تلك الحقائق التي ألقاها في وجهها مرة واحدة وبدون هوادة، تمنى للحظة أن يسحبها لأحضانه ويخبرها أنه مستعد لأن يكون عائلتها التي تتمناها شعر بوخزة قوية ممن تقف خلفه لتهمس له بغيظ :

ـ هيا بنا من هنا يا ذو القلب الرقيق.

صك أسنانه وأغمض عينيه بسكون كي يهدأ نفسه، ليقاطع الجان الرباني أفكاره بقوله:

ـ هل تثق بي لدرجة أنك أخبرتني بكل تلك الأسرار قبل أن أخرجك من هنا ؟!

ضم شيث حاجبيه وهو يحرك كتفه بتراخ:

ـ أنا لا أثق بأحدٍ في هذه البلدة أيها الجني.

رفعت ميلاف بصرها نحوه وعيناها الأبية تُصفد دموعها بكل ما امتلكت من قوة فأشفق على حالها ورقق صوته مردفا:

ـ عدا ميلاف

اجلت صوتها المسجون في حنجرتها في محاولة منها للتحدث بنبرتها القوية كما اعتادت ولكنه رغما عنها خرج صوتها ضعيف وواهن وهي توجهه للجان الرباني:

ـ اتركهم يرحلون .

دنا شيث من جسدها فجمدت حركتها ولم تعد للخلف كما اعتاد منها، ليحني رأسها كي يقترب من وجهها لتراه جيدا وهو يُحدثها :



ـ أنا لم أنتظر أذنًا من أحد حتى أرحل، فأنتِ لم تعرفين بعد من هو شيث بن آب.

ضمت حاجبيها بإستفهام ليختفي هو على الفور تتبعه روهان تحت بصرهم الشاخص بدهشة ليأتيها همسه بصوته الحنون الذي لم تستمع له من قبل:

ـ إن احتجتني فسوف أكون بين يديك قبل النداء الثالث.

ترك المكان بأكمله فاستندت إلى الحائط خلفها بوهن وهناك ألف سؤال وسؤال يدور في عقلها، ليمسك الجان الرباني كفها وهو يقول لها:

ـ دعيني أنقلك لغرفتك يا ميلاف.

اوقفته وهي تسأله بتيه:

ـ لقد ترك المكان بكل بساطة، وهذا يعني

أكمل الجان الرباني جملتها بحنق:

ـ أنه كان يستطيع الهرب منذ أن جئت به إلى هنا .

توجهت برأسها نحوه قائلة:

ـ ألم تخبرني أن هذا السجن لا يستطيع أحد الجان اختراقه أبدا ؟!

أومأ برأسه وهو يقول لها:

ـ نعم.. ولكن يبدوا أنه ليس بجني عادي، لقد تأكدت من هذا الآن بعدما استطاع الهرب من المحاكمة في المرة الأولى كما لم يفعلها أحد غيره.



دارات حدقتيها بإستفهام بينما وقف الجان الرباني أمام البوابة الموصدة ليفتحها بتعاويذه قبل أن ينقلها لغرفتها وهي ما زالت شاردة وعيناها مثبتتان على الجدار أمامها وهي تقول بخفوت

ـ ما المميز به إذًا ليفعل بي ما فعله؟!

أخرجها الجني من شرودها وهو يسألها بقلق:

ـ ماذا سنفعل الآن فيما عرفناه من هذا المسمى شيث؟!

فكل ما قصه علينا سوف يجعل القضاة من الجن يقضون على كل الإنس المنتمون للمحكمة والضريح على سواء.

صمت هنيهة تاركًا إياها لعقلها المُشتت، ليستطرد بحيرة:

ـ كيف سنخبرهم إذا باختفائه هو والفتاة التي معه من سجنٍ كهذا؟! والأهم من هذا وذاك أن جدتك سوف تطلب منكِ استدعاءه مرة أخرى ليتم حرقه هذه المرة أمام أعينهم، كيف ستتملصين منها ؟!

زفرت بضيق وهي تشير إليه كي يخرج من غرفتها قائلة:

ـ اتركني الآن، وفي الغد سيكون هناك إجابة لكل سؤال.

وعلى الجانب الآخر استوقفته روهان بغضب وهم في منتصف الطريق، فدفعته بكلتا ذراعيها بقوة فأحكم قبضته عليها كي لا تتعارك معه وهي تصرخ به :

ـ كنت تستطيع الخروج من هذه الزنزانة العفنة من أول لحظة وتركتني أحاول الهروب منها بكلزطريقة ممكنة حتى أصابني اليأس أيها الأحمق .

اتسعت حدقتيه بغضب وانقلبتا للون الأسود الحالك وهو يحذرها :



ـ للمرة الثانية تتعدين حدودكِ معي يا فتاة، فاحذري لأنه لن يكون هناك مرةً ثالثة.

كانت ساخطة للحد الذي جعلها تسحب يدها بقوة وهي تقول له :

ـ لقد تركت أمي في مصيبةً مسجونة في بيت أحد الجان لا تستطيع التحرك منه وجئت إليك كي أساعدك، وأنت تتركني هكذا مسجونة في زنزانة مُحصنة و القلق يمزق داخلي ولا استطيع النجاة حتى لأعود كي أعاون أبي أو حتى أبحث عن حل لها .

نظراته الممتعضة تحولت لأخرى متعجبة وهو يسألها :

ـ ما الذي حدث لأمك؟! وكيف لم تخبريني بهذا الأمر ؟!

تقدمت منه وهي تلكمه في صدره بغيظ قائلة:

ـ لم أريد أن أثقل عليك وأحملك فوق طاقتك، وحاولت الفرار والتخلص من هذا السجن بمفردي، وأنت أيه الأبله تنتظر فتاتك كي تأتي لتنقذك هي وتثبت لك كم تعلق قلبها بك.

كتم ابتسامته بشق الأنفس حتى لا يزداد حنقها منه، ليلين صوته قائلًا :

ـ حسنًا اهدأي فأنا لم أمكث هناك لأجل ما تقولينه، أنا كنت على دراية أن الجن غير متورطين فيما يحدث بالضريح، ولكن لم أكن متأكدا من ذلك بشكل كبير، فظللت هناك حتى أتأكد بنفسي من ذلك .

ضيقت عينيها باستفهام:



ــ وما الذي يضرك أو ينفعك في أمرهم، سواء الجن أو الأنس ؟ !

حرك رأسه بالنفي قائلًا :

ــ لا .. أنا لا أكترث لأمر الإنس فأنا أعلم جشعهم جيداً، ولكن تورط الجن معهم سيجعلهم تحت وطأة قانون الممالك السبع .

رددت بحيرة:

ــ أنا لا أفهم شيئًا ؟!

اجابها بنفاد صبر :

ــ سوف أشرح لك الأمر لاحقا.

ثم أكمل حديثه وهو يدنو منها:

ــ على أية حال.. سوف أذهب الآن كي أطمئن على سليمان وأمه، فهل ستأتين معي أولا ثم نعود للملكة لنرى ما بها أمك ونحل الأمر.

حركت رأسها نفيًا وهي تقول له:

ــ لا .. أذهب بمفردك وحين تنتهي من زيارته وافيني في المملكة.

اندهش لأنها تحاول التملص من مقابلة سليمان فحاول أن يستفهم منها الأمر:

ــ لما لا تريدين رؤيته ؟!

اجابته بحدة :

ــ كفانا إضاعة للوقت .



زم شفتيه بتعجب قائلا :

ـ هل فتاة الشياطين تخاف من التورط عاطفيًا مع فتى الأنس ؟ !

تفاجأ من إجابتها الصاعقة:

ـ لا أريد أن أصبح مثلك أنت ولا أبي ولا حتى جدي، لا أريد هذا الضعف الذي يسيطر عليكم تجاه البشر، أبدا لن أكون مثلكم .

واجهها شيث بقوله:

ـ أمك أنسية يا روهان.

قربت وجهها منه وهي تحدق في عينيه وبنبرة ساخطة قالت له:

ـ لطالما كرهتُ هذا ولكني لم أختاره يا شيث، لكن طريقي القادم سيكون باختياري أنا .

تركته واختفت من أمامه وهو يضحك بسخرية مرددًا :

ـ ستكون هذه الفتاة يومًا لا تقهر وسوف نكون جميعًا في خطر حينها .

******

كان يقف أمامها بضعف لم تراه من قبل، لم تفهم جملة واحدة مما يقوله ليكرر عفرين حديثه الذي يلقيه على مسامعها بصيغة أخرى:

ـ سامحيني يا روهان أرجوكِ، فأنا لم أقصد أبدًا ما حدث لقد سيطر ضعفي علي لدرجة لم أستطع بها التفكير في أي شيء آخر غير أنني سوف أنال فرصة ليكون هناك رباط بيننا .



اوقفته بعصبية :

ـ أنا لم أفهم حرفًا واحدًا من حديثك يا عفرين، أرجو منك أن تكون واضحًا معي كي استنبط منك ما تريد قوله.

نظم أنفاسه بهدوء وحاول أن يجد من الكلمات ما يخفف به وطء هذا الفعل المشين، لقد انتظر وقتًا طويلا حتى استطاع أن يجدها بمفردها كي يعترف لها بالأمر، ولكنه في ذات الوقت يريد أن يستميلها تجاهه رافضًا فكرة أن يخسرها للأبد حين تعرف بهذا السر .

قرر أن يقص عليها الأمر من البداية، فطلب منها بهدوء:

ـ حسنا سوف أسرد عليكِ ما حدث ولكن عليك الجلوس أولاً والإستماع جيدًا.

جلست روهان على الأريكة وجلس هو أمامها على المقعد ليبدأ قصته بنفس عميق قبل أن يقول لها:

ـ قبيلتنا تتعامل بشكل كبير مع الأرضيين وخاصة العماليق منهم يتبعهم باقي الممالك، وهذا التعامل بيننا منذ مئات السنين وقد كان مقتصرًا على عدة اتفاقيات يلتزم بها الطرفان حتى تزوج أخي الأكبر بهند وحدث الكثير من الأحداث.

من ضمنها معرفتها للأرضيين ومحاولتها التعاون معهم بمفردها ، هؤلاء القوم يحتاجون السحرة من الجن بشكل يجعلهم يفعلون أي شيء حتى لا يخسروهم.



توقف عن الحديث للحظة وهي تنظر إليه بتركيز ولكن وجهها مضطرب للغاية وعيناها تتجولان في الغرفة ثم تقف على بابها بقلق واضح شعر عفرين بتوترها الظاهر فحولت بصرها نحوه ليكمل:

ـ استمرت تلك العلاقات كما هي حتى سمعت بمرضك وعلمتُ أن بني النعمان قد حملك إلى هناك.

أوقفته روهان بتساؤل:

ـ سمعتُ ممن؟

اجابها بنبرة ما زالت بالقوة التي لا تفهمها من شخص جاء ليعترف لها بكارثة لم تعلمها حتى الآن :

ـ من الملك ياوي ذاته، لقد أخبرني بذلك حين كان يقوم بإقناعي بأن ...

ضيقت عينيها تتأمل وجهه الهادئ رغم بحثه المضني عن كلمات تُسعفه، أو عن ترتيب يكون منطقي يجعل حدة غضبها تقل ولو بقدر بسيط :

ـ هذا الرجل نسميه في قومنا مهووس بالعلوم عامة والأحياء خاصة، يقضي أغلب وقته بين جدرانه الزجاجية التي يقوم بداخلها بتجاربه المجنونة بعدما عادت عافيتك وزال الخطر عنك استدعاني ياوي وطرح علي اقتراحا جنونيا، أخبرني أنه قد أخذ من بويضاتك الصالحة للإنجاب عددًا لا بأس به ويريد مني أن ألقح أحدهم في تجربة ستغير مجرى ممالكهم.

جحظت عين روهان فأردف سريعا في تبريره:



ـ أقسم لك أنني رفضت في بادئ الأمر، ولكنه ظل فوق رأسي يقنعني بكل طريقة ممكنة وغير ممكنة حتى بدأت في التفكير

جلس على ركبتيه أمامها ورقق صوته ليجعله أكثر سحرًا في تأثيره :

ـ لم أفكر حينها إلا في ولد منك، لم أتخيل أن تأتيني فرصة أن يكون لي ذرية من الفتاة التي لم أحب أحد مثلها؛ ولا أفعل، كنت أتمنى أي رابط يجمع بيننا حتى لو كانت تلك الطريقة محرمة.

أرخت جفنيها وظلت في مجلسها صامتة تستمع له وبداخلها بركان يثور بشراسة، ولكنها فضلت الاستماع حتى تحصل على كل ما تريد، فأخرجت صوتها الهادئ برزانة :

ـ ولماذا أنا تحديدًا ؟!

لمعت عينيه ببراءة لم يمتلكها يوما وهو يجيبها بذكاء:

ـ لو سؤالك على حبي لك فأنتِ تعلمين بإنجذابي لكِ وعشقي هذا منذ كنتُ أقوم بحمايتك قبل ظهور بني النعمان، وحين ظهر في حياتك لم يمكث عدة أيام وكُنتِ زوجته رسميًا، فكيف لي أن أتصرف في هذا، لو صرحت عن عشقي لكِ حينها كان أخي الكبير سوف يقتلني، ففضلتُ الصمت وحملت عشقك بين جنباتي حتى أتاني ياوي.

لم تهتز شعرة منها حتى حدقتيها ثابتتان ببراعة شعر بأنها لا تستجيب معه ولا تُصدقه فأحس بالخطر من هذه المواجهة المهلكة له رغم صدق مشاعره تجاهها وتركه لها عدة سنوات تكون بها قد تعافت من احتلال بني النعمان لكل خلية فيها ولكنه من الواضح أنه أخطأ التقدير ورغم ذلك أستطرد بذات النبرة الساحرة :



ـ أما لو تقصدين لما أختاركِ ياوي، فأنتِ أول بشرية تدخل مملكتهم، وقد رأى تميزك وقوتك وفوقهم ولدك يوناس، لذا فإن ذريتك لو اقترنت بساحر كبير مثلي ستنتج ولدًا لن يضاهي قوته أحد .

رفعت حاجبها بتدقيق قبل أن تسأله:

ـ ولما لم يفعل هذا مع بني ا النعمان ؟!

وكأنها طعنته بخنجر مسموم،لقد قامت بتجريده من أخلاقه وإيمانه وكل ما يملكه في سؤال واحد، كانت الإجابة واضحة كما الشمس، لن يجرؤ ياوي على طلب هذا العبث من بني النعمان وإلا كانت نهاية حياته مؤكدة بعدما يتم عرضه لم يجد أمامه سوى تجاهل سؤالها وإكمال حديثه بارتباك جلي:

ـ لقد رأي جيناتكِ الفريدة هذه حين كان جسدكِ بأكمله في حوزتهم وتبين له كم أن هالتكِ لاتقارن ؛ لذا فقد كُنتِ بالنسبة له كنز كبير .

كان كلاهما يعرف الإجابة جيدًا ولكنها كانت تملك ذكاءً حادًا يؤهلها لمواجهته بأنه شخص وضيع دون أن تصرح بذلك علانية، وليس هذا فحسب بل أنه لا يستحق حتى أن تجعله في دائرتها كمجرد صديق رغم مساعدته لها من قبل، لذا فقد اكتفت منه الآن وتريد زوجها في الحال لتخبره عن تلك الكارثة، ولكن قبل ذلك راقبت انفعالات وجهه بتروي وهي تسأله سؤالها الأخير دون التعقيب على عدم إجابته على السؤال السابق:

ـ من هو هذا الولد ؟!

تجلى لها ارتعاشة حدقتيه الكبيرتان وهو يُجيبها بثبات:

ـ آرام .. الفتى الذي رأيته في قبيلتي.



الفصل الأخير



وقف الجميع يحدق بعضهم ببعض بينما ياوي مازال في موضعه بين قبضتي بني النعمان كانت سارافيم تتحدث بثقة كبيرة وهي تُخرج الأوراق من داخل ملابسها وهي توجه حديثها الساخط لياوي :

ـ هذا هو الإثبات يا ابي، لقد أخرج آرام هذه الأوراق من داخل مختبر هذا المحتال .

دنى ويون من آرام بغضب وهو يسأله:

ـ هل فعلت هذا حقا ؟!

كان يقف بصمت مطبق والحيرة تدور به في الغرفة بأكملها، وكأن أحدهم قد أغار على رأسه بمطرقة حديدية جعلته يفقد اتزانه، عيناه تدور بين ياوي ذو الوجه المحتقن الذي ستخرج روحه بين يدي هذا العفريت الذي تخبره فتاة لم يعرف عنها شيء سوى من بضعة أيام أنها أخته وهذا أبوه وأمه قد ماتت منذ سنوات، توقف عند هذه النقطة وهو يغمض عينيه ليسترجع وجه أمه التي كانت تزور أحلامه دائمًا، أحلاما لم يعرف كينونتها ولم يقصها على أحدٌ قط، سحب نعمان ياوي من رقبته للخلف بقوة وهو يصك أسنانه بغيظ متسائلًا:

ـ هل هذا الكلام صحيح ؟!

انعقد لسانه داخل حنجرته فأعاد بني النعمان سؤاله بصوتٍ أقوى جعلهم ينتفضون من مكانهم، ليستفيق آرام من شروده وهو ينظر حوله بريبة متخذا قرارًا لا يجد أصح منه، اختفى من المملكة كلها في غمضة عين بلا رجعة، ناداه ويون بقلق فلم يجبه

لقد فر هاربًا لمكان لا يعلمه أحد حتى يجد هويته التي ضاعت في بضعة ساعات مفاجأت وأسرار لم يتخيلها يوما قد جعلت عالمه الذي يعرفه ينهار في لحظات، حاول ياوي أن يناديه بكل ما امتلك من قوة وكأن هروبه هو ما يعرضه للخطر وليس بني النعمان الذي يقدر على سحب الحياة منه في هذه اللحظة تراخت يد نعمان رغما عنه من على رقبة ياوي الذي استغل التفاتته لآرام وهو يقول لسارافيم:

ـ حاولي اللحاق به في الحال.

أمسك ويون ذراعها بقوة قبل أن تختفي قائلا :

ـ لن تتحرك من هنا قبل أن تترك أبي.

تصاعد الغضب لعيني بني النعمان ليتملص ياوي من بين كفيه مختفيًا من المكان وهو يصرخ بجنوده وولده:

ـ تخلصوا من هذا الإثنان ولا تتركوهما يخرجان من المملكة.

انتقل نعمان لإبنته التي ما زال ويون يقبض على ذراعها مثبتًا إياها ،أمامه، وقبل أنا يلكمه في وجهه ترك ويون ذراع سارافيم له وهو يهمس :

ـ خذها واهرب من هنا الآن.

أمسك بني النعمان يد ابنته واختفى من المملكة في لحظة قبل أن ينقض عليه جميع جنود الملك، بينما تعلق ويون بنظرة سارافيم الأخيرة له وابتسامتها الرقيقة التي لن ينساها مهما حيا، تصنع الغضب وهو يصرخ خلفهما حتى لا يلحظ أحد الجنود أنه هو من تركهما يهربان، حاول بني النعمان أن يتتبع أثر آرام ولكنه لم يستطيع شرد ببصره وهو يقف في منتصف الصحراء وهو يقول بخفوت :



ـ هذا الفتى لم يتربَّى على يد الأرضيين، فإخفاء أثره من بعده حيلة لا يتعلمها الجني الا من...

توقف عند هذه النقطة حين ارتمت ابنته في أحضانه قائلة:

ـ لا أصدق إلى الآن أنك عُدت إلينا.

شدد من احتضانها وهو يمرر يده على شعرها الطويل باللون الأحمر الناري مثل شعر أمها، قائلا:

ـ لقد اشتقت إليك يا فتاتي الغالية.

ابعد وجهها عن صدره وهو يتأمل وجهها البريء الذي لا يُشبه وجه أمها على الإطلاق مُردفا:

ـ كنت أفكر بك كثيرًا في عزلتي، ولكني كنت مطمئنا لوجودك وسط عائلتك.

لاح الحزن جليًا على عيونها وهي تتنهد بعمق قائلة:

ـ منذ رحيلك لم أرَ أخي في السنة الأولى إلا أيامًا معدودة، وفي العامين الماضيين لم أراه ولو مرة واحدة، أما عن روهان فقد انعزلت تماما عن الجميع، لم يكن هناك أحد غير إلينا هي التي كانت تقضي معي معظم الوقت.

ضيق عينيه متسائلًا:

ـ لما لم ترحلين مع جدكِ ويكون لكِ دورٌ قويٌّ معه في الجيش ؟ !

رفعت كلتا حاجبيها بدهشة وهي تقول له:



ـ هل يجوز هذا ؟!

ابتسم بني النعمان وهو يُجيبها :

ـ بالتأكيد يا ابنتي هل أخبركِ أحد أن جيوش الجان خاصة بالرجال فقط

حركت رأسها نفيًا وهي تقول له:

ـ لا لم يقل أحد ذلك، وأيضًا لم يأمرني جدي بمصاحبته ولم يخبرني يوناس بأنني لو أردتُ الانضمام للجيش فعلي ذلك.

تنهد نعمان بعمق وهو يشعر بالأسف تجاهها قائلا:

ـ لن يخبركِ أحد بما يجب عليكِ فعله يا ابنتي،أنت الوحيدة التي لديك الحق في اختيار حياتك، لقد تم تحريرك منذ أن تركتي أمكِ وجئتِ إليَّ، فلما تُصرين على حبس نفسك داخل بلورة هند.

كانت تنظر له بفخرٍ كبير بينما ابتسامتها الحالمة تزين وجهها الهادئ الذي يشبه أبيها إلى حدٍ كبير، وكأنه فتح في عقلها آفاق لم تكن تدركها كل تلك السنوات، وكل هذا فعله ببضع كلمات قليلة ..لم تملك من الكلمات ما تستطيع بها التعبير عما تشعر به، فارتمت في أحضانه ثانيةً وهي تقول له:

ـ سوف أسجد لله في كل ساعة وأحمده على عودتك، أنا كنت ضائعة من دونك يا أبي.

ابتعدت عنه وقد لمعت عينيها بدموع حبيسة وهي تستطرد:

ـ جميعنا ضائعون ،بدونك، أرجوك لا تتركنا ثانية فليس هناك أحد في هذا الكون يستطيع ولو تعويضنا القليل من وجودك.



حاوط وجهها بكفيه وقربها منه وهو يقبل جبهتها بحنو، ثم بدأ بالعودة لما حدث منذ قليلٍ ليسألها :

ـ هل تعرفين معلومات عن هذا الفتى المُسمى آرام؟

حركت رأسها نفيًا وهي تقص له ما حدث معها ومعه منذ أن سُجنت في مملكة الأرضيين، لتختم حديثها بقولها:

ـ البداية كانت حين أخبرتني روهان أنها قد ذهبت هي ونعمان الصغير لقبيلة الشنفري وهناك قابلت كيبورا الذي لم يجبها على تساؤلاتها بشأن ولدها الذي تراه في منامها باستمرار، لذا فقد طلبت مني اصطحابها إلى هناك لعلها تصل لطرف خيط .

ردد نعمان بتركيز:

ـ عفرين

ضيقت عينيها باستفهام وهي تسأله:

ـ من عفرين ؟!

ابتسم نحوها وهو يخبئ غضبه الساطع بحرفية قائلا:

ـ لقد ساعدنا ويون منذ قليل يبدو أنه لم يتجاوز عشقه لكِ حتى الآن.

حركت رأسها بإهمال قائلة:

ـ لقد كاد قبل ذلك بقليل أن يدع وحوشه الضارية تمزق جسدي، لا تكترث له فسيظل ويون هكذا لا يستطيع اتخاذ جانب واضح سيستمر مشتتًا بين قلبه وأبيه ومملكته طول عمره، ولن يفيق إلا حين يطرده والده من العائلة على غلطة لم يرتكبها



ضم نعمان حاجبيه بتعجب وهو يحدثها :

ـ لهذه الدرجة تحفظين ردود أفعاله ؟!

أخذت نفسًا عميقا بحزن ظاهر وهي تقول له:

ـ لقد قضيت نصف عمري معهم، وهو أول فرد في هذه المملكة اتعرف عليه واتعلق به فهو من جعلني من عليها الآن، لذا فقد ظللت هذا السنوات تائهة لا أعرف من أين أبدأ حياتي ولا أعلم كيف أمضي فيها.

سحبها لصدره وهو يربت على ظهرها مطمئنا إياها بنبرته الحنونة:

ـ ستصبحين فتاة قوية لن يكسرها رجُلٌ ولن يقدر عليها قبيلة بأكملها، فمنذ هذه اللحظة ستكونين سارافيم التي تتمنيها أنتِ وأنتِ فقط، لا أنا ولا ويون ولا جدك ولا حتى أخيكِ.

امسك كفيها وهو يفرد جسده وعيناه تتلون بالأزرق اللامع وهو يكمل حديثه الداعم لها :

ـ أنا أثق بك يا ابنتي الغالية، وأثق أنك ستجدين طريقًا يرضيك وسوف أحبك وأدعمك وأكون ظهرك وقوتك أيما اخترتِ .

كان قلبها يرفرف في صدرها من السعادة والقوة التي منحها لها في دقائق معدودة، انحنت على كفيها اللذان تتمسك بهما لتقبلهما بفخر وامتنان كبير أن الله قد عوضها سنوات الشقاء مع أم قاسية، ومملكة من الظلام بأبٍ رؤوف وقوي وحكيمٍ كهذا لتعاود شكر أمها مرة أخرى بصوت مسموع وهي تنتصب في وقفتها :



ـ تعرف يا أبي لقد سامحتُ أمي على ما فعلته بي كل تلك السنوات وقسوتها الشديدة معي فكونها قد اختارتك أبًا لي جعلني أغفر لها كل ما صنعته في حقي.

حاول اخفاء كرهه الظاهر لهند وحقده الكبير عليها لما فعلته به، ورغم أنها لاقت جزاءها إلا أنه يريد أن تحيا مرة أخرى كي يقتلها ثانية عقابًا على كل ما ارتكبته من كوارث آخرها الكارثة التي تُسمى آرام...

نظر لابنته راسمًا ذات الابتسامة التي لا تحمل هما وهو يقول :

ـ دعينا نعود للمملكة لنطمئن روهان عليك، فقد كانت قلقة بشدة من غيابك.

هزت رأسها إيجابًا وهو ينتقل بها للمملكة بينما تعالى صوت يوناس على مسامعه وهو يناديه بيأس شديد جعله يترك سارافيم على عجل ويذهب إليه وهو يتأفف بضيق هامسا :

ـ ما يحدث لهذه العائلة ليس طبيعيًا على الإطلاق.

*****

وصلت روهان للغرفة التي تتواجد بها أمها لتجدها تجلس على مقعد يهتز بها للخلف وللأمام، شاردة الذهن وبصرها مثبت أمامها على الجدار وهناك طاولة تحوي طعامًا وفاكهة لم تُمس، تنهدت بألم وهي تشعر بالعجز رغم ما تعلمته من تعاويذ على يد أمراء الجحيم بذاتهم، فهي لا تستطيع إنقاذ أمها من هذه الغرفة العفنة لامت نفسها وهي تصك أسنانها بامتعاض



وتتذكر أنها قد أضاعت وقتها مع شيث في قضية لا تهتم لها هي على الأطلاق وتركت أمها في هذه الحالة المزرية، عزمت أمرها أنها لن تنتظر عودة أبيها وسوف تذهب للأمير « لوثايان » وتأخذ منه تلك التعويذة برضاه أو تنتزعها منه رغمًا عنه، سحبتها إلينا من خضم أفكارها وهي تُحدثها بنبرة هادئة :

ـ هل حالتي مزرية للحد الذي يجعلك لا تستطيعين الإقتراب مني ؟!

أسرعت روهان نحوها لتضمها إلى صدرها وهي ما زالت على مجلسها وهي تعتذر لها:

ـ سامحيني يا أمي لقد كنت أحارب في جبهة أخرى رغمًا عني .

ابعدت إلينا رأسها عن صدر ابنتها وهي تقول لها بتفهم:

ـ أعلم هذا، لقد أخبرني أبيكِ أنه أرسلك لمهمة خاصة من مهامه السرية.

ابتسمت لها بحبورٍ وهي تقول:

ـ مهام أبي وعائلته لا تنتهي.

تملك الحزن منها وهي ترى عين أمها ذابلتان لتسألها بعتب:

ـ لما لم تأكلي طعامك يا أمي ؟! لقد نحف جسدكِ كثيرًا.

حركت رأسها بإهمال وهي تُحدثها بيأس :

ـ لا أريد طعاما يا أبنتي، أنا أريد العودة لدياري. وضعت روهان يدها على كتفها وهي تقول لها بنبرة حاسمة:



ـ سأخرجك من هنا الليلة يا أمي وسوف نعود للمملكة.

هزت إلينا رأسها نفيًا وهي تصحح لها مقصدها :

ـ لم أقصد المملكة، أنا أرغب في العودة لديار أمي وأبي.

تعجبت روهان من حديثها فسألتها بقلق:

ـ هل سمعت عنهما شيء سيء لا قدر الله.

تنهدت بعمق وهي تطمأنها:

ـ لا تقلقي فهما بخير، آخر زيارة لي كانت مع أخيكِ منذ عدة شهور وقد اشتاقا إليكِ.

أرخت روهان شفتيها وهي تقول لها:

ـ وأنا أيضًا اشتقت لهما كثيرًا.

ثم أردفت بحماس:

ـ سوف أنقلكِ إليهما في زيارة سريعة قبل العودة للمملكة،ولكن عليّ أولاً إيجاد تعويذة خاصة سوف تكسر هذه اللعنة كي تستطيعين الخروج من هذا المنزل المشؤوم.

ابتسمت إلينا نحوها وهي تقول لها:

ـ حين تخرجيني من هنا سوف تنقليني لجدك وجدتكِ وتعودين للمملكة بمفردك.

اندهشت روهان من قرارها المفاجئ هذا لتسألها بتوتر :

ـ سوف تتركيننا ؟ !

مررت إلينا كفها على وجه ابنتها وهي تجيبها بعيون دامعة :



ـ بالطبع لن أقدر على ترككما ستكونين أنتِ وأخيك عندي كل ليلة حتى لو لدقائق فأنا راضية.

ظهر الحزن على ملامح روهان وهي تستمع لأمها قائلة:

ـ لماذا ؟!

تنهدت بقوة كبيرة تحاول إخراج ما يجثو على صدرها من وجع وهي تخاطبها بذات النبرة اليائسة المتعبة:

ـ لقد فاض كيلي يا ابنتي لم أعد أستطيع تحمل هذا العالم، أنا لا انتمي إلى هنا، لقد تتبعتُ قلبي دون تفكير لأجد نفسي أسقط لأسفل السافلين لدرجة أن أنفاسي أصبحت ثقيلة عليّ.

حاولت روهان التخفيف عنها وأمدادها ببعض الأمل :

ـ كل ما تشعرين به الآن بسبب هذه الورطة، ومن قبلها كان اختفاء جدي وذهابنا أنا وأبي للبحث عنه ورغم فشلنا في ذلك إلا إننا قد رجعنا ولن نترككما ثانية.

أمسكت كفيها تقبلهما وهي تُردف:

ـ أعدك أنني لن أفترقُ عنك أبدًا.

ضيقت إلينا عينيها وهي تسألها بحيرة:

ـ ألا تعلمين أن جدك قد عاد ؟!

فغرت روهان فمها وهي لا تصدق أذنيها قائلة:

ـ من أخبرك بهذا ؟! أمي هل ما تقولينه صحيح!

ابتسمت إلينا على ردة فعل ابنتها لتؤكد لها الأمر

ـ لقد جاء أخيك مهللا بهذا الخبر وانطلق هو أبيك إليه ولم يعودا إلى الآن .



كانت تريد أن تطير إليه ولكنها سيطرت على انفعالاتها حتى تنقذ أمها أولاً، ولكن وجهها الذي كان حزينا منذ لحظات احتلته السعادة الكبيرة وانفرجت شفتيها بابتسامة بإبتهاج جعلها تكمل حديثها :

ـ هل تريدين الرجوع لديارك بعدما عادت حياتنا كما كانت ؟!

سألتها إلينا بحيرة:

ـ وهل عودة جدكِ ستقضي على كل مشاكل حياتنا التي لا تنتهي ؟! أم أنها ستمنع عن مصائب الدهر المحاطة بنا من كل اتجاه ؟ هل كانت حياتنا سعيدة وهادئة في وجود بني النعمان ؟! أم كنا أيضًا نُصبح على كارثة ونمسي في كرب.

زفرت بضيق وهي تستطرد:

ـ لقد تعبت يا ابنتي .. حقًا تعبت وخارت قواي حتى جسدي اصابه الوهن والضعف.

جذبتها روهان إليها لتحتضنها برفق وهي تقبل رأسها قائلة:

ـ أعدك أننا سنعبر هذه المحنة وسوف تعودين لنا بكل طاقتك وحبك الكبير واعتنائك بنا الذي لا نستطيع العيش دونه يا أمي.

سمعت نحنحة من الخارج يتبعها صوته قائلا:

ـ روهان لقد جئت كما اتفقنا .

ضمت حاجبيها باستغراب ثم قالت لأمها :

ـ هذا شيث صديق أبي قد جاء ليساعدنا على إخراجكِ من هنا سوف أخبره بالحل الذي يدور في رأسي وبعد قليل سنكون في مملكتنا .



تركتها وخرجت إليه لتسأله بغرابة:

ـ كيف استطعت العثور على مكاننا ؟!

حرك كتفيه بحركته المعتادة وهو يجيبها :

ـ لقد تتبعتُ آثرك يا فتاة.

ثم دنا منها بزهو قائلا :

ـ كيف تعلمتِ السحر على يد أمراء الجحيم ولم يعلمك أحدهم كيف تخفين آثركِ.؟

رفعت حاجبها بتدقيق وهي تخاطبه بابتسامتها المتهكمة :

ـ وهل ستعلمني أنت كيف أخفي آثاري؟!

ابتسم نحوها وراقب وجهها بعينيه اللمعتان وهو يرد سؤالها :

ـ لا لن أفعلها، فسوف تجعلينني أركض خلفك في العالم

ضحكت روهان على ردة فعله وهي تفاجأه :

ـ لقد تركتُ لك آثري يا شيث حتى تعثر على مكاني، أنسيت أننا اتفقنا أنك ستطمئن على سليمان وتلحق بي ؟!

زم شفتيه وهو يقول لها:

ـ كنت أعرف أنك محتالة.

ثم استعاد نبرته الجدية وهو يُكمل حديثه :

ـ ما الذي حدث هنا ؟! لقد شعرتُ بسحر خبيث قد وقع في هذا المنزل.



اجابته روهان بضيق قائلة:

ـ بالفعل .. لذا فليس أمامي سوى لوثايان هو من سأجد عنده حلا لهذه اللعنة.

امتعض وجه شيث فأردفت روهان بتبرير:

ـ لا يوجد حلٌّ آخر يا شيث .

ضيق عينيه وهو يقبل عليها :

ـ اخرجي هؤلاء الشياطين من عقلك يا فتاة قبل أن تجدي نفسكِ سجينة في براثنهم، فهؤلاء لا يساعدون أحداً بالمجان، ونحن لم نعرف حتى الآن ما الذي دفعه جدكِ الملك الأبيض كي تتعلمين على يدهم.

سألته بإنفعال:

ـ هل لديك حل آخر بدلًا من نقد كل أفعالي الذي اعتدتَ عليه ؟!

أجابها بنفاد صبر :

ـ اخبريني أولاً ما الذي حدث وبالطبع سأجد حلا .

رددت بسخرية:

ـ كان سيجده أبي.

زفر بضيق مناديًا إياها بنبرة قوية:

ـ روهان لا تطيلي.

رفعت كفها أمامه قائلة:

ـ حسنًا لا تمدن عينيك هكذا .



أخبرته ما حدث وهو يستمع لها بتركيز كبير، بينما عقله يجمع الخيوط ببعضها البعض حتى انتهت صمتت وهي تنتظر قوله أو أن يُخبرها عما فهمه أو استشفه مما جرى، ولكنه ظل على سكونه بضع دقائق قبل أن يطلب منها :

ـ نادي أمك من الداخل.

فعلت روهان ما أمرها به لتخرج لهما إلينا تحييه بالسلام فرد التحية قبل أن يسألها:

ـ أين كنتِ تعزفين بالضبط .

أشارت له عن موضعها التي كانت تعزف به في هذا البهو الكبير، فانتقل شيث إليه ووضع كفيه على الجدار الذي كان خلف مجلس إلينا، ثم اقترب برأسه واضعًا أذنه عليه بتركيز كبير، ابتعد للخلف وعاود الكرة على الجدران المجاورة لمقعدها حتى توقف عند أحدهم قائلا :

ـ روهان أذهبي لمملكة الزفات في الحال، واطلبي من ملكتها أن تأتيك بحجرٍ يُسمى حجر النجوم، أخبريها أن شيث يريد أصله الآن وعودي سريعا .

نظرت روهان لأمها فانسحبت إلينا للداخل بيأس وهي تقول لهما:

ـ سأنتظر بالغرفة حتى تنتهيان.

حزنت روهان على أمها فرمقها شيث وهو يحثها على التحرك:

ـ هيا يا فتاة لا تضيعين الوقت.

كادت أن تتحرك ولكنها عادت لتسأله بحيرة :



ـ لما لا تذهب أنت لهذه الملكة البلهاء التي تُسمى ميرة فأنا لم أحب لقائها أبدًا.

ابتسم نحوها وهو يقول لها بخفوت:

ـ هل لأنها تُحب أبيك ؟! هل تغارين عليه يا فتاة!

لكزته روهان في كتفه وهي تقول له بعناد:

ـ أذهب أنت يا شيث؛ أنا لن أذهب إليها .

كتم ضحكاته وهو يختفي من المنزل ذاهبًا لميرة التي استقبلته بحفاوة وأعطته الحجر على الفور ليعود بعد قليلٍ ومازالت ابتسامته المشاكسة على وجهه وهو يقول لروهان :

ـ لقد بعثت معي رسالة ليوناس، ذكريني كي أنقلها له.

حدقت به قائلة:

ـ هل تعرف أنك سخيف جدا .

أجابها وهو يدنو من الجدار وبيده الحجر:

ـ أعرف هذا .

بدأ شيث في نثر قطرات من الحجر على منطقة محددة في منتصف الحائط وهو يتمتم بهمس تعويذة مضادة، استمر على حاله مدة طويلة يحاول في كل الاتجاهات حتى بدأ الحجر المتناثر يتجمع مع بعضه البعض، هنا تهلل وجهه وأكمل طلاسمه بصوت أقوى فعاد حجر النجوم لوضعه كتلة واحدة وظل يدور عدة دورات قبل أن ينفجر ويختفي من أمامهم، تنهد شيث بإرهاق وهو يقول لروهان بصوته المتعب:



ـ حاولي نقلها للمملكة على الفور.

دخلت روهان لأمها وهي تخبرها بفرحة كبيرة :

ـ هيا بنا يا أمي نذهب من هنا .

فتحت إلينا عينيها المغمضتين ، فقد غفت وهي جالسة على مقعدها بشكل غريب لم تدركه حاولت استيعاب ما تقوله ابنتها بشق الأنفس لتقبل عليها روهان بقلق متسائلة:

ـ هل أنتِ بخير ؟!

حركت رأسها بحيرة وهي تجيبها:

ـ لا أعلم ما الذي حدث لي، فجأة لم أشعر بشيء مما يحدث حولي.

سمعوا صوت شيث من الخارج يقول لهما :

ـ لم يعد لدينا وقتٌ طويل، هيا أذهبا من هنا.

حاوطت روهان جسد أمها سريعا وهي تنتقل بها للمملكة،

اغمضت إلينا عينيها بقوة فور انتقالها وهي تشعر بدوار شديد، سمعت صوت روهان وهي تُهلل :

ـ لقد نجح الأمر.

حاولت بقوة كبيرة أن تفتح عينيها لينشرح صدرها على الفور وتبتهج ملامحها بفرحة كبيرة وهي ترى نفسها داخل القصر ولكن فجأة شعرت أن الأرض تهتز من تحت أقدامها لتلحق بها ابنتها قبل أن تسقط ناقلة إياها على الفور لغرفة جدتها،



اخفت روهان دموعها سريعًا حين رأت إلينا بين يدي حفيدتها لتخطو نحوهما على الفور وهي تشاهد وجه الصغيرة قلقًا فسألتها بذعر :

ـ ما بها أمك ؟!

فحصتها روهان الصغيرة سريعًا لتطمئن حين وجدت نبضها جيد وأنفاسها ،منتظمة، استدارت نحو جدتها وهي تسرع إليها تحتضن إياها بشوق كبير قائلة:

ـ اشتقتُ إليكِ كثيرًا يا جدتي .

قبلتها روهان على وجنتيها وقد أدمعت عينيها وهي تقول :

ـ لقد كبرت يا روهان

ابتسمت لها حفيدتها وهي تقبل يدها، لتعود ملامح روهان للقلق وهي تستفهم منها :

ـ هل إلينا بخير ؟!

طمأنتها روهان بقولها:

ـ لا تقلقي هي بخير، يبدو أنها لم تتناول الطعام منذ عدة أيام لذا فإن جسدها قد تعب فور انتقالها من هذا المنزل اللعين

خطت روهان نحو إلينا وهي تأمر حفيدتها :

ـ استدعي أحد الحكماء على الفور كي يحقنها ببعض الغذاء

*****



كانت تقف في شرفتها منعزلة عن باقي العائلة منذ الصباح الباكر، تصنعت المرض وأخبرت خادمتها أنها محمومة ولا تريد أن يقترب منها أحد حتى لا يمرض، جلبت لها الخادمة الطعام في غرفتها بحذر وجعلتها ميلاف تخرج على الفور ثم أوصدت الباب خلفها، استقرت بالقرب من الشرفة تفكر فيما حدث بعمق وتُحلل ما قاله شيث الذي بالتأكيد تصدقه وتثق به، ولا يراودها ولو شكٌّ ضئيل عما أخبرهم عنه، وإلى الآن لا تعرف السبب في ذلك!

تأملت السماء الصافية إلا من بعض السحب القليلة، لتلهث بالدعاء المتتالي أن يوفقها الله فيما ستفعله الليلة، ظهر الشفق الأحمر في السماء فاستقامت عائدة للداخل لتقف أمام خزانتها تُخرج زيها الخاص بالموالين وهي مستاءة يلتاع قلبها من الحزن على عائلتها الكبيرة، انتهت من ارتداء ملابسها وهبطت للأسفل بهدوء دون أن يلاحظها أحد، فكلٌّ منهم الآن يتجهز في غرفته قبل أن تؤذن الصلاة، تسللت من الباب الخلفي حتى وصلت لمكان آمن من الضريح لتنادي الجان الرباني، جاءها على الفور ليقابلها بتحية عاجلة قبل أن يسألها :

ـ ماذا ستفعلين؟!

لمعت عيناها بشجاعة وهي تجيبه:

ـ ستأخذني الآن لجميع القضاة من الجن.

اتسعت حدقتا الجني؛ واضطرب صوته القوي وهو يخبرها :

ـ هل أنت واثقة مما تفعلينه هؤلاء لن يتراخوا عن عقوبة جميع من في العائلة عقوباتٍ مغلظة، لن يُصبح من السهل عليهم التهاون في كونهم كانوا مجرد بيادق لجدتك والموالين.



ارتعشت حدقتيها بقلقٍ وهي تراجع نفسها مرارا فيما هي مقدمة عليه

تأملته برجاء قائلة:

ـ أنت ستتهاون بالطبع ؟! أليس كذلك!

تنهد بحرج وهو يُحدثها بلطف :

ـ ميلاف أنتِ تعرفين قدركِ عندي، لقد مررنا بالكثير سويا وأنا ممتن لصدقتنا الغالية منذ سنوات، ولكني لن أستطيع حتى إظهار معرفتي بما سمعته من صديقك الأخر.

أكمل بما يثقل كاهله:

ـ نحن القضاة تعاهدنا على حفظ أحكام وقوانين جدك وإن من يخالفها أو يتلاعب بها فمصيره الموت للبشر والحرق للجان، فلن أقدر على تخفيف العقوبة مهما حاولت وإلا اعتبروني خائن ولا أستحق مكانتي.

حركت رأسها بتفهم وهي تقول له:

ـ أنا أعي ذلك، ولن أعتب عليك، فعائلتي هي من وضعت نفسها في هذا المأزق وليس أنت.

زفرت بضيق وهي تعزم أمرها على الاستمرار فيما نوت لتردف:

ـ أشكرك بشدة على مساعدتك لي حتى الآن، لا أعرف بدونك ماذا كنت سأفعل، والآن عد للضريح وأخبرني كيف أصل إليكم قبل الخروج للمحاكمة.

تمنى لها حظًا وفيرا وأخبرها السبيل لمقابلتهم واختفى من أمامها



وقفت حائرة في موضعها وعقلها لا يردد سوى اسمه، حاولت أن تتغاضى عن تفكيرها الانتحاري هذا ولكنها لم تستطعِ المقاومة، سقطت دمعة خائنة من عينيها وهي تناديه :

ـ شيث أرجوك أحضر في الحال.

لم تكرر ندائها الذي سمعه من موضعه في منزل صفوة في الوقت الذي انتقلت روهان به وهي تحمل أمها، وقبل أن تنطق أسمه ثانية كان يقف أمامها بقلق متسائلًا:

ـ ما بك؟! لما صوتك خائف هكذا ؟!

حاولت ألا تبكي بشق الأنفس ولكنه اختنقت لدرجة أن أنفاسها سُجنت داخلها فصمتت ودموعها تنهال على وجنتيها رغم ثباتها في وقفتها وعدم إصدار حتى تنهيدة هامسة، لم يدري لما شعر حينها أنه يريد تحطيم هذه البلدة بأكملها وقتل كل عائلتها بأسوأ الطرق على ما فعلوه بها، هذه الفتاة القوية التي أخافته لأول مرة في حياته حين قابلها، كانت ثابتة مثل الجبل والآن تهتز وكأنها ورقةً صفراء ذابلة في مهب الريح، قاوم وقاوم حتى ضعفت عزيمته وسحبها لأحضانه بالقوة واختفى من المكان بأكمله...

ظهر في أحد الجزر النائية، وحملها بذراع واحدة نحو منزله الخاص ليستكين جسدها بين يديه حتى بدأت تلتقط أنفاسها المحتجزة في حلقها بهدوءٍ ،وترو، تركها تجلس على أحد الأرائك واختفى جالبًا لها زجاجة كبيرة من المياه الصافية، ناولها الزجاجة وهو يجلس أمامها بحزن على حالها، فتناولت بعضًا من الماء بهدوء لتشعر بالسكينة تنتشر في جسدها المضطرب، مما جعلها تبدأ حديثها معه :



ـ لا أجد من الكلمات ما تسعفني لشكرك يا شيث، أعتذر منك على ندائي لك ولكني لم أجد غيرك كي يساعدني برأيه.

كان يتطلع إليها بنظرة جعلت وجنتيها تحمر خجلا، ليلتقط نفسا عميقا مكبلا به كل مشاعره التي تجتاحه الآن وتأمره بأشياء لو فعلها لن يعود كما كان ازاح بصره من عليها ووقف يحاول الهاء نفسه في شيء غير منطقي أبدًا وهو يدير لها ظهره، أغمض عينيه والتقط نفسًا عميقا ثم استدار جالسًا مرة ثانية وهو يقول لها بنبرة هادئة :

ـ لا داعي للشكر يا ميلاف، لقد أخبرتك أنني على استعداد لندائكِ في أية وقت .

ثم أردف وهو يعود للخلف بمسافة كافية بينها:

ـ والآن أخبريني كيف أساعدك ؟!

قصت له ما قاله لها الجان الرباني وما تنوي فعله من عائلتها ومواجهتها للقضاة.

كان يستمع لها بإنصات حتى انتهت، ثم استقام ناظرًا للسماء ودنى منها وهو يمد لها يده قائلا :

ـ لقد بدأت الصلاة وستنعقد المحكمة بعد قليل،هيا بنا نقابل القضاة سويًا قبل أن يخرجا من داخل الضريح.

شهقت من المفاجأة لتنتفض وهي تحرك رأسها بعنف قائلة:

ـ لا .. مستحيل أن أفعل ذلك يا شيث، هل ستخاطر بحياتك من أجلي ثانيةً ؟! لن أسمح لك فهذه المرة لن أستطيع إنقاذك.

ابتسم لها وهو يقترب منها رافعًا حاجبيه لتتسع عيناه السوداء اللامعة بشكل أكبر وهو يسألها بتهكم:



ـ هل تظنين أنك أنقذتني ؟!

تأففت وهي تحيد بنظرها عنه مجيبة:

ـ حسنًا كنت تستطيع الهروب من البداية ولم تفعلها ولكنوهذه المرة مختلفة لو رآك القضاة خارج السجن لن تضمن سلامتك ولو للحظة واحدة.

ظلت ابتسامته على وجهه وهو مازال يمد لها يده قائلا :

ـ دعينا نجرب إذًا .

رفضت أن تعطيه كفها وهي وترجوه:

ـ شيث أرجوك لا تفعل، لقد جعلتني الآن أندم على ندائك، كل ما أحتاجه منك الآن أن تخبرني ما هو الصالح لي.

تجهمت ملامحه باستنكار وهو يقول لها:

ـ أنا أفعل ذلك الآن، هيا بنا يا ميلاف ليس لدينا وقت لهذه المهاترات .

اعترضت بإصرار وهي تقترب منه وقد ضعفت نبرتها القوية:

ـ لا أريد خسارتك يا شيث.

دارت عيناه في المكان كي يبعدها عن ناظره وهو يصك أسنانه ويقاوم رغبته المُلحة في احتضانها وتقبيلها واخفائها عن العالم بأكمله، ولكنه ما زال لا يملك هذه الشجاعة فمواجهة كل ما تخافه لايعينه ولا يرف له جفن ولكن مواجهتها بهذا الضعف وكأنه يُصارع بركانا ثائرا لا يستطيع مجابهته لم ينتظر وقتًا آخر وأمسك يدها وانتقل بها للضريح تفاجأت مما فعله وشهقت بذعر عندما وجدته يدخل بها لغرفة القضاة الخاصة بهم



حاولت أن تنزع يدها بالقوة ولكنه شدد عليها وهو يميل برأسه نحوها قائلا:

ـ اهدأي لن يحدث لي شيئًا، ثقي بي يا ميلاف.

هدأ جسدها المنتفض من الخارج ولكنها كانت ترتعد من الداخل برعب كلما اقتربا من الغرفة عقلها مشتت وقلبها يعتصره الألم، تارة على عائلتها التي ستسلمها لقدر مجهول وتارة على شيث الذي يُلقي بنفسه في الجحيم لأجلها مرة

أخرى بثقةٍ كبيرةٍ لا تعلم من أين أتى بها، توقفا أمام الباب الحديدي الضخم، ثم طرقه بنغمة خاصة جعلت ميلاف تضيق عينيها بتعجب، حتى سمعت صوت من بالداخل يسأل:

ـ من الطارق ؟!

ـ اجابه شيث « قتم بن عائذ بن آب ».

همست ميلاف له باستفهام

ـ من هذا ؟!

أجابها بخفوت وهو يترك يدها ويفرد جسده القوي على آخره:

ـ اسمي الذي يعرفه الجميع شيث اسمي الحقيقي الذي لا يجب أن يعرفه أحد .

نظرت نحوه وهي فاغرة فاها، لينتفض جسدها حين تم فتح الباب الكبير بصرير قد صم أذنيها، لتجد المعلم بولحرير أمامهما متفاجئ بوجودها معه ، ليتقدمها شيث قائلا له:

ـ تريد ميلاف إخباركم بشيء هام.

لم يعقب المعلم بولحرير وهو يتقدمهم للداخل،



فغمز شيث لميلاف كي تتبعه وهي مازالت جاحظة العينان لا تصدق أنهم جعلوه يدخل غرفتهم هكذا بكل بساطة والاعتراض كان على وجودها هي ؟! كيف فعل هذا ألم يمتثل أمامهم في المحاكمة ؟! ألم يحكموا عليه بالموت حرقًا ؟ وما بال اسمه

الحقيقي واسمه الغير حقيقي؟!

وقفوا قبالتهم فدعاهم سيدي الشتوي للجلوس جلسا الاثنان ليبدأ شيث بالحديث ميلاف قد اكشفت مخالفات جسيمة بين الموالين وحرس الضريح، وجاءت كي تكشف لكم عما عرفته. رغم تعجبها أنه سحب نفسه من كونه هو من أخبرها عن هذه الفظائع، إلا أنها تذكرت قول الجان الرباني، هو لا يستطيع مساعدتها أمامهم ولكنها تعرف أنه من داخل القضاة لكن لما يخاف شيث من مواجهتهم ؟!

نظرات الجميع كانت تنصب عليها فشعرت بالقليل من الخوف قبل أن تتحدث بصوتٍ مضطرب جعلته أقوى فأقوى كلما اندمجت في الحديث أكثر، كانت نظرات القضاة تتفاقم بشراسة وغضب كلما أخبرتهم بمخالفة جديدة للعهود الأبدية، انهت حديثها وهم على صمتهم ولكن وجوههم الغريبة

قد ازدادت قتامة نظر بعضهم البعض ثم تكلم المعلم بوشويشية :

ـ تستطيعين الانتظار بالخارج.

وقفت ميلاف بتردد، لتضم كفيها اللذان يرتعشان بجزع وهي تقول لهم:

ـ لن أسمح أن يؤذى فردٌ من عائلتي جراء اعترافاتي هذه .



حدق بها شيث وهو يحرك رأسه نفيًا، فلم تفهم مقصده حتى رأت السخط الشديد يسيطر على الجميع ليصرخ بها المعلم الشتوي :

ـ إلى الخارج يا أنسية قبل أن يفقد أحد منا السيطرة على غضبه.

حاول الجان الرباني تهدئتهم، ليُشير لها شيث بالخروج من الغرفة استدارت وقدميها ترتعدان ولكنها سيطرت عليهما بقدر ما استطاعت حتى وصلت للخارج، انغلق الباب بقوة فنظرت خلفها فلم تجد شيث تحركت بضعة خطوات حتى استندت على الحائط تنتظره ظلت على وقفتها الكثير من الوقت حتى فات وقت التجمع للمحاكمات لأول مرة منذ انعقادها، تأففت ، بضيق والقلق يأكل قلبها ببطء، حتى اتاها الصرير المُزعج ثانية، ومن خلف ظهره شيث الذي اختفى ليظهر أمامها وهو يُمسك يدها على عجلٍ قائلا :

ـ هيا بنا .

حاولت التملص منه والاستفهام ليتشبث هو بيدها هامسًا:

ـ سوف تفهمين كل شيء.

عاد لمنزله فسحبت ميلاف كفها من يده وقبل أن تفتح فمها بعصبية قال لها :

ـ لكل ساحر أسمان أحدهما للجمع والآخر للخاصة، وأنتِ تعرفين لماذا .

كان ردها الحانق سريعا :

ـ اعتراضي ليس على اسمك يا شيث، أنت لم تُخبرني أنك ساحر، وكيف جلست مع القضاة هكذا وأنت من المفترض هاربٌ منهم محكومٌ عليك بالموت



رفع كفيه أمامها باستسلام:

ـ اهدئي يا ميلاف أرجوكِ كي تفهمين حقيقة الأمر، أنا أمثل في مملكتي قاضٍ مثلهم وهم يعرفونني جيداً، بإسم قثم، وأنا ساحر كبير أيضًا لذا أثناء المُحاكمة ومواجهة الجان الرباني لم أكن على هيئتي الحقيقية.

فغرت فاها بدهشة وهي تقول له بشك:

ـ وجهك لم يتغير أمامي من اليوم الأول الذي رأيتك به

ابتسم إليها وهو يقول لها:

ـ وهذا سر آخر لا أعلم حقيقته بعد عدم ولوج جسدك.

حركت رأسها باستفهام ليردف:

ـ دعك من هذا الآن، لقد اتفقت معهم على عقوبة مخففة لعائلتك وهي السجن مدة محددة، على أن يتم قتل الحرس جميعهم

وضعت كفها على فمها تكتم شهقتها :

ـ قتل

أوماً بحزن فجلست على المقعد وهي مهمومة تقول:

ـ سوف تقتلني جدتي، لا سوف تفعل ما هو أفظع من ذلك.

جلس جوارها وهو يمسك كفها بحنو قائلا :

ـ لا تقلقي يا ميلاف سوف أكون دوما بجانبك، لن يمسك أحد بسوء .. أعدكِ بذلك.



الخاتمة



جلس بني النعمان على قمة جبل ماكالو ليرى ولده الجالس واضعًا يده على ركبتيه وعيناه شاردتان بملامح مغتمة زفر بضيق وهو يسأله:

ـ ما الذي فعلته مع إلينا ؟!

كاد أن يُجيبه فسمعا الاثنان نداء روهان الصغيرة، أعاد يوناس نداءها حتى تعرف مكانه لتأتيهم على الفور بوجه مسرور وهي تخبرهم :

ـ لقد عادت أمي للمملكة.

انشرح وجه يوناس بسعادة وهو يقف أمامها متسائلاً:

ـ كيف حدث هذا ؟!

أخبرته عن شيث وما فعله وطمأنته أنها الآن مع جدتها وتركتها تعتني بها وجاءت لتخبره، نظر يوناس لأبيه فوجد عيناه تتطلعان للسحب أمامه ولا يوجد على وجهه أية ردة فعل، فعاد لمجلسه وهو يستفهم منه بقلق:

ـ ما بك يا أبي ؟!

تطلع نعمان لروهان آمرًا إياها :

ـ عودي للمملكة

وأذهبي لمدينة الحكماء، تفقدي جدكِ وارجعي لتطمئنيني عليه.

احنت رأسها بطاعة واختفت من أمامهم، ليعود بني النعمان لتأمل السحب وهو يقص على ولده ما حدث في مملكة الأرضيين، ثار يوناس بسخط حين توالت عليه كل تلك المفاجآت ليتعطل عقله عن العمل وهو لا يتخيل ما حدث ليسأل أبيه بغرابة وصوته محتقنا بالغضب :



ـ وهل أنت واثق من حديث تلك الملعونة هند عن كونها تحمل طفلك ؟!
ولو هذا صحيح فمؤكد قد احترق معها وصار رمادا، من أين سيأخذه الأرضيين ؟!

اجابه نعمان بنبرته التي ما زالت تحمل هما وحزنًا كبيرًا :

ـ هناك احتمال أن تكون علمت بحملها بعد لقاءنا الملعون هذا مباشرة، واتفقت مع الحقير ياوي على أخذه من أحشائها ليكمل تجاربه ومؤكد كان هناك مقابل ولكني لا أعرف ما هو .

احتدم يوناس غيظًا فتنهد بني النعمان بعمق وهو يستطرد:

ـ هذا الأمر لا يشغل بالي بالقدر الذي اتحير به عن معرفة من هو وراء تعليم هذا الفتى أن يُخفي آثاره.

ضم يوناس حاجبيه باستفسار :

ـ لا أفهم ما الذي يهمك في هذا؟! يبدوا أنه تعلم السحر على يد أحد سحرة الجن من..

قاطعه نعمان وهو ينظر له وملامحه جميعها مضطربة بحنق:

ـ قبيلة الشنفري، ومن أحد كبارائهم .

حرك يوناس رأسه بعدم فهم مرددًا :

ـ وما الغريب في ذلك، فجميعنا نعلم أن الأرضيين يتعاملون مع قبيلة الشنفري وسحرتهم جميعًا تحت أيديهم.

دار عقل بني النعمان بسؤال هام:



ـ أريد أن أعرف كيف حصلت على أصل الحجر.

تأفف يوناس بضجرة قائلاً :

ـ لا تذكرني يا أبي، لقد طفح كيلي سوف أروي لك ما جرى من البداية.

حكى له يوناس ما حدث معه تفصيلًا حتى انتهى برؤيته عبر المرآة دون أن يستطيع محادثته، كان بني النعمان يستمع بإنصات شديد وهو يُفكر مليًا في كل ما حدث ويحاول ترتيب الخيوط ببعضها البعض، ليوقفه يوناس قائلا :

ـ هناك شيء غريب أيضًا مررنا به.

نظر له بني النعمان باستفهام فأردف:

ـ حينما ذهبنا للعجوز مرة ثانية بعد سرقة الحجر كانت مضطربة للغاية، لم أكترث لأمرها فأنت تعلم تصرفاتها العجيبة، ولكني لم أشاهد وجهها يجتاحه القلق هكذا، وحين سيطرت روهان عليها وأخبرتها عن مملكة الزفات وبعدما حصلنا على الحجر وفشلت محاولاتي للحديث معك، عُدت بيأس للعجوز ولكني لم أجدها وكأنها لم تكن تعيش هنا، المكان كان فارغاً حتى من كهفها .

نظر له بني النعمان بتمعن قائلًا :

ـ هذه العجوز لا يستطيع أحد من الجن ولا حتى الشياطين أجمعهم السيطرة عليها .

حاول يوناس التحدث لإقناعه بقدرات روهان، فأوقفه بني النعمان مؤكدًا له: هذه العجوز قد أخبرتكم عن ميرا بإرادتها الكاملة، وهذا يعود بنا للسارق



حرك يوناس كتفيه بعدم فهم فأردف بني النعمان بسؤاله:

ـ ألا تعلم أن هذه العجوز هي جدة كيبورا ؟ !

اتسعت حدقتي يوناس بمفاجأة وقد شرع بني النعمان في تجميع أحجيته الكبيرة وهو يصفها بعضها ببعض، ليتساءل يوناس بحيرة:

ـ كيف استطعت الخروج اذا من الخواء ؟!

ظلت عيناه مثبتة في السماء وهو يشرح له الأمر:

ـ حين قتلت هند وفي اللحظات الأولى قبل أن تأتني روهان استطعتُ أن اتلو بعضًا من تعويذة خاصة تحفظ روحي بالحجر، لذا انتقلت إلى الخواء حين أكملتها أنت بأصل الحجر الذي أعطته لك العجوز احتجازي في الخواء كان مرهونا بالحجرين أصله من جهةٍ ومن جهة أخرى حجر الربط الذي سجنتْ به روحي في العالم الدنيوي، بالكاد استطعت إنقاذ روحي الأثيرية حتى أقدر على إيجاد حل، إلى أن قابلت أبريال وأنقذتها من الملوك وساعدتها على العودة هي والصغير سليمان، حينها أرسلتُ معهم رسالة يبلغونك بها، فلم يكن أمامي سواك يستطيع الوصول إليَّ.

قاطعتهم روهان بعودتها فرفع بني النعمان بصره بقلق حتى طمأنته هي:

ـ حمدا لله فجدي أصبح بخير ولكنه في فترة تعافي سيظل بضعة أيام، هكذا أخبرني الحكيم لأبلغك بحالته.

لهث بني النعمان بالحمد ومن خلفه يوناس، ليبتسم يوناس نحو ابنته قائلاً بفخر وامتنان:



ـ أنتِ اليوم رائدة للأخبار السعيدة يا شيطانتي

ابتسمت نحوه وهي تجلس بجواره، ليعاود النظر إلى أبيه متسائلاً:

ـ وكيف تمكنت من الخروج إذًا ؟! فقد اختفى الحجران من أمامي في لحظة وانقطع الاتصال بيننا على الفور.

أكمل نعمان ما حدث :

ـ المرآة هي وسيلة للتواصل بين عالمين، لذا بمجرد أن رأيت ضوء يتسلل داخل الخواء علمتُ على الفور أنك وجدت طريقة ما، تجلى أمامي انعكاسك شيئًا فشيئًا وحينما تأكدت من أن هذا أنت بدأت بتلاوة تعاويذي لأسحب الحجران قبل أن ينقطع الاتصال بيننا، لذا لم أكن أجيبك وأنت ترجوني لأتحدث معك.

ضحكت روهان وهي تقول لجدها :

ـ لقد جن جنونه يا جدي وظل يصرخ أنه لم يتمكن من سماع صوتك.

ابتسم بني النعمان بهدوء وهو ينظر لولده بنظرة فخر قبل أن يربت على كتفه قائلًا :

ـ كنت أعلم أنك ستفعلها ولن أعود لهذه الحياة إلا على يدك يا بني .

انحنى يوناس يقبل يد والده الموضوعة أعلى كتفه وهو يدعو له :

ـ أدامك الله تاجا على رأسي ولا حرمني منك يوما واحداً .

تأهب بني النعمان للرحيل بأن استقام في وقفته وهو يحدثهما :

ـ دعونا نعود الآن لنطمئن على إلينا وفي الغد سوف يكون لنا حديث آخر .



انتقل ثلاثتهم للمملكة لتخبرهم الخادمة أن إلينا في غرفتها .

تعجب يوناس بينما شعر بني النعمان أن هناك خطب ما، لقد أخبرتهم الصغيرة أنها تركتها مع جدتها، اجتمعا في غرفة إلينا ليعرفوا أنها انتقلت إليها بناءً على رغبة روهان، لقد أمرت الخادمة بنقلها على الفور حين أفاقت، وهذا ما جعل إلينا تجلس حزينة وبجوارها صغيرها نعمان إطمأن بني النعمان عليها وتركها مع زوجها وأولادها الإثنان، وانتقل لروهان على الفور وإحساسه يتضاعف بأن هناك كارثة تدق بابه، صوت نحيبها المكتوم وصله من أمام باب الغرفة، أغمض عينيه، وقلبه يتسارع في صدره ليدلف للداخل وهو ينتظر ماذا بعد ... رفعت روهان بصرها إليه ودموعها تغرق وجهها، ركضت نحوه لتلتصق بصدره حتى لا ترى ملامحه وهي تقول له من بين شهقاتها المتتالية :

ــ لقد جاء عفرين إلى هنا وقال لي إن هناك فتىً يسمى آرام، لقد رأيت هذا الصبي يوما أمام بوابة قبيلتهم، وقام بخداعي حينها وأخبرني أنه فتى من الأرضيين يُعلمه السحر، ومنذ قليل صدمني بقوله إنه ابني منه عن طريق حيلة اتفق بها مع الملعون ياوي.

حاولت السيطرة على أنينها المرتفع وهي تشدد التصاقها بجسده وكأنها تتلمس منه قوة تجعلها تقول له:

ــ لا أريد ولداً من غيرك يا نعمان، أرجوك تخلص منه.

أثارت روهان بركانه الخامل لتبدأ فوران مشاعره المبغضة لهذا الخسيس منذ مئات الأعوام التي تغاضى بها عن حقارته يوما بعد يوم بعقل وحكمة تحلى بها؛ حتى لا يُصبح البغض بينهما سببًا في دمار الممالك السبع، لتأتي النهاية التي ستجعل عالم الجن جميعه في فوضى عارمة لا يعلم الله إلى أين ستنتهي، همس بغضب اجتاح كافة خلاياه، وقد وصل لقمة اللغز ومدبره؛ ليردد بكره سيقضي على كل ما آمن به يوما :

ـ عفرين



تم بحمدالله